الألف كتاب (٦٧)

التاريخ الجغرافي للقرآن

تأليف

سيد مظفر الدين ندوي

الأستاذ بالكلية الإسلامية بكلكتة

ترجمة وتعريب

دكتور عبد الشافي غنيم عبد القادر

مدرس التاريخ بكلية المعلمين بالقاهرة

مراجعة

حسن محمد جوهر

وكيل وزارة التربية والتعليم

نشرته

لجنة البيان العربي

١٩٥٦

هذه ترجمة لكتاب :

Geographical History

Of The Koran

Sayyed Muzaffar-Ud-Din Nadvi,

M. A., B. E. S.

Calcutta.

تقـــــديم

وضع الأستاذ سيد مظفر الدين نادفى أستاذ الدراسات الاسلامية بالكلية الإسلامية بكلكتا نصب عينيه وهو يؤلف ذلك الكتاب القيم هدفين أحدهما دينى والغرض منه التدليل على صحة ماورد عن المعالم الجغرافية والقصص التاريخى فى القرآن الكريم بعد أن شوه المغرضون من المبشرين كثيراً من المعانى التى تضمنتها الآيات الكريمة عن تلك المعالم وتعرضوا لها بالنقد والتجريح على أسس بعيدة كل البعد عن الأصول العلمية الصحيحة والتفكير العميق

وإن محاولته فى نقد أقوال هؤلاء المفترين فيما يتعلق بتدوين القرآن وجمعه وتنسيقه وجهوده فى اثبات صحة ماورد فى القرآن الكريم خاصا بالأنبياء وقصص الأمم القديمة كعاد وثمود وسبأ وغيرهم ليشهد له بدقة البحث وسلامة التفكير المبنى على العمق وتقصى أسباب الاستدلال العلمى السليم

أما الهدف الثانى : فهو هدف علمى يتصل اتصالا وثيقاً بالغرض الأول ، قوامه دراسة بلاد العرب القديمة من النواحى التاريخية والجغرافية والانثربولوجية ، والفيلولوجية (فقه اللغة) وتقصى عوامل قيام الأمم العربية القديمة وهلاكها أو سقوطها ومعرفة حقيقة أنسابها

والتدليل العلمى على ما ورد فى القرآن بشأنها وتعقب فروعها التى هجرت مواطنها الأصلية واندفعت نحو سوريا وسنجار ومصر وافريقية معتمداً فى ذلك على المصادر الأصلية المنقوشة والمخطوطة والمطبوعة فى بعض الكتابات الحديثة التى جاءت وليدة الكشوف والبحوث والجهد فى قراءة ما وجد على الآثار المختلفة نخص بالذكر منها .

١ — الكتب المقدسة كالعهد القديم .

٢ — النقوش العربية القديمة .

٣ — الروايات العربية القديمة شعراً ونثراً .

٤ — بعض المصادر الأصلية الإسلامية التى تعرضت لتاريخ هذه العصور .

٥ — كتابات المؤرخين الأقدمين مثل سترابو **Strabo** وپلنى **Pliny** وبطليموس **Ptolemy** .

٦ — كتابات الرواد والكاشفين من العلماء الذين جابوا الجزيرة العربية وأجلهم ج . هو جارث **G. Hogarth** فى مقال له بالجزء الثانى من دائرة المعارف البريطانية تحت لفظة **Arabia**

٧ — الاسترشاد بكتابات أستاذه سيد سليمان نادفى عن « أرض القرآن » وحاجى معين الدين نادفى عن الولايات الكائنة فى شبه الجزيرة العربية .

والحق الذى يجب أن يقرر هنا هو أن عائلة « نادڤى » قد سدت فراغاً كبيراً فى تأريخ هذه الجوانب التاريخية الجغرافية لبلاد العرب القديمة .

والكتاب الذى نتقدم بترجمته الآن هو أحد هذه البحوث التى تفتقر إليها المكتبة العربية لأنه يتصل اتصالا وثيقاً بدراسات الباحثين من الأساتذة والطلاب فى هذا الميدان الذى يتطلب كثيراً من الجهود لاستكمال حلقاته وإضاءة ما غمض من جوانبه .

عبد الشافى غنيم عبد القادر   حسن محمد جوهر

مقدمة المؤلف

إن مِمّا يسترعى الانتباه ، ويثير الدهشة أنه لم تبذل إلى الآن[1]. محاولة جدية لوضع مؤلف يتناول ما جاء فى القرآن الكريم من أمور تتصل بالمعالم الجغرافية والحوادث التاريخية ، التى جاء ذكرها فيه للتدليل على صدق روايته ، ودحض ما أثاره المبشرون من غير المسلمين من تجريح بعيد كل البعد عن الانصاف .

والمؤلف الوحيد الذى وُضِعَ فى هذا الصدد هو أرض القرآن » الذى وضعه أستاذى العلامة سيد سليمان نادفى Sulaiman Nadvi باللغة الأردية[2] . وقد نُشِرَ هذا الكتاب الذى اعتمد على أوثق المصادر وأحكمها فى سنة ١٩١٥ . وقد أثار ذلك فى نفسى رغبة ملحة فى الاضطلاع بإخراج مؤلَّف بالإنجليزية لجمهرة قرائها يتناول ذلك الموضوع ، غير أنه بعد تفكير عميق رأيت أن خير ما يمكن عمله فى ذلك الصدد أن أستوعب جيداً محتويات ذلك الكتاب وأضيف ما يمكن إضافته من بعض المصادر الأخرى التى ظهرت منذ ذلك الحين . فالفصل الذى كتب عن « شبه الجزيرة العربية المعاصرة » مثلا مأخوذ بأكمله من كتاب « الولايات الكائنة فى شبه الجزيرة العربية » الذى وضعه

---

(١) المقصود هنا هو وقت تأليف الكتاب بطبيعة الحال (المترجم) .

(٢) اللغة الهندستانية (المترجم)

بالأردية حاچى معين الدين نادڤى **Haju Muin - ud - Din Nadvi**
ولسوف يتبع هذا الجزء الأول من ذلك الكتاب جزءان آخران

وإن من أشق الأمور التى تعرض للباحث فى التاريخ القديم أمرين: أولها . تحديد العصور . والثانى تحقيق أسماء الأعلام . من أجل ذلك كان علينا مراعاة هذه الأشياء

(ا) التحديد الزمنى : إنه من الضرورى . (من وجهة نظر التاريخ الحديث) الاهتمام بتحقيق عصور الشعوب والقبائل المختلفة للجزيرة العربية . غير أن الصعوبة التى تعترضنا فى ذلك ، كلما تعرضنا لتاريخها القديم . هى أنه لايوجد أمامنا سوى ثلاثة مصادر لاتفى بالغرض المطلوب وهى :

١ ـــ التوراة (العهد القديم) التى تتسم بالاختصار وقلة التفاصيل

٢ ـــ الروايات العربية التى لاتذكر تواريخ

٣ ـــ اللوحات المنقوشة والآثار التى لاتساعدنا إلا فى معرفة تواريخ الوفيات أو الغزوات لبعض ملوك العرب

وبوجه عام . عند ما نتعرض لتحديد عصر أمة ، فيما قبل التاريخ . لا بُدّ لنا من الاعتماد على بعض الأفراد أو الشعوب التى تعاصر هذه الأمة . على أن تكون معلومة تواريخها . وهناك طريقة أخرى لتحقيق هذه التواريخ . هى أننا نفترض أن القرن الواحد يشمل

أربعة أجيال . وبهذه المناسبة تجب ملاحظة أن تاريخ قيام أمة من الأمم أو ظهورها لا يستتبع ضرورة مطابقة ذلك لبلوغها أوج شهرتها ، وإرتفاع شأنها فى ذلك الوقت . فإذا كان بنو قحطان قد ظهروا فى التاريخ . بعد عهد موسى . فإن ذلك لا يعنى مطلقاً أنهم لم يوجدوا أصلا قبل ذلك. وهناك آلاف من الأمم التى وجدت وعاشت فترات طويلة دون أن يحس التاريخ وجودها . ثم لم تلبث أن برزت ووصلت إلى ذروة المجد والقوة لأسباب متباينة . والواقع الذى لاشك فيه أن سنة الحياة جعلت الأفراد يولدون أولا ، ثم يندمجون فى الأسرة ثم المجتمع إلى أن تنتهى الدورة بظهور الأمة فى النهاية

(ب) تحقيق الأعلام : لتحقيق وطن شعب من الشعوب القديمة وجنسيته لابد من كشف الصلة بين أسماء الأشخاص الذين يتعرض لهم التاريخ وأماكن إقامتهم أو معرفة الصلات بين لغتى أمتين ، أو العلاقات بين أسماء الأشخاص وأسماء الآلهة . فالصلة بين أسماء الأشخاص وأوطانهم تمكننا من التعرف على أسماء بلادهم . كما أن التوافق بين لغتى أمتين يشير إلى أصلهما المشترك . وتعتبر الطريقة الأولى من طرق البحث مفيدة وبخاصة فيما يتعلق بالجغرافية القديمة للمدن السامية . لأن الأجناس السامية كانت تسمى عادة أسماء المدن والقرى بأسماء سكانها . وقد أفاد من أسلوب هذا البحث حنا فورستر John Forster الذى وضع كتاباً عن « الجغرافية التاريخية للجزيرة

العربية ، فى منتصف القرن الثامن عشر الميلادى . ولو أن ما وصل إليه ينطوى على كثير من الفروض فى بعض مواضعه وقابل للاعتراض والنقد

(ح) التوافق بين الأسماء واللغات : لكل أمة طابعها الخاص فى التسمية ، فللهنود والمسلمين والمسيحيين طريقة خاصة فى تسمية مجتمعاتهم . ومن ثم إذا وُجد تشابه بين أمتين فى تسمية السكان أو الأماكن أمكن أن نفترض أنهما ينتميان أو ينسلان من أرومة بشرية واحدة . وقياسا على ذلك،فإن المماثلة الدينية والمضارعة اللغوية بين أمتين قد تشير إلى أصل مشترك

ملاحظة :

ــ كثيراً ما يظن خطأ أن عاداً Ad وثمود Thamud وسبأ Sabà وجرهما Jurham هى أسماء أفراد أو أشخاص . والحقيقة أنها أسماء قبائل وشعوب ، وعلى سبيل المثال : إذا عرفنا أن أول مملكة فى جزيرة العرب هى سبأ Sapà فليس معنى ذلك أن هناك فردا بذلك الاسم قد أنشأ هذه المملكة بل إن أفراد قوم سبأ الذين يطلق عليهم السبئيون Sabàeans هم الذين أسسوها (جرى العادة فى اللغة العربية . أن يحذف الشطر الأول من الكلمة المكونة من المضاف والمضاف إليه فى هذه الأسماء . وعلى ذلك فكلمة سبأ Sabà تقوم مقام بنى سبأ

وقياساً على ذلك إذا قيل إن عاداً قد عمر ألف عام فمعنى ذلك أن قبيلة عاد هي التي عاشت هذه السنوات الألف فلا يوجد فرد بهذا الاسم قد عاش هذه المدة .

ملاحظة :

٢ — نتيجة لتعاقب الأزمان والتغيرات التي تطرأ على اللغات اتخذت بعض الأسماء نطقا مختلفاً وأشكالا متباينة في مختلف اللغات ومن ثم يتوهم المرء أن هذه الأسماء المختلفة ربما تشير لأشخاص مختلفين ، وإذا وازنا بين هذه الأسماء المتشابهة في عدة لغات كالعربية واليونانية وبعض اللغات الأخرى فسوف نذهل للاختلافات التي تسربت إليها في النطق والشكل والكتابة .

ولو أنا تركنا جانباً ما تعرض له القرآن الكريم من أسماء الشعوب القديمة واتجهنا إلى أسماء فلاسفة المسلمين ومفكريهم الذين عاشوا في عهود حديثة نسبياً لوجدنا أن اللغات الأوربية قد خلعت عليها أسماء تختلف جد الاختلاف عن أسمائهم ولا تشبه الأسماء الأصلية مثل أبو علي بن سينا الذي طورته اللغات الأوربية إلى « أفيسينا وأفيتشينا » Avicinna وابن رشد إلى « أفيروس » Averroes وابن الهيثم إلى الهازيم Alhaziem وأبو القاسم إلى البوكاسيس Albucasis [1] وكذلك نجد

(١) كذلك فعلت اللغة العربية بمئات الأعلام الافرنجية والأمثلة على ذلك تفوق الحصر (المترجم)

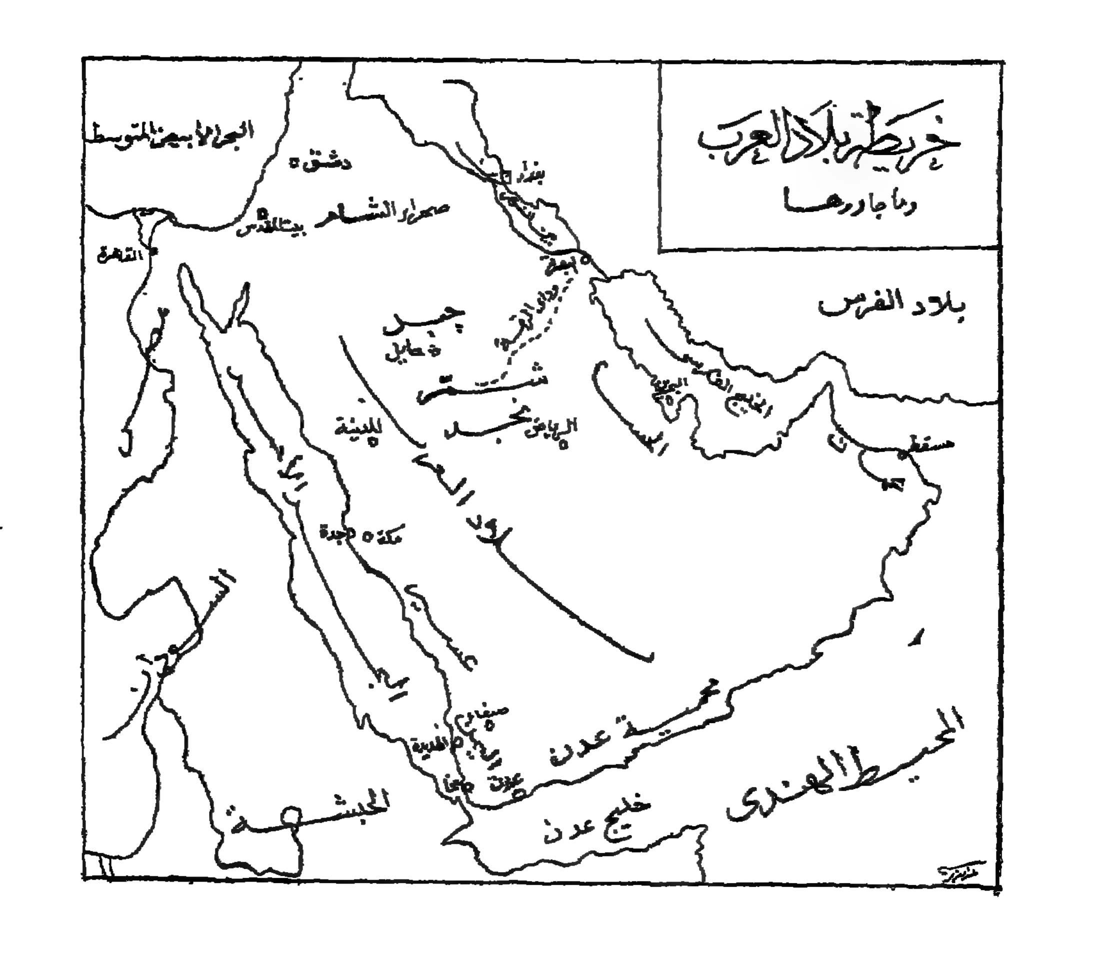
فى العبرية أن اللفظ يوقطان **Yoktan** تحول فى اليونانية إلى چوكتان **Joktan** وفى العربية إلى قحطان ، واللفظة العبرية يِرَاه **Yerah** قد تحولت إلى **Jerah** فى اليونانية وإلى يَعْـرُبُ فى العربية ـ ذلك من الأمثلة العديدة التى يسهل سوقها .

وختاماً ينبغى لى أن أعبر عن شكرى القلبى لزملائى وأصدقائى للمعاونة التى بذلوها فى تأليف هذا الكتاب وأخص بالذكر الأستاذ عبد الباقى (ماچستير فى الآداب) والأستاذ عباس على خان بِكهود (ماچستير فى الآداب) قسم اللغة الأردية والأستاذ محمد ظهور الاسلام (ماچستير فى الآداب) قسم التاريخ بالكلية الاسلامية الذين راجعوا الأصل وأبدوا لى بعض الاقتراحات وساعدونى فى تصحيح التجارب كما أقدم شكرى أيضاً للسيد قيوم نعمانى (ماچستير فى الآداب) والمحاضر فى كلية سانت چيمس والسيد شمس الحق (ماچستير فى الآداب) والمحاضر بالكلية الإسلامية للخدمات المختلفة التى قدموها لى وفوق هذا فإننى أكون قد قصرت فى واجبى إذا لم أقدم الشكر لتلاميذى السابقين س . ت . حيدر رزفى (بكالوريوس فى الآداب) و س . م لايق اللذين عاونانى فى إعداد الفهرست .

سيد مظفر الدين ندوى

الكلية الاسلامية بكلكتا

١ مارس ١٩٣٦



خريطة بلاد العرب
وما جاورها
البحر الأبيض المتوسط
دمشق
صحراء الشام
بيت المقدس
القاهرة
بغداد
البصرة
بلاد الفرس
جبل شمر
حايل
نجد
الرياض
المدينة
مكة
جدة
الخليج الفارسي
مسقط
بلاد العرب
محمية عدن
صنعاء
الحديدة
مخا
عدن
خليج عدن
المحيط الهندي
الحبشة
السودان

تمهيـــــد

العرب شعب عريق في القدم يكتنف تاريخه شيء من الغموض وهم ينقسمون بصفة عامة قسمين الخُلّص والخليط وينتسب القسم الأول إلى يقطان joktan أو قحطان Qahtan بن عابر Eber[1] الذى جاء ذكره فى « السفر العاشر »[2] بينما ينتسب القسم الثانى إلى إسماعيل بن ابراهيم من زوجته السيده هاجر المصرية ، وهناك عدة أدلة فى التوراه والآداب القديمة تشير إلى عراقة تاريخهم وماضيهم المجيد (وقد زاد هذه الأدلة والشواهد ثقة وتوكيدا ما أمكن الوصول إليه من البحوث الأثرية) كما تعرضت الآداب الأوروبية الحديثة لبلاد العرب (على لسان شكسبير فى سياق حديثه فى قصة مكبث Macbeth الخالدة)[3] بقوله « إن عطور بلاد العرب كلها لن تستطيع أن تكسب هذه اليد الصغيرة شذى يحللها من وزر الجريمة » وكذلك ذكر ملتن Melton فى شعره .

« هناك . . بعيداً فى البحر ، تذرو الرياح الشمالية الشرقية .

---

(١) هو عابر بن شالح بن قينان بن أرفخشذ بن نوح عليه السلام ، وقد ورد فى التوراة أن قحطان رزق بثلاثة أولاد وهم المزداد ومعربه المضاض ومنه تشعب أهل اليمن من والتبابعة وكهلان وحضرموت (المترجم) .

(٢) هو سفر التكوين فى التكوين فى التوراه الذى تعرض للتاريخ القديم حتى وفاة يوسف وولاده موسى (المترجم) .

(٣) (المترجم) .

عطور سبأ من الشاطىء الأرج .

لبلاد العرب المباركة » .

وقد سمت بلاد العرب إلى قمة الأهمية ببروغ القرن السابع الميلادى كموطن لميلاد الديانة الاسلامية التى انتشرت فى مساحة شاسعة من العالم المعروف وقتذاك فى خلال قرن واحد من ظهورها ، والتى أصبحت الآن عقيدة ما يقرب من سدس الجنس البشرى، ومكان لنزول الوحى بالقرآن الكريم ، ذلك القرآن الذى يقول فيه واشنجتن ارثنج Washington Irving إنه يتضمن سننا حميدة طاهرة سامية» والذى يصفه الدكتور ستنجاز Dr. Steingass بقوله « إنه من أجل الكتب المعروفة » وعلى حد قول جيتى Goethe « إنه يخلب ويذهل ويرغم على إجلاله وتقديسه » أما شفلد Hirshfeld فيقول عنه « إنه لا يسامى فى قوة إقناعه ، وبلاغته ، وحتى فى تركيبه وتصنيفه .

ولقد أنزل القرآن ليكون هادياً ومرشداً للعرب فى بلادهم ومنها إلى بقية أنحاء المعمورة وكان العرب قد ظلوا فترة طويله غارقين فى الشرك منغمسين فى عبادة الأوثان والأصنام ، وإلى جانب ذلك كانوا عاكفين على شرب الخمر، ولعب الميسر ، وغير ذلك من العادات القبيحه ، فلما أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم منذ البداية أن رسالته تتجه إلى هداية الناس نحو الطريق القويم والصراط المستقيم ، وتطهيرهم من العادات الذميمة وعلاجهم من سوءاتهم وانقاذ نفوسهم من

الضغينة والحقد والحسد ، هبت البلاد كلها فى وجهه ووقف أعداؤه يقاومونه كل المقاومة ، إذ لم يكن ما جاء بالقرآن سهل القبول لدى أولئك القوم الذين عرفوا بالعناد وشدة المراس ، من أجل هذا كان الوحى ينزل بالقرآن على الرسول جزءاً جزءاً وعلى دفعات متعاقبة استغرقت حياته (عليه الصلاة والسلام) من سن الأربعين إلى أن لحق بالرفيق الأعلى . ولقد ظل القرآن ما يقرب من ثلاثه عشر عاماً يهىء السبيل ويطهر جو البلاد ، ولم تستطع جمهرة العرب تذوق معانى الآيات القرآنية الكريمة وتقديرها حق قدرها إلا فى النصف الثانى من رسالة محمد (عليه الصلاة والسلام) وليس هناك أبدع من وصف القرآن مما ذكره « جونسون Gohnsun » حين يقول « هو صيحة نبوية تسمو إلى شغاف القلب له من المعانى ما يناسب الجميع ويصلح لكل زمان حتى أنست إليه وتعالت به جميع الأصوات فى مختلف العصور راضية أو مكرهة ، وكان له صداه فى القلوب المختارة فدفعها إلى الغلبة والنصر فى الدنيا وتكوين قوة جديدة استطاعت أن تدفع شعاع الحضارات الأغريقية والأسيوية عبر الظلام المخيم فوق أوربا المسيحية عندما كانت المسيحية فى ذلك الوقت ملكة الظلام » .

زعم بعض المستشرقين الذين تصدوا لترجمة القرآن أو الكتابة عنه أن سور القرآن وآياته ظلت مبعثرة ومفككة فى حياة الرسول

صلى الله عليه وسلم ثم جمعت بعد وفاته تحت رحمة الاسنادات الشفوية للصحابة مما يجعل أصل القرآن محلا للقيل والقال ، والاستفسارات والسؤال ، غير أن ذلك الزعم — إن صح — لا يصلح إلا لإظهار جهل الذين ابتدعوه ، فليس من الحقيقة فى شىء أن يقال إن آيات القرآن وسورة قد جمعت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم لأن هناك سند تاريخى قوى يدل على أن آيات القرآن قد جمعت كلها فى عهد الرسول . كما أن السور القرآنية قد سُمِّيَتْ كلها تحت إشرافه وإرشاده وتوجيهه .

وكانت عملية الجمع تتم بعد نزول الآيات على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان يُوجِّه بنفسه كتاب الوحى وعلى رأسهم زيد بن ثابت إلى ترتيب الآيات المتفقة فى الطبيعه والمعنى فى السور الخاصة بها وكان عليه الصلاة والسلام يسمى بنفسه سور القرآن الكريم . وفى بعض الأحيان كان يحدث أن تنزل آيتان لسورتين مختلفتين فى آن واحد ، فيطلب الرسول تدوينهما منفصلتين تفادياً لأى لبس أو خلط أو أبهام وعلى هذا يمكن الجزم بأن جميع الآيات قد نسقت ووضعت فى أماكنها المحكمة قبيل وفاة الرسول كما سميت السور بإذنه وتوجيهه صلى الله عليه وسلم ، ولم يفعل الخليفة أبو بكر بعد وفاته أكثر من تبويب السور وتنظيمها بوحى من توجيهات وأوامر الرسول وحدة ، ولما جاء الخليفة الثالث عثمان بن عفان نشر نسخة رسمية للقرآن

(كانت فى الواقع صورة مطابقة كل المطابقة لنسخة أبى بكر الموضوعة بتوجيه وإشراف وإذن وموافقة الرسول) ثم لم يلبث أن أمر بتعميم هذه النسخة وحرم استعمال غيرها (من التى كانت لا تختلف عنها إلا فى طريقة إلى القراءة) كى لا تؤدى القراءات المتباينة إلى تفسيرات مختلفة كما حدث فعلا فى الديانات الأخرى وهكذا مرّ جمع الآيات القرآنية فى كتاب واحد فى ثلاث مراحل، المرحلة الأولى الجمع وقد تمت كلها فى عهد الرسول . والمرحلة الثانية التنسيق (فى كتاب) وقد تمت فى عهد أبى بكر بالتماس من عمر بن الخطاب . والمرحلة الثالثة مرحلة الالزام أو النشر وقد تمت فى عهد الخليفة عثمان[1] .

---

(١) لم استشهد إلا بعدد قليل من الأدلة الموثوق بها والتى استطعت الحصول عليها لتؤيد الحقائق التى ذكرتها .

(أ) روى حذيفه وهو من أصحاب الرسول أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ آيات من سورة البقرة (السوورة الثانية) وآل عمران (السورة الثالثة) والنساء (السورة الرابعة) فى بعض صلواته .

(ب) روى البخارى صاحب أعظم كتب الحديث فى صحيحه أن الرسول كان يقرأ آيات معينة من سورة عرفات (السورة السابعة فى الصلاة) .

(ج) تذكر الأحاديث التى وردت فى كتب الحديث الصحيحة أن الصحابة كانوا يعرفون أسماء السور التي كان يتلوها النبي فى صلاته كلها أو بعضها من وقت لآخر .

(د) قال « حكيم » فى كتابه « المستدرك » أن أول جمع للقرآن تم فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم .

(هـ) ذكر المحدث نفسه مايلى نقلا عن زيد بن ثابت « كنا نجمع آيات القرآن الكريم بحضور النبي صلى الله عليه وسلم من قصصات من الورق . ←

ولما كان القرآن آخر كتاب منزل من عند الله ، فقد تعرض للاديان السابقة كما ذكر كثيراً من أصول الشعوب الهامة ، وبلاد العالم ، وهذه الحقائق التى ذكرها القرآن قد تأيدت بشهادة من التوراة والمؤلفين الأقدمين ، كما عززتها البحوث الأثرية ، ومما يدعو إلى البهجة والارتياح أن بعض المستشرقين الأوروبيين قد أخذوا على عاتقهم مهمة كشف جوانب بلاد العرب وتتبع مخلفات ماضيها الزاهر ، وكشف آثارها ، وحل رمز نقوشها ، وقد أدت بحوثهم وكشوفهم إلى توكيد ما جاء بالقرآن الكريم فى وصف الشعوب والبلاد التى تعرض لها .

← (و) ورود كثير من الآيات الكريمة التي تجعلنا نطمئن على سلامته من الدس والتغيير والتبديل كقوله تعالى « إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون وقوله تعالى « ولقد نزلنا القرآن بالحق وإناله لحافظون » .

إن هذه الآيات القرآنيه وغيرها لاتدل فقط على أن القرآن لم يكن فى عهد النبى مجرد آيات مبعثرة وإنما تدل دلالة واضحة على تنظيمه وتبوبه وتنسيقه .

وهنا ملاحظة هامة ترب اضافتها وهى أن المستشرقين يعلمون جيداً ويعرفون كثيراً من الأشعار الجاهلية التى لايشك أحد فى صحتها مع أنها قد وصلتنا بطريق الرواية الشفوية وهى فى مجموعها صحيح ولم يتعرض أحد لنقدها أو تجريحها إذا كان هذا هو الحال فى الأشعار وقد استقيناها عن المصادر الشفوية فكيف يمكن الشك فى القرآن الذى حفظه كثير من الصحابة عن ظهر قلب ودونه آخرون من الموثوق بهم وبعد : هل عند هؤلاء المستشرقين من شك فى حقيقة أصل القرآن (انظر كتاب المؤلف القرآن والمستشرقون نشرته الصحيفة الإسلامية Islamic Review ط. لاهور ابريل ١٩٣٥ .

ولكى نتحقق مما أورده القرآن من معلومات تاريخية أو جغرافية لابد لنا من الرجوع إلى المصادر الآتية .

١ — الآداب الإسلامية .
٢ — « اليهودية .
٣ — « اليونانية .
٤ — الكشوف الأثرية .

وسوف نتناول بالبحث والتفصيل ماجاء خاصاً بذلك فى هذه المصادر الأربعة :

أولا — الآداب الإسلامية :

لم يُعْنَ المسلمون فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم بدراسة الظروف السياسية والتاريخية للأجناس والشعوب التى ورد ذكرها فى القرآن لأن شغفهم بالدراسات الدينية كان يصرفهم عن التفكير فى شىء آخر فلما تعدى الاسلام تخوم الجزيرة العربية رأى الخلف من المسلمين ضرورة الالمام بالتاريخ القديم لبلاد العرب والتعرف على شعوبها ولتحقيق هذه الرغبة اتجهوا إلى الاستفادة من الوسائل الآتية:

(ا) الاستفادة من القرآن الكريم الذى تعرض فى اختصار لشعوب العرب المختلفة وغيرها من الشعوب الأخرى .

(ب) الأحاديث والشروح التى ذكرت فى كتب التفسير وتعرض

فيها المفسرون للمعلومات الجغرافية والتاريخية بالقرآن ونسبوا فيها بعض الأقوال للنبي وصحابته وإن كانت هذه على أية حال قليلة .

(ح) العهد القديم ، حصـــل المسلمون على بعض المعلومات الجغرافية التى تعرض لها القرآن فى العهد القديم ، الذى ذكر عدداً من القبائل العربية فى بلاد العرب كما ذكر غيرها فى بقية أجزاء العالم ، ومما هو جدير بالملاحظة هنا أن التوراة — بوضعها الحالى — لاتعطينا فى كثير من مواضيعها ، أخبار صحيحة تدعو إلى الإطمئنان والثقة ، وبعض الأحاديث التى ذكرتها لايعدو أن يكون خرافة أو وهم .

(ى) الأحاديث والقصص المتواترة عن العرب الأقدمين .

اشتهر العرب بصفة عامة بتميزهم على غيرهم من الشعوب فى حفظ أسماء أجدادهم وأهم أعمالهم ، ولما تقدم المسلمون فى معرفة الكتابة ضمنوا مؤلفاتهم كل هذه الأخبار المتوارثة ، وعلى الرغم من أن هذا المصدرعرضة لبعض النقد ، إلا إنه ليس هناك ريب ، فى صحةالروايات الموروثة والشواهدالتى أجمع عليها العرب،مثل حياة اسماعيل فى مكة ، وبناء الكعبة ، وتحقيق نسب القرشيين ، حتى عدنان .

(هـ) الأشعار والأمثال العربية .

وصف كتاب العرب وشعراؤهم ، متفاخرين كثيراً من الحوادث التى ضمنوها بعض الحقائق التاريخية ، عن الأعمال المجيدة التى قام بها

اجدادهم وغيرهم من الناس وعن طريق دراسة هذه الأشعار والأمثال يمكن الوصول إلى أدلة جديدة عن كثير من الأمور الجغرافية والسياسية لبعض القبائل العربية .

ومن أجل هذا ، قسم علماء المسلمين الأدب الإسلامى فيما يتعلق بهذا الموضوع إلى الأقسام الآتية :

١ — تفسير القرآن، فسّر ، بعض المفسرين الشواهد الجغرافية التى ذكرت فى القرآن الكريم ، باقتباس بعض الحقائق والبينات التى جاءت فى مصادر ، أخرى .

٢ — تاريخ بلاد العرب : قام بعض العلماء المسلمين من السلف الأولين بوضع عدد من الكتب التى تناولت تاريخ بلاد العرب وشعوبها ، وأول كتاب وضع بهذا المعنى ، ثم فى عهد الخليفة معاوية (٤٠ — ٦٠ ﻫ) .

٣ — جغرافية بلاد العرب : بدأ المسلمون يكتبون عن جغرافية بلاد العرب ، فى الوقت الذى كانوا فيه لا يعلمون شيئاً عن معنى كلمة جغرافيا (الاغريقية) وعلى الرغم من أنهم لم يضعوا مؤلفات عن بلاد القرآن ، فإنهم درسوا كثيراً من البلاد والقبائل المذكورة فى القرآن خلال بحوثهم الجغرافية ، ولهذا ألف العرب نوعاً من الكتب فى هذا الموضوع ، (أولا) كتب تعرضت لجغرافية بلاد العرب فقط . (ثانياً) أخرى عالجت بعض الأقطار التى تشملها بلاد العرب .

٤ ــ علم الأنساب : لعل العرب هم الشعب الوحيد الذى ارتقى بعلم الأنساب حتى صار ، فرعاً خاصاً من فروع الدراسة ، وإنا لنجد أنه حتى الطفل العربى يستطيع أن يسترجع من ذاكرته كثيراً من المعلومات التى يعرفها عن أجداده .

وهناك كثير من العرب ، نرعوا فى هذا النوع من العلوم ، سواء كان ذلك قبل الاسلام أم بعده ، ولما بدأ المسلمون يهتمون بتصنيف الكتب المختلفة كتبوا فى هذا الموضوع أيضاً .

ثانيا — الأدب اليهودى :

منذ عهد موسى حتى مجىء الاسلام فى القرن السابع الميلادى . ظهر عدد من الكتب بعضها سماوية ، وبعضها بشرية ، ولما كانت الفكرة الرئيسية واحدة فى القرآن والكتب اليهودية ، كانت الحقائق والأحداث مشتركة فى كل مها .

والأدب اليهودى يشمل المؤلفات الآتية :

أولا : التوراة التى نزلت على موسى وتتضمن خمسة كتت (يطلق عليها مجموعة الأسفار الخمسة) .

(ا) سفر التكوين Genesis الذى تعرض لخلق الكون كما تحدث فى إيجاز عن آدم ونوح وابراهيم واسماعيل ويعقوب ويوسف .

(ب) سفر الخروج Exoaus الذى يحكى قصة موسى وفرعون .

Moses and Pharaoh وخروج بنى اسرائيل من مصر سنة ١٤٩١ ق.م.

(حـ) سفر الأحبار (اللاويين Leviticus الذى يتضمن القوانين ومبادىء العقيدة ، ويوضح الخير من الشر والحلال والحرام .

(ى) سفر العـدد Numbers الذى يذكر عدد بنى اسرائيل عند خروجهم من مصر ويتعرض لحروب سيدنا موسى ، وبعض مبادىء ديانته .

(هـ) سفر تثنيـة الاشتراع Deucteronomy الذى يتضمن إعادة أحاديث موسى ، والقوانين التى ذُكِرَت فى سفر الخروج Exodus .

ثانيا : الأنبياء Nebhiem وينقسم إلى مجموعتين .

(ا) الأنبياء السابقين مثل يوشع joshua وصمويل Samuel وغيرهم .

(ب) الأنبياء اللاحقين ، مثل عيسى وحزقيل Ezekiel وغيرهم .

ثالثا : المدونات Kethubiu الذى يتضمن المزامير والأمثـــال وانشودة سليمان واستر ودنيال الخ ,

رابعا : الترجمة الأرامية وتفسير التوراه والأنبياء

خامسا : المدراش Midrash وهو يتضمن التقاليد اليهوديه

سادسا : التلمود Talmud وهو مجموعة شرائع وسنن وتقاليد اليهود

ثالثاً — الأدب الكلاسيكي :

تعرض كثير من مؤرخي الأغريق والرومان والجغرافيين والرحالة في مؤلفاتهم لكثير من البلاد والشعوب التي تعرض لها القرآن وبعض هؤلاء الكتاب كانوا يعاصرون هذه القبائل وتلك الشعوب مما جعل لمؤلفاتهم أهمية يركن اليها .

وأهم هؤلاء المؤلفين الكلاسيكيين

١ - هيرودوت Herodotus (٤٨٤ — ٤٢٥ ق . م) الذى كتب عن تاريخ الأغريق والفرس كما تناول فى ايجاز الحديث عن مصر وافريقية وبلاد العرب والواقع أنه لم تكن هناك علاقة مباشرة بين الأغريق وبلاد العرب ، وإنما جاء الاتصال غير المباشر عن طريق مجاورة العرب للفرس الذين كانوا فى حروب مع الأغريق ، ومن أجل ذلك رأى هيرودت أنه من الضرورى أن يتعرض فى تاريخه للعرب أيضا ، وقد ترجم كتابه إلى العربية ، وكانت فكرة هيرودت عن بلاد العرب محدودة جداً ، إذ كان يعتقد أن بلاد العرب ، هى آخر الأقطار التى تقع نحو الجنوب ، وأنه لا يوجد فى ماوراءها بلاد أخرى ، تسكنها أجناس بشرية ، وفضلا عن ذلك ، فقد كان هيرودت لا يعلم شيئا البتة عن الخليج الفارسى الذى يفصل الجزيرة العربية عن بلاد الفرس.

وبعد قرن من تاريخ هيرودت غزا الاسكندر مصر الخ فى سنة ٣٣٢ - ٣٣١ ق . م ، وقد أتاحت هذه الغزوة لجيوشه الفرصة لمعرفة

شيء عن الخليج الفارسي وحدود بلاد العرب ، وكانت لدى الاسكندر رغبة في غزو ، مالم يكن قد أخذه من أراضي بلاد العرب غير أنه نظراً لوفاته المفاجئة سنة ٣٢٣ ق.م لم تتحقق رغبته ، ومع ذلك ، فنتيجة للعلاقات الدبلوماسية بين الأغريق ، وبين مصر وبلاد الفرس ، اتصلوا ؟ بالتجار العرب ، في الاسكندرية والخليج الفارسي وكان من الطبيعي بعد ذلك أن تزداد معلوماتهم عن العرب .

٢ — إراتوستنين Eratos thenes (٢٦٧ — ١٩٤ ق . م) الذي كان مشرفا ومديرا لمكتبة الاسكندرية في عصر البطالمة فقد وضع مؤلفا عن الجعرافية العامة في العالم وعلى الرغم من فقدان هذا الكتاب إلا أن بعض أجزائه قد ضمنها شترابو Strabo (٢٤-١٠ ق . م) في كتابه ؟ ومن حسن الحظ فإن الفصل الخاص ببلاد العرب في ذلك الكتاب ما زال موجودا .

٣ — ديودور Diodorus (الذي ولد بجزيرة صقلية سنة ٨٠ ق . م) وقد وضع كتابا تناول فيه الحديث عن بلاد العرب وبخاصة مايتصل بامبراطورية النبط Nabataean والكعبة المقدسة ، ومما يؤسف له أن جزءاً كبيراً من هذا الكتاب قد ضاع .

٤ — سترابو Strabo (٦٣ — ٣٤ ق . م) وضع كتابه في الجغرافية الذي يصف فيه غزو الرمان لبلاد العرب ، بقيادة الجنرال

اليوش جاليوس Aelius Gallus وقد أشار فيه إلى القبط ، كما الملح لحملة عابرة عن نجران Negran ومأرب Mariaba المعروفتان فى بلاد العرب .

٥ — پلنى Pliny (٢٣ — ٧٩ م) ترك لنا كتابا بعنوان « التاريخ الطبيعى » وصف فيه السواحل الشرقية والغزوة الرومانية لبلاد العرب بقصد كشف هذه السواحل .

٦ — بطليموس Ptolemy، هو العالم الفلكى الجغرافى الاسكندرى فى القرن الثانى للميلاد ، ذلك القرن الذى وصلت فيه الامبراطورية الرومانية إلى قمة المجد ، وقد رسم بطليموس خريطة للعالم كما وضع مؤلفا جغرافيا لتوضيحها ، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية لأول مرة على يد يعقوب الكندى ، ولما كانت هذه الترجمة غير واضحة ، فقد قام ثابت بن قره بترجمته مرة ثانية فى القرن التاسع الميلادى ، وإذا كانت الخريطة الأصلية التى وضعها بطليموس قد فقدت إلا أن الكتاب مازال موجودا ، والواقع إن بطليموس نفسه لم يزر بلاد العرب ولكنه كثيراً ما تقابل مع التجار العرب بمدينة الاسكندرية ، ومن هؤلاء استقى بطليموس كثيراً من المعلومات عن بلاد العرب ، وعلى أساس هذه المعلومات كتب بطليموس عن جغرافية بلاد العرب ، وقد قسم بلاد العرب ثلاثة أقسام طبيعيه .

(١) بلاد العرب السعيدة Arabia Felix

(ب) « « الجبلية Arabia Petra

(حـ) « « الصحراوية Arabia Deserta

وقد وصف بطليموس جميع القبائل المشهورة ، والمدن والقرى والجبال ، والشواطىء وكذلك الطرق التجارية فى بلاد العرب وصفا متقنا ، غير أن أسماءهم قد تغيرت تغيرا جوهريا إلى درجة يستحيل معها التعرف على معظمها ، وقد نبذ المؤرخ المعروف بنبرى Bunbury هذا الكتاب ظنا منه أنه بنى على أسس من الوهم والخيال ، غير أن المستشرق الألمانى دكتور سبرنجر Dr. Sprenger الذى وضع كتابا عن الجغرافية القديمة لبلاد العرب Ancient Ceography of Arabia ونشر فى سنة ١٨٧٥ لخص المعلومات الواردة فى كتاب بطليموس وحققها وصححها مستعينا بكتب الجغرافيين العرب ، وأعلن أنه كتاب جدير بالثقة .

أما الجغرافيون المسلمون مثل المسعودى وياقوت الحموى فقد ذكروا فى مؤلفاتهم أن كتاب بطليموس كتاب غامض ، وأنه أخطأ فهم القبائل البدوية غير المستقرة وسلك جنبات الصواب فى تفسير أحوالها وأنه لذلك لا يمكن الاعتماد عليه أو الوثوق به فى هذا الموضوع .

وبالاضافة إلى المؤلفين اليونانيين والرومانيين يوجد مؤلف يهودى

---

(١) كتاب الفهرست ص ٢٦٨ .

يستحق الذكر اسمه يوسف فلافيوس josephus flavius عاش. بالاسكندرية فى القرن الأول الميلادى، ووضع عدة مؤلفات باليونانية. واللاتينيه تعرض فيها لتاريخ وديانة اليهود، وقد ترجمت هذه الكتب إلى الانجليزية، مثل «تاريخ الحرب اليهودية» و «فلسفة اليهود» و «آثار اليهود». وهى تشمل حقائق هامة عن بتاريخ التوراة، وتعتبر هذه المؤلفات على جانب كبير من الأهمية لأن مؤلفها هذا المؤرخ اليهودى الوحيد فى التاريخ القديم ولأنه ظهر فى ذلك الوقت. الذى كانت مكتبة الاسكندرية ما تزال موجودة[1].

---

(١) أسست مكتبة الأسكندرية ونمت نمواً سريعاً فى عهد بطليموس الأول؛ وكانت تحوى فى ذلك الوقت مجموعة كبيرة من الكتب تبلغ خمسين ألف مجلد، وعلى مر الزمن إزداد عدد الكتب حتى وصل الى سبعماية ألف مجلد (٧٠٠،٠٠٠) مجلد وكانت تشمل كثيراً من كتب الأدب الرومانية واليونانية والهندية والمصرية ذات القيمة الكبيرة، ولما حاصر يوليس قيصر مدينة الأسكندرية اشتعلت النيران بمعظم محتويات المكتبة وفى لمح البصر تحولت هذه الثروة العلمية التى أدخرها الباحثون عن العلم إلى رماد ثم لم تلبث أن استعيض عنها بمجموعة أخرى فى عهد برجاموس Pergamos وأهداها مارك انطونى إلى كليوبترا، أما الجزء الباقى من المكتبة الذى نقل إلى معبد السرابيوم فقد دمره المتعصبون من دهماء المسيحيين فى الثورة التى تزعمها المطران ثيوفيلس Theophilss تنفيذاً للأمر الملكى الذى أصدره الملك توضروس والذى كان يقضى بتدمير المعابد الوثنية جميعاً بما فى ذلك التحف والذخائر الأدبية الثمينة فى مدينة رومة سنة ٣٩١م، وقد ابتدع أبو الفرج الملطى وهو كاتب مسيحى (عاش فى القرن الثانى عشر الميلادى) قصة زعم فيها أن مكتبة الأسكندرية أحرقها المسلمون بعد فتح مصر سنة ٦٤١ م فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب غير أن هذه القصة لاتستند إلى أساس صحيح وهى نتيجة لدعاية خبيثة، وهناك أدلة قوية على أنه لم تكن هناك مكتبة ←

رابعا — الكشوف الأثرية :

إن فى بقاع كثيرة فى الجزيرة العربية آثار كثيرة عليها نقوش وصور وكتابات ، وصل عن طريقها خبراء الآثار إلى نتائج على جانب كبير من الأهمية ، وقد وجدت معظم هذه النقوش باللغات الحميرية والآرامية والقبطية والسبأية ، وقد وصلت رموز تلك النقوش فى أوخر عهد الأمويين وأوائل العباسيين ، كما تمكن بعض المستكشفين المسلمين من الوصول إلى استكشافات هامة نجملها فيما يأتى :

١ — الحمدانى Hamdani الجغرافى المعروف سرد الآثار الهامة فى جزيرة العرب فى مؤلفه « الأكليل » ثم لم يلبث أن وصفها بإيجاز فى كتابه « صفات جزيرة العرب » [١]

هناك قلعة « نايت Nait » التى بناها أحد ملوك اليمن على قمة جبل قبل الاسلام بألف وخمسمائة عام . وهى تشمل بعض النقوش التى حل رموزها أخيراً وهب بن مانبا Waheb bin manba الذى كان صاحبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وترجمة هذه النقوش هى :

---

(١) قام بنشر هذا الكتاب دكتور ملر .

← بالإسكندرية وقت الفتح الإسلامى اذ لم يبق من المكتبة بعد تدميرها فى سنة ٣٩١م ما يدمره المسلمون فى سنة ٦٤١ م وأن مثل هذه الهمجية المخربة لا يمكن أن تتفق مع ما عرف عن شخصية عمر المحبة للثقافة وروحه الحرة ونفسه السمحة التى عرف بها ذلك الحاكم العظيم كما أنها تتعارض مع الديانة العظيمة التى يدين بها .

« شُيِّدَ هذا الصرح فى وقت كنا نستورد فيه غلالنا من مصر » وقد ذكر وَهْبٌ أنه قد اتضح له بعد الحساب والتقدير أن هذه القلعة قد بنيت منذ ألف وسمائة عام(١) .

١ — أثناء خلافة معاوية بن أبى سفيان (٤٠ — ٦٠ هـ) كشف عبدالرحمن والى مصر بعض النقوش القديمة فى قلعة خربة بحضرموت تدعى حصن الغراب Hisni— churab. وقد ترجم هذه النقوش إلى الانجليزية جنافورستر John Frater فى كتابة الجغرافيا التاريخية للجزيرة العربية كما يلى :

قنصنا الوحوش والطير من البر بواسطة الجبال والغاب وأخرجنا الأسماك من أعماق البحـــار ، وكان يحكمنا ملوك مبرأين من الخسة والدناءة أشداء على ذوى الخيانة والغدر ، نزلوا عند رغبتنا فى الحكم وفق شريعة هود والقوانين العادلة ، ونحن نؤمن بالمعجزات وبالبعث والنشور وبقوة الاله ، وعندما ينزل أعداؤنا بأرضنا لغزونا نتقدم جميعاً متحدين وفى أيدينا حرابنا المشرعة(٢) .

---

(١) أشار ياقوت لهذه القلعة فى كتابه معجم البلدان كما أشار إليها الشاعر أمهى القيس .

(٢) أنظر فوستر Forster's Gcegraphy, vol. 11 pp 90- 93 نقلا عن مسالك الأبصار (مما يؤسف له أن المؤلف لم يذكر الجزء والصفحة للرجوع للنص الأصلى) .

وقد حصلت البعثة التى أوفدتها شركة الهند الشرقية إلى اليمن سنة ١٧٣٤ على هذه النقوش السابقة وكانت مكتوبة بحروف حميدية ويرى چون فوستر أن هذه النقوش تمت لعاد ، وأن تاريخها يرجع إلى سنة ١٨٠٠ ق.م وهى من أقدم النقوش العربية .

٣ — فى وقت المؤرخ المعروف الكلبى Ka lbi عثر شخص من قبيلة ذى القلاع DhuKala على عرش فى بلاد اليمن ، عليه رفات جثة وإلى جانبها ترس ذهبى مرصع بالياقوت ، وقد عثر على العرش النقوش الآتية :

« باسم الله رب حمير ، أنا حسن بن عمار نافل Amar Nafil

٤ — عثر حماد الرواى Ham mad Rawi على سهم من عهد عاد فوق قمة جبل عليه بعض العبارات المنقوشة وترجمتها كما يلى:

هل سيقدر لنا قبل وفاتنا أن نعود إلى بيوتنا المشيدة فى ذى اللوى Dhul Sawa هذه المدن التى عشنا فيها واحببناها ، وقد كان ذلك فى الوقت الذى كانت فيه المدن مدناً جقاً وكان سكانها سكاناً حقاً[1] .

٥ — ولقد ذكر ابن هشام أنه وجد باليمن مقبرة مفتوحة نتيجة للطوفان أخرجت منها رفاة أمرأة قدلف حول عنقها أشرطة من اللؤلؤ ، وخواتم مرصعة بالأحجار الكريمة فى أصابعها . كما وجدت لوحة عليها نقوش ترجمها جون فوستر بما يلى :

---

(١) أنظر معجم البلدان .

باسم الله ، إله حمير :

أنا تاجة Tajah أبنة ذوشفار Dhu Shefar أرسلت وكيلى إلى يوسف .

ولما تأخر فى العودة إلى أرسلت إليه وصيفتى

ومعها مكيال من الفضة ليرده إلى مكيال من دقيق

ولما عجزت عن الحصول عليه أرسلتها بمكيال من ذهب

ولما عجزت عن الحصول أرسلتها بمكيال من لؤلؤ

ولما عجزت عن الحصول عليه أصدرت أمراً بطحنها

ولما لم أجد أية فائدة منها كان مصيرى الدفن هنا

فإلى كل من يسمع عنى ، هلا رثى لمصيرى

وإلى أى امرأة تفكر فى التحلى بحلية من زينتى

أن تلقى نفس الميتة التى لقيتها[١] .

هذه النقوش السالفة تنتمى إلى زمن النبي يوسف ، وهى تؤيد تماماً ما جاء فى القرآن خاصاً بذلك القحط الذى أهلك عدداً من الأمم فى تلك العصور[٢] وفوق ذلك فهى توضح لنا أيضاً كيف عرف بعض

---

(١) J. Forester's Historical Geography of Arabia, vol. II, pp. 102—3.

(٢) اقرأ ما ورد فى القرآن بشأن ذلك فى سورة يوسف .

العرب الكتابة فى عصور مبكرة، وأن الحميريين قد عرفوا الله واتخذوه رباً لهم .

وقد تعرض الهمدانى Hamdani الذى برع فى البحوث الأثرية لوصف هذه النقوش فى الكتاب الثامن من مصنفه الكبير «الأكليل» كما تعرض لذلك أيضاً المقدسى وياقوت والنويرى والقزوينى وغيرهم فقد ذكروا هذه الاستكشافات وتلك النقوش فى مؤلفاتهم .

إذا تركنا هذه الاستكشافات التى وردت على لسان المشرقيين ، واتجهنا نحو البحوث الغربية رأينا كثيراً من العلماء الأوروبيين الرحالين المغامرين الذين استهوتهم هذه الأماكن التى تعرض لها العهد القديم . ولما كانت هذه الأماكن تقع فى قلب بلاد العرب أو قريبة منها فقد وجهوا بعوثهم شطر بابل ومصر وفلسطين .

ولقد كان نيبهور Niehbuhr أول مخاطر أوربى اتجه نحو بلاد العرب وقد بدأ رحلته فى سنة ١٧٦١ م وذهب بمفرده إلى بلاد اليمن ، فلما قامت الحرب بين محمد على باشا وأمير نجد أيدت أوربا موقف مصر فى ذلك . وهكذا وجد المخاطرون المغامرون الأوربيون منفذاً للأقاليم المختلفة فى بلاد العرب ، والجدير بالذكر هنا أن ننوه بأن معظم هؤلاء المغامرون كانت تحركهم الأغراض الاستعمارية أكثر مما يدفعهم البحث العلمى البحت ولقد ضمن هوجارث Hoganrh فى مؤلفه جميع

البحوث والاستكشافات التي قام بها الأوربيون في ذلك السبيل كما أن موجزاً لذلك قد نُشِر في دائرة المعارف البريطانية (الجزء الثاني تحت مادة بلاد العرب) .

وتتضمن المادة التي نحن بصددها والتي نقتبس بعضاً منها من دائرة المعارف البريطانية .

(أولا) الأقاليم التي أتيح للأوروبيين ارتيادها .

(ثانياً) الآثار والنقوش التي تمكنوا من كشفها .

القسم الأول

أكثر أقاليم الجزيرة العربية حظاً من هذه الكشوف اليمن الذى يقع فى الركن الجنوبى الغربى لشبه الجزيرة ، حيث توصل الرحالون المتتابعون (من نيبهر Niebuhr فى سنة ١٧٦١ إلى جلاسر E. Glasser وما نزونى R. Manzoni سنة ١٨٨٧) إلى معلومات تكاد تكون تامة عن الجزء الذى يشمل المقاطعة التى تقع غربى العاصمة صنعاء ، وفى الوقت نفسه مكنت العمليات الإنجليزية التركية الخاصة بتخطيط الحدود بين سنتى ١٩٠٢ ، ١٩٠٤ من إنجاز عملية مسح طبوغرافى منسق للمحميات الإنجليزية من البحر الأحمر حتى وادى بانا Bana شرقى عدن بثلاثين ميلا ، أما فى شمال اليمن حتى الحدود الحجازية ، فالمرجع الوحيد لهذا الجزء هو تلك الخريطة التى وضعها جورماد Jomad وطبعت فى سنه ١٨٣٩ ، وقد وضعت هذه الخريطة وفقاً للمعلومات التى تقدم بها بعض الضباط الفرنسيين الذين كانوا يعملون فى جيش إبراهيم باشا فى عسير Asir بين سنتى ١٨٢٤ ، ١٨٢٧ ، ومعلومات هالقى J. Halevy عن نجران Nejran أما عن الساحل الجنوبى فلم تستطع البعثات أن تنفذ إلا إلى مسافات قصيرة ولا يستثنى

من ذلك سوى بعثة هرش Hirseh وبنت Bent إلى وادى حضرموت سنة ١٨٧ ، وقد أستطاع س . ب ميلز Miles و چ . ر ولستد Welsted و س . م زومر Zwemer أن يرتادوا عمان فى أقصى شرق الجزيرة ، ولكن الأراضى التى تقع فى الداخل جنوب الخط الواصل من « الطائف » إلى « قطر » على الخليج الفارسى ما زالت أرضاً بكراً[1] وفى شمال بلاد العرب تمكن عدة من الرحالين من عبور صحراء الشام والنفود الكبرى ، وعلى الرغم من ذلك فهناك مساحة كبيرة فى الشمال الشرقى بين قاسم Kasim والخليج الفارسى لم تكشف بعد[2] وفى الوسط استطاعت الرحلات التى قام بها بالجراف Balgrave ودوتى Douggty وبلنت Blunt وهبر Huber أن توضح كثيراً من المعالم الطبيعية الرئيسية لهذا القطر ، وأخيراً تم كشف شبه جزيرة سينا فى الشمال الغربى كشفا دقيقاً كاملا ، وهناك قائمة طويلة بأسماء أولئك الذين زاروا المدن المقدسة واجتازوا طرق الحج عبر الحجاز الجنوبى لاتزال غير معروفة تمام المعرفة بسبب الصعاب الخاصة بهذا الأقليم .

وقصة الارتياد الحديثة تبدأ من إرسال الحكومة الدانيمركية لبعثة نيبهر Niebuhr عام ١٧٦١ م فبعد سنة قضتها البعثة فى مصر

---

(١) حتى نشر هذا الكتاب سنة ١٩٣٦ (المترجم) .

(٢) » » » » » » » (») .

وشبه جزيرة سينا ، وصلت إلى جدة قبل نهاية ١٧٦٢ م وبعد استراحة قصيرة أبحرت إلى لحية Lohaia فى شمال اليمن ، وكان كشفها الهدف الرئيسى للبعثة ، ومن ثم ساروا عبر تهامة أى الأراضى الواطئة وزاروا بيت الفاكه Bet-el Fakih وزبيد Zubed والمخه Mokha أكبر ميناء لتجارة البن فى اليمن فى ذلك الحين ، ثم استمروا فى رحلتهم شرقاً وعبروا الأقاليم الجبلية حتى وصلوا إلى مرتفعات اليمن عند عدن Uden وهى بلد تقع وسط إقليم مشهور ببنه ثم اتجهوا شرقاً إلى جهات أكثر ارتفاعاً حيث تتوارى زراعة البن وتفسح المكان لحقول القمح والشعير ، ثم وصلوا إلى مدينة جبله Jibla التى تقع وسط سلاسل جبلية يصل ارتفاعها إلى عشرة آلاف قدم فوق سطح البحر ، ثم انعطفوا جنوبا نحو تعز Taiz وهبطوا عائدين ثانية إلى تهامة عن طريق حز يز Hez وزبيد ، والمخه ، وقد نقص عدد أفراد البعثة بفقدها العالم الأثرى فون هافن Von Haven ثم زاروا تعز Taiz ثانية فى عام ١٧٦٣ وحصلوا بعد لأى على إذن بزيارة صنعاء Sana عاصمة المقاطعة ، ومحل إقامة السيد الحاكم أو الإمام وكان الطريق يحف جبله Jibla مارا بسفح جبل سوراق الشاهق حيث قام العالم النباتى فورسكال Forskal بآخر جولة له على الرغم من مرضه ، وبعد رحلته هذه ببضعة أيام توفى باريم ، واستأنفت البعثة رحلتها مارة ظهر الحمار Dharnar مقر جامعة لطائفة الزيدية كان يختلف إليها

ويؤمها خمسمائة طالب ، ومن ثم بعد مراحل أربع فوق أرض معظمها هضاب تنتابها العواصف وتشرف عليها جبال جرداء قاحلة ، وصلوا إلى صنعاء Sana حيث استقبلهم الإمام المهدى عباس بتحية كريمة ، وقد لايختلف مظهر المدينة التى وصفها "نيبْهُر" عما هى عليه الآن . وقد وصف نيبهر هذا الموقع عند سفوح جبال نِقْمْ Nukum التى ترتفع إلى ألف قدم فوق سطح الوادى والحصن ، وقصر الأئمة الذى حل مكانه الآن المستشفى العسكرى التركى ، وضاحية بئر العزب بمساكنها وحدائقها المتناثرة ، وحى اليهود وقرية الروضة التى تبعد شمالا بضعة أميال ، وسط سهل خصيب منزرع يُشبِّهه "نيبُهرْ" بسهل دمشق . وبعد أن مكثت البعثة عشرة أيام بمدينة صنعاء بدأت سيرها مرة أخرى نحو المخة فى نفس الطريق الذى يصل العاصمة بالحديدة الآن ، مخترقين إقليم حراز Haraz الغنى بشجيرات البن ومنه جنوبا إلى المخه ، ومنها أبحروا إلى الهند ، وفى السنة التالية توفى ثلاثة آخرون من أعضاء البعثة ولم يبق على قيد الحياة غير نيبهر وحده ، ولما عاد إلى بلاد العرب بعد سنة أخرى قام بزيارة عمان ، وشواطئ الخليج الفارسى ، ثم سافر من البصرة عبر سوريا وفلسطين حتى وصل إلى الدانمرك سنة ١٧٦٤ بعد أن غاب عنها أربع سنوات ولقد كان ذلك الوقت مؤاتيا لمثل هذه البعثة العلمية .

إن التعصب الدينى الذى ظهر فى بلاد العرب فى العشرين سنة

الأخيرة السابقة للبعثة ، لم يصل أثره إلى اليمن ، مما جعل هذا القطر غير معرض لأى خطر من هذا النوع ولذلك كان يستطيع الرحالون التنقل أحراراً ويتابعون بحوثهم العلمية دون أن يحول بينهم وبينها تدخل من الحاكم أو الشعب ، وإن النتائج التى أمكن الوصول إليها وتم نشرها فى سنة ١٧٧٢ أمدتنا لأول مرة بوصف شامل ليس لبلاد اليمن وحدها بل لكل بلاد العرب ، وبخاصة تلك الجهات التى ارتادها نيبهر فقد وصفها وصفاً دقيقاً كاملا مفصلا لم يترك لمن جاء بعده شيئاً يكشفه .

وفى سنة ١٨٢٥ قام اهرنبرج S. g. Ehrenberg وهمبرتش W. F. Hemprich بزيارة تهامة وبعض جزر الساحلية وفى عام ١٨٣٦ قام بوتا Botta برحلة هامة فى جنوب اليمن مستهدفا بحوثا نباتية غير ان الفضل فى تقدم المعلومات الجغرافية فى جنوب بلاد العرب يُعزَى إلى بعض الضباط الفرنسيين تاميزيه Tamisieh وشيدفو Shedufau ومارى Mary الذين كانوا تحت لواء الجيش المصرى فى عسير ، وكان أول من زار الجوف الجنوبى Sautbern saug فرنسى آخر يدعى ارنود Arnoud من موظفى الحكومة المصرية وقد كتب عن النقوش المحفورة على الصخر ، وبقايا مارب .

وما كادت تأتى سنة ١٨٦٩ حتى تمكن هالفى Haleuy أحد علماء الآثار الأكفاء من القيام بكشف تلك الجهات كشفاً كاملا وقد بدأ

هالفى من صنعاء ثم اتجه إلى الشمال الشرقى حتى وصل إلى مدينة المديد El madid عاصمة إقليم نِهم، Nihm ويبلغ عدد سكانها خمسة آلاف نسمه وفى أثناء عبوره أحد النجود شاهد بقايا بعض الأبراج ذات الشرفات ثم وصل إلى قرية مجزار Migzar عند سفح جبال يام Yam على حدود الجوف Cauf أحد السهول الرملية الفسيحة الذى يمتد شرقا إلى الچيل El Jail والحزام Hazam حيث قام هالفى Halevy بأعظم استكشافاته للنقوش السبائية ثم ارتاد بعد ذلك معين Main العاصمة القديمة للمعينين وكامنا Camna على جانبى خريد Kherid وهى كامينا كم القديمة) وخرابة البيضاء Kharipat - el - Beda التى هُزِمَ عندها الرومانيون من جيش سبأ بقيادة اليوس جالوس Aelius gallus سنة ٢٤ ق . م ، ومن الچيل سافر هالفى شمالا مارا بواحة جاز Khas ثم سار متاخما الصحراء الكبرى حتى وصل اقليم نجران Niejran الخصيب حيث وجد مستعمرة يهودية قضى بها عدة أسابيع فى واحة مخلاف Makhlaf وبعد مسير ساعة نحو الشرق كشف فى قرية مدينة المهود Madinatul mahud بقايا عاصمة نجران البطلمية Nagra me topolis of ptolemy وفى يونيه سنة ١٨٧٠ وصل أخيرا إلى مأرب Marib وهى الهدف الأول لرحلته وهناك اتاد بقايا مدينة النحاس (وقد سميت بذلك الاسم لكثرة ما وجد من نقوش محفورة على لوحات نحاسية) وبعد مسيرة ساعتين نحو الشرق وجد السد العظيم

الذى شيده الحميريون عَبْر شيبوه Shipuan الذى كانت تعتمد العاصمة على مياهه .

وهناك رائد آخر قام بزيارة مارب بعد ذلك هو العالم الأثرى الاسترالى جلاسر E. Glaser (١٨٥٥ — ١٩٠٨) الذى أفاد العلم عن اليمن أكثر مما وصل إليه غيره منذ نيبهر ، وقد زار هذا الرحالة — تحت الحماية التركية — أرض حاشد Hashid وبقيل Bakel وهى قبائل تعيش فى الشمال الشرقى لصنعاء ، وعلى الرغم من أن مظاهر العداء أرغمته على العودة بعد وصوله إلى خَمِرْ Khamr أول مدينة هامة من مداتهم إلا أنه وجد من الوقت ما ساعده على استكشاف ذلك النجد الذى يقع بين المدينتين الكبيرتين خريد Kharrid وحران Hiran وقد كان هذا النجد قديماً عدة مدن وقرى حميرية ، كما استطاع أن يتتبع هذه الأودية حتى ملتقاها عند العش El Lsh من بلاد ذى الحسن ومنها سار إلى الأمام حتى الجوف Jauf ، وفى سنة ١٨٨٩ أحرز نجاحاً ثانياً تحت حراسة تركية ، فى الوصول إلى مارب ، واستطاع الحصول فى مدى ثلاثين يوماً قضاها فى تلك البلاد على عدد كبير من النقوش الجديدة الحميرية ، ولم يكن باستطاعته أن يتقدم نحو الشرق أكثر مما فعل أسلافه ، وما زالت مسألة تصريف المياه فى الجوف واحتمال اتصالها بالقسم العلوى من وادى حضرموت باقية ولم تحل بعد .

ارتياد حضرموت :

وأول محاولة للتوغل فى الداخل من الشاطئ الجنوبى كانت فى سنة ١٩٣٥. عند ما زار ليوت Lieuts وكروتندن Cruttenden و ولستد Wellsted، الذى كان يعمل بالمساحة البحرية للشواطئ العربية آثار نقب الحجر Nahb le Hajar فى وادى مفات W. Mef'at وكانت النقوش الحميرية التى وجدت هناك ، وفى حصن الغراب بالقرب من مُكلا Mukalla أول سجلات كشفت عن الحضارة العربية القديمة فى حضرموت ، ولم يحاول أحد من أولئك الضباط متابعة استكشافاته ولكن فى سنة ١٨٤٣ نزل ادولف فون ريد Adolf von Wrede وتزيا بلباس حاج إلى ضريح النبى هود ، واتخذ طريقه نحو الشمال عبر النجد العالى إلى وادى دَوّان Dwaun وهو أحد الفروع الجنوبية لوادى حضرموت ، ثم سار بعد ذلك إلى حافة الصحراء الكبرى الجنوبية ، وفى أثناء عودته إلىوادى دَوّان W. Duwan اكتُشِفَ تنكره ، وأرغم على العودة إلى مُكلا ، ولو أنه لم يتمكن من دخول وادى حضرموت الرئيسى فقد أيدت هذه الرحلة وجود ذلك الاقليم الخصيب الآهل بالسكان الذى كان يخبر عنه ضباط الپالينرى Paleourus بأنه يقع بين سلسلة الجبال الساحلية والصحراء الكبرى فى الشمال وقد زار هذا الاقليم أخيرا هيرش Hirch سنة ١٨٩٣ تحت حماية سلطان

مُكلاَّ Mukalla زعيم قبيلة القيطانيين وحاكم اقليم حضرموت عدا مدينتى سيوانْ Seiyun وتريم Tarim اللتان تتبعـــان قبيلة قطيرى Kathiri .

وقد بدأ هيرش Hirch جولته من مُكلاَّ Mukalla كما فعل ڤون ريد ورار وادى دَوَّان وتفقد الآثار والنقوش الموجودة بجوار قرية هجران Hajren ومن ثم سار نحو الشمال الشرقى إلى بلدة حوطه Hauta فى الوادى الرئيسى حيث استقبله سلطان القيطانيين استقبالا كريما وأرسل إلى نائبه فى شيبام Shibam وهناك حصل على حرس قطرى ودخل مدينة سِيوانْ وتريم العاصمة القديمة وبعـد زيارة قصيرة اضطر للعودة على عجل إلى شيبام تحت ضغط عداء السكان ومنها عاد إلى المكلا Mukalla .

وبعد شهور قليلة سار فى نفس الطريق تيودور بنت Theodors Bent وزوجته ترافقهما بعثة مجهزة تجهيزا جيدا تشمل أحد مساحى أراضى الأمام شريف الذى اعارته الحكومة الهندية للبعثة ، وقد استطاع أن يقوم بمساحة قيمة للبلاد التى مرت بها البعثة ، وقد زارت كلا الجماعتين عدة أماكن توجد بها أثار و نقوش حميرية .

ولكن الروح العدائية التى كانت تسود المواطنين وبخاصة السادة أصحاب السلطان الدينى فى حضرموت ، وقفت حائلا دون أى بحث دقيق ، ومن أجل ذلك فما لا شك فيه أن كثيرا من المعلومات الأثرية ما زالت تنتظر جهود رحالة لمستقبل .

أما فى عمان Aman حيث الظروف أكثر ملاءمة فقد ارتاد المستكشفون مسافات قليلة من الشاطىء ولم يتوغل نيبهر Niepuhr فى الداخل أبعد من مسقط (عاصمة الامارة) السلطنة وأن العمليات التى كانت تقوم بها إحدى القوات الهندية الانجليزية على شواطىء القرصان سنة ١٨١٠ لم تتح الفرصة للمرتادين للتوغل فى الداخل .

وأنه فى سنة ١٨٣٥ نزل ولتسد Wellsted (الذى كان قد حاول من قبل اختراق حضرموت من الجنوب) بمسقط وفى رأسه فكرة الوصول إليها من الشمال الشرقى ومن ثم أبحر إلى صور Sur بالقرب من رأس الحد Ras - el - had ثم سافر جنوبا مارا ببلاد بنى أبو على Banibu ali إلى حدود الصحراء ثم انعطف نحو الشمال الغربى وسار فى وادى بيثا wabi Beiha خلال بلاد خصيبة كثيرة المياه ثم أسرع نحو المنحدرات الجنوبية لوادى الجبل الأخضر التى كان يسكنها قوم أحسنوا الترحيب به اينما حل وزار عبرا Jbra وسمد Semed ونزوا Nizwa عند السفوح الجنوبية للجبال ، ونظراً لاضطراب الحالة فى البلاد بسبب حضور بعض الجماعات المغيرة من نجد Nejd لم يتمكن ولستد من تحقيق أهدافه الأصلية فى كشف النواحى الغربية للبلاد وبعد رحلة قصيرة على طول ساحل باثينا Batnia حتى سحار Sohar قفل راجعا إلى الهند .

وفى عام ١٦٧٦ أخذ الكولونيل ميلز Miles (الذى كان قد قام

بجهود لتحقيق بعض الأغراض الجغرافية، فى جنوب بلاد العرب) يعمل على اتمام ما بدأه ولستد Wellsted فى عمان ، فبدأ من صحار ، على ساحل باثينا Batina وعبر السلاسل المقسمة عند ضهيرة Dhaira ، ووصل إلى البريمى Biremo إحدى واحات هـــذا الاقليم الهامة ، وقد دلَّتْهُ بحوثه على أن الضهيرة بها كثيرة من المنازل ويقطنها شعب صناعى زراعى ، وأن الجزء الذى لم يكشف بعد بها يمتد نحو مائتين وخمسين ميلا فى غرب شبه جزيرة القطر El Katr ، وهى مراع مقفرة تعلو سطحها الحصباء تنحدر تدريجياً نحو مستنقعات ملحية تحف بشواطى الخليج الفارسى .

إذا تركنا جنوب بلاد العرب وعدنا إلى الوسط والشمال نجد أن أول مرتاد ، دخل بلاد الحجاز المقدسة ، لأغراض علمية ، خالصة هو الرحالة الإسبانى باديای ابليش Bapiay la blich تحت اسم على بك ، مدعياً أنه من سلالة الخلفاء العباسيين ، ووصل إلى جده سنة ١٨٠٧ ، وأدى فريضة الحج بمكة وفوق ماقام به هذا العالم من وصف دقيق للمدينة المقدسة ، ومناسك الحج ، كان أول من حدد موقع مكة مستعيناً بالأرصاد الفلكية ، ووصف أهم المميزات الطبيعية للجهات المحيطة بها ، أما بُركاردت Burchardt فيعتبر الرائد الحقيق لكشف القطر الحجازى ، وقد كسب شهرة كبيرة لاستكشافه إقليم البطراء Petra كما أن تجاربه الواسعة ، فى ارتياد البلاد العربية ، ومعرفته

بأحوال العرب وطرق حياتهم قد مكنه من التجوال كرجل مسلم حتى في المراكز الإسلامية .

نزل «بر كاردت Burchardet في جده في يولية سنة ١٨١٤[1] وكان محمد على قد انتصر على الوهابيين ، وطردهم من الحجاز، كما كان يتجهز للخطوة الثانية بمهاجمتهم في معاقلهم بنجد ، وبدأ بزيارة الطائف Jaif وكان في استقبال الباشا بها ، ومن ثم اتجه إلى مكة ، حيث قضى ،ثلاثة أشهر يدرس طبوغرافية الأماكن المقدسة ، واشترك في جميع الشعائر التي يجب على كل حاج مسلم أن يؤديها ، وفي يناير سنة ١٨١٥ ، رحل إلى المدينة ، عن طريق الساحل الغربي ووصل إليها بسلام ، ولكن صحته بدأت تعتل نتيجة لما كابده في السفر من مشاق ، غير أن اعتلال صحته لم يمنعه من تدوين كل ذى أهمية في المدينة بنفس العناية التي بذلها في مكة ، وإن كان قد اضطره إلى اختصار الرحلة التي كان قد انتواها ، وعاد بحراً إلى القاهرة حيث توفي بها بعد سنتين .

ثم جاء من بعده خلفه المشهور سير ريتشارد برتون Sir Richard Burton الذى ارتاد نفس المنطقة تقريباً بعد ثمان وثلاثين سنة من رحلة سلفه ، وقد سافر هو أيضاً كحاج مسلم وسجل جميع الشعائر والمناسك الدينية أثناء الحج ، بنفس الحذق والملاحظة الدقيقة التي

---

(١) كتبت في الأصل ١٩١٤ ، وهو خطأ مطبعي لأنه لا يتفق مع سياق الأحداث التاريخية (المترجم)

كان يتصف بها بركاردت Burchardt ويمتاز على وصف بركاردت للمدينة فقد أيد دقته فى وصفها ووصف مكة ويعتبر وصف برتون الطبوغرافى أكثر وفاء كما أن اتخاذه الطريق الشرقى من مكة إلى المدينة جعله يعبر بلاداً لم يسبق لمستكشف غيره أن عبره بالحجاز وهذا الطريق يتجه فى بدايته نحو الجنوب الشرقى للمدينة، ثم يتجه عبر طبقات الحرة الحمية ملتزما فى طولها النجد العالى الذى ، يكون الحدود بين الحجاز ونجد ، وكانت نيته الأصلية بعد زيارة مكة أن يعبر بلاد العرب إلى عمان ، غير أنه وجد أن الوقت الباقى من أجازته ، وكان ضابطاً بالجيش الهندى) ، لا يسمح بمثل هذه الرحلة الطويلة ، هذا وإن الاعانات الأضافية الممنوحة له عن بحوثه فى جغرافية بلاد العرب ، لم يتسلمها إلا بعد خمسة وعشرين عاماً ، حينما ندبته الحكومة المصرية لفحص الرواسب الذهبية ، فى مدينى ، Midian ولقد وجدت آثار الأعمال القديمة فى عدة أماكن ، غير أن مصادر هذا الذهب لم تكن تحتوى على كميات مجزية وقد استكشفت عدة آثار هامة ، كما أنجزت رسوم طبوغرافية قيمة على طول ساحل مدينى من رأس خليج العقبة إلى مدخل وادى حمد Wadi Hamd وتشمل سلسلة تهامة ووادى حسمه Hisma بينما بدأت تظهر للوجود أهمية وادى حمد ، وعرف مدى المساحة التى تصرفها فروعه .

ولقد كان بروكاردت Bruchardt يأمل أن تتيح التجريدة

المصرية فى بلاد العرب له فرصة ارتياد نجد ، غير أنه لم يلبث أن غادرها قبل أن يقهر ابراهيم باشا الوهابيين ويديل دولتهم ويفتح بلاد نجد للسافرين من الحجاز ، وعلى الرغم من أن كثيراً من الأوربيين قد صحبوا ابراهيم فى غزوته ، إلا أن أحداً منهم لم يدون شيئاً ، وهكذا كانت الغزوة المصرية لنجد هى التى أتاحت لأول مرتاد انجليزى فرصة الدخول الى تلك البلاد ، ذلك أن الحكومة الهندية أرادت أن تدخل فى مباحثات مع ابراهيم باشا الحاكم الحقيق لنجد والحسا El Hasa لكبح جماح القرصنة فى الخليج الفارسى التى كانت تؤثر على تجارة الهند تأثيراً خطيراً ، فأرسلت بعثة صغيرة بقيادة الكابتن سادلر Sadlier ظاهرها تهنئة الباشا بفوز الجيوش المصرية وغرضها الخفى الحصول على تقرير مكتوب عن حقيقة الموقف فى نجد ، غير أن سادلر ما كاد يصل إلى الهفوف Hofuf حتى وجد ابراهيم باشا قد غادر الدرعية Deraige ولكنه كان يرى ضرورة اللحاق به ، قبل مغادرته نجد ، فأخذ يتتبع الجيوش المصرية المنسحبة عبر اليمامة Yemama ووشم Wushm إلى رأس قاسم Ras Kasim وهناك استطاع اللحاق بجيش ابراهيم الرئيسى فى الوقت الذى كان فيه القائد قد وصل بنفسه إلى المدينة ، وهنا بدأ سادلر يتردد فى متابعة اللحاق بابراهيم ، ولكن لم يكن فى استطاعته الحصول على حرس يرافقه إلى البصرة فيضمن سلامته كما كان يخشى أيضاً العودة من نفس الطريق الذى

جاه منه ، ولذلك اضطر غير راغب ، إلى مصاحبة الجيش المصرى إلى المدينة ، وهناك استطاع أن يقابل ابراهيم ، وعلى الرغم مما قوبل به سادلر من أدب المجاملة إلا أن المقابلة لم تكن مجدية ، إذ أنه لم يستطع الوصول مع ابراهيم باشا إلى أية نتائج وغادر المدينة إلى ينبع Yambu ثم أبحر إلى جده ، حيث قابل ابراهيم مقابلة ثانية كانت كسابقتها غير مجدية ، واضطر إلى الابحار إلى الهند ، والشيء الذى نود أن نذكره فى هذا المقام . هو أنه على الرغم من أنه لم يكن للرحلة أية نتائج سياسية . فإن قيمتها من الوجهة الجغرافية عظيمة جداً . ذلك أن سادلر ولو أنه لم يكن نفسه جغرافياً . إلا أن الطريق التى سلكها . فى قلب بلاد العرب قد حددت لأول مرة تحديداً قريباً جداً من مواقعها الحقيقية . وإلى جانب ذلك فقد بينت البعثة أيضاً بطريقة عملية امكان اختراق جيوش منظمة لصحراء نجد . وبخاصة فى شهرى يوليه وأغسطس .

ولما كان الطريق الذى سلكه سادلر قد ترك جبل شمر Shammer جانباً فقد جعل خَلَفَهُ وَلِنْ Wallin كشف ذلك الجزء نصب عينيه . وبتفويض من محمد على ليدله على ذلك الموقع من نجد الذى ظهرت فيه قوة عبد الله بن الرشيد غادر ولن القاهرة سنة ١٨٤٥ وعبر طريق الحج عند مكة ثم اندفع عبر صحراء الشام إلى وادى سرحان Srihan وواحة الجوف Jauf وهناك توقف عن المسير حتى انتهت أشهر الصيف ومن آبار شقيق Shakik عبر ولن صحراء النفود

Nefud المجدبة فى أربعة أيام حتى وصل إلى جبّا Jubba وبعد أن توقف فيها بعض الشيء فى خيام البدو . تحرك نحو حائل Hail عاصمة ولاية شمر التى تعج بالحركة والحياة . وولاية شمر هذه تشمل كل شمال بلاد العرب من قاسم Kassim إلى حدود الشام . وبعد أن مكث فترة فى حائل . استطاع فيها أن يجد الفرصة لتسجيل ماتتميز به هذه البلاد . وسكانها . وكرم ضيافة ووقار الحاكم . والشدة المقرونة بالعدل . سافر إلى المدينة ومكة . ومن هناك عاد إلى القاهرة ليقدم تقريره إلى محمد على ، وفى بداية سنة ١٨٤٨ عاد ولن Wallin مرة ثانية إلى بلاد العرب متحاشياً طريق السفر الطويل بالوصول إلى مويلا Muwela على طريق الحج، ثم وصل مرة ثانية إلى أراضى شمر Shammer عند واحة تيما Tema وزار مدينة حائل للمرة الثانية ، وبعد أن قضى بها شهراً اتجه شمالا نحو كربلاء ثم بغداد .

وعندما قام پالجراف w. G. Palgrave برحلته المحفوفة بالمكاره والأخطار فى قلب بلاد نجــــد ونشر قصته الجديرة بالاعتبار التى تربعت فى مكان الصدارة من الكشوف العلمية القديمة كان كل أثر للغزو المصرى لتلك البلاد قد انتهى واستقرت بلاد العرب مرة أخرى تحت حكامها الوطنيين ، وكان پالجراف كبورتون Burton فى وقت ما ضابطا بالجيش الهندى وإن كان قبل قيامه بالرحلة ببعض الوقت متصلا ببعثة الجزويت فى سوريا ، ولقد أهلته

طبيعة بالجراف وإعداده ليكون أصلح لتقدير حياة السكان الإجتماعية حق قدرها ووصفها وصفاً واعياً من أن يصف بيئتهم الطبيعية ، وإذا كانت نتائج هذه الرحلة الكبيرة تعتبر مخيبة لآماله كجغرافى ، فإن تقريره عن المجتمع فى الواحات وعن الشخصيات الكبيرة التى كانت تحكم فى حائل والرياض سيظل دائماً يحتفظ بقيمته الجديرة بالاعتبار كصورة حية لحياة العرب فى مضمار التقدم الحديث .

ولقد سار بالجراف وبرفقته أحد السوريين المسيحيين متتبعين طريق ولن عبر الصحراء بالقرب من معان Ma'an والجوف Yauf حتى وصلا إلى حائل فى يوليو سنة ١٨٦٢ حيث اكرم وقادتهما الأمير طلال حفيد المؤسس لأسرة ابن الرشيد ، وبعد أن مكث فيها مدة قصيرة . استأنف السير مع رفيقه ومعضده عبر قاسم Kassim إلى جنوب نجد ولقد أوجز بالجراف الحديث عن القسم الصحراوى من الرحلة وعن سكانها من البدو ؛ بينما أسهب الحديث عن وفرة الخصب بالواحات ، ورقة سكان المدن ولطف معشرهم ، وكغيره من من الرحالة الذين جابوا نجد تحدث فى حماس عن مناخ الرياض المنعش المشرق ، وكان فيصل مازال يحكمها منذ تقلص ظل الحكم المصرى حكما يسوده الاستبداد الارهابى ، على النقيض من الحرية التى كان ينعم بها جبل شمر تحت حكم طلال ، ولقد مكث بالجراف مع رفاقه قرابة شهرين بالعاصمة دون أن يلحقهم أذى

أو معرة على الرغم من أنهم كانوا معروفين أنهم مسيحيون ، وقاموا فى أثنائها برحلات قصيرة للأماكن المجاورة ، أهمها الرحلة إلى الخرفة فى الافلاج El Pharfa in Aflaj فى أقصى أقليم نجد جنوبا ، ولما غادروا الرياض مروا باليمامة ، وبعد أن عبروا شقة من الصحراء الرملية وصلوا إلى الأحساء El Hasa حيث وجد بالجراف نفسة فى وسط أكثر ملاءمة له ، وأخيراً قاموا برحلة إلى ساحل عمان Óm an Coast ، ومكثوا هناك فترة قصيرة انتهت بها مغامراته فى بلاد العرب نهاية مؤقته سعيدة .

ثم جاء من بعده شارل دوتى Chra les Doughty الانجليزى الذى زار شمال بلاد العرب وعلى الرغم من البقعة الصغيرة الجديدة التى زارها إلا أنه شهد أكثر من سابقيه حياة الصحراء ، وكان فى وصفها أكثر دقة وأمانة وتمحيصاً ممن سبقه من المستكشفين ، وقد بدأ شارل دوتى سفره من دمشق فى سنة ١٨٧٥ فى زمره قافلة للحج ثم توقف عند الحاجر El Hajr وهى إحدى محطات هذه القوافل انتظارا لعودة هذه القافلة من الحج ، وفى نفس الوقت ليتمكن من كشف المقابر الصخرية فى مدائن صالح Salih والأله El Ala ولما أتم بحوثه بنجاح وأرسل صورة من نقوش ورسومات المقابر إلى رينام فى باريس Renam in Paris عزم على أن يوغل فى الصحراء واستطاع أن يتجول فى مناطق الحدود بين الحجاز ونجد تحت حماية.

اجد مشايخ قبيلة فوقارة Fukara البدوية وأثناء زيارته لتنر Tener كشف إلى جانب الآثار القديمة الحجر المنقوش الشهير الذى حصل عليه هوبر Huber فيما بعد وأودعه متحف اللوفر Louvre وفى الصيف التالى ذهب إلى حائل ومنها عاد إلى خيبر Khaibar حيث وجد حاكمها الزنجى وسكانها أقل تسامحا من مضيفه البدوى السابق فعاملوه معاملة سيئة وتوعدوه بالقتل وعاد إلى بلدة حائل فى غيبة الأمير فطرد بأمر حاكمها ثم لم يلبث أن وجد ملجأ لحمايته فى عُنَيْزه Aneza حيث قضى عدة شهور وأخيرا بعد أن اعترضته صعاب عدة وأخطار جسيمة أخذ سبيله إلى جده Gidda .

وبعد ثلاث سنوات وصل إلى جبل شمر المستر ولفريد Ms. Wilfrid والليدى آن بلنت Lady Anne Plunt ، وفى رحلاتهما السابقة فى سوريا كانا قد استطا أن ينالا ثقة شيخ شاب وصداقته ، وكانت اسرته قد جاءت أصلا من نجد منذ عهد طويل ، واستقرت فى تدمر Tadmur مدة طويلة وكان هذا الشاب الشيخ يتوق إلى تجديد اتصاله بأقربائه الأولين بالبحث عن عروس له من بينهم وبرفقة هذا الصديق بدأ الرجل وزوجته رحلتهما من دمشق وسافروا عبر صحراء الشام بالقرب من وادى السرحان Sirhan إلى الجوف وهنا وجد الشيخ الشاب بعض أقربائه وتمت اتفاقيات الزواج بها وعلى الرغم من أن أسرة بلنت قد حصلت على أغراضها من الرحلة إلا أن الرجل.

وزوجته كانا شغوفين بزيارة حائل والتعرف على الأمير ابن الرشيد وقد سمعا عن قوة بأسه ومروءته طيلة وجودهما عند مضيفهما بالجوف وقد أمكن عبور المسافة الصحراوية الطويلة العذبة الماء بين الجوف وجبل شمر دون صعوبة وبعد أن مكثا فى ضيافة الأمير وكرمه شهرا اتجها فى صحبة قافلة فارسية فى طريقها للحج نحو الشمال حتى وصلا إلى كربلاء وبغداد .

وفى سنة ١٨٧٣ سلك الرحالة الفرنسى هوبر G. Hu ber وبرفقته العالم الأثرى يوتنج Euting نفس الطريق من دمشق إلى حائل وقد أضافت هذه الرحلة الأخيرة ملحقا قيما لما نشره بلنت وزوجته وباضافة ذلك كله إلى كتاب دوتى Doughty وجدت صورة حية كاملة عن الحياة الاجتماعية والسياسية فى جبل شمر ، وعن المظاهر الطبيعية للبلاد وأن صحيفة هوبر التى نشرت بعد وفاته نقلا عن مسوداته الأصلية تحوى الشىء الكثير فى التفاصيل الطبوغرافية والأثرية ذات الأهمية العلمية الكبيرة .

وفى الحقيقة إن الطرق التى سلكها وملاحظاته التى دونها ، كانت البيانات العلمية الأولى الوحيدة التى اعتمد عليها فى وضع خريطة عن شمال بلاد العرب ، ولقد كانت خدماته لعلم الآثار ، لا تقل أهمية عن خدماته لعلم الجغرافيا فالى جانب تدوينه للنقوش العديدة فى الاقليم الذى يقع بين حائل Hail وتما Tema فقد نجح فى امتلاك حجر تما ،

الشهير الذى يعد مع الحجارة المؤابية من النقوش السامية العظيمة القيمه ، وقد سلك هوبر Huber بين حائل Hail وعنيزه Aneza نفس الطريق الذى سلكه دوتى Daughty تقريبا، ومن عنيزه اخترق نجد الوسطى إلى مكة وجدة ، ومنها أرسل مذكراته والنصوص التى نقلها عن النقوش ولكنه قتل بعد مضى شهر فى يوليه سنة ١٨٨٤ بيد أدلائه على مسافة قصيرة من شمال جده فى طريق عودته لحائل .

وقد زار حائل رحالة آخر أثناء حياة الأمير محمد هو البارون ا . نولده Baron E. Nolde الذى وصل إليها سنة ١٨٩٣ بعد مضى مدة ليست بالطويلة على النصر الذى أحرزه الأمير فى صراعه مع قوات الرياض والقصيم مجتمعه ، ذلك النصر الذى أفضى إلى بسط نفوذه على كل بلاد نجد ، وقد عبر نولده النفوذ Nafud فى طريقه إلى حيانية Haiy ania متتبعاً طريقاً أقصر من ذلك الذى يمتد بين شقيق Shakik وجوبه Gubba وقد كان الأمير متغيبا عن عاصمته لانشغاله بتنظيم شئون ملكه الجديد ، ولذا تابع نولده رحلته بعد أن أقام مدة قصيرة فى حائل ليزور معسكر ابن الرشيد على مقربة من شقراء Shakra ورغم أنه أصبح يتجول فى بقاع جديدة عليه إلا أنه لسوء الحظ لم يقم بوصف الطريق الذى سلكه حتى بلغ هذه الجهات أو يشر إليه إشارة مبتسرة كذلك فى رحلته شمالا على طريق الحج الفارسى ذلك الطريق الذى سلكه هوبر من قبل سنة ١٨٨١ .

ولذا فان ما ورد فى كتاباته لا يضيف سوى القليل إلى ما كتبه

الرحالون الذين سبقوه عن معالم هذة البقاع ، وإن كانت تحوى كثيرا من الحقائق الممتعة عن المناخ والحياة الحيوانية فى شمال الجزيرة العربية وعن الخيل والابل بخاصة

النتائج العامة للكشوف : لو تتبعنا رحلات الرحالين السالفى الذكر على المصورات الجغرافية لتبين أنها تتناول النصف الشمالى لشبه الجزيرة شمالى خط يمتد بين مكة والهفوف وتتبع طرقا ودروبا متشابكة قد امتدت بينها أراض شاسعة إلا أنها من من التقارب بحيث لا يخفى على الرحالة ملاحظة أى معلم من المعالم الجغرافية الهامة بها ، وبخاصة فى قطر قل أن تجد اختلافا ولو ضئيلا فى مظاهر سطحه فوق مساحات واسعة ، ولكن النصف الجنوبى على النقيض من ذلك إذ قل أن أوغل رحالة أوربى فى الداخل بعيدا عن الساحل أكثر من مسافة مائة متر فى خط متصل اللهم إلا فى نجران والجوف وتحتل الدهناء Dahna المترامية الأطراف ثلث مساحة هذه المنطقة كلها وتبلغ مساحة هذه الصحراء الجنوبية الواسعة ٢٥٠,٠٠٠ ميلا يعا ولكن بعض بقاع جزيرة العرب التى حبتها الطبيعة السمحة ببعض الخصوبة مثل العسير وشمال اليمن ، فما زالت لم يمط اللثام [١] إلى جانب أن مائية حوض الدواسر Dawasir ما زالت تثير بعض المسائل الجديرة بالبحث .

كذلك مازال هناك مجال متسع لعالم الآثار الذى يريد دراسة عاصمة مملكة السبأيين القديمة بين الجوف ووادى حضرموت .

---

(١) حتى وضع هذا المؤلف (المترجم)

القسم الثاني

الآثار القديمة

لايمكن أن يقال إن جزيرة العرب خالية من الآثار ولكن دراستها لاتزال ناقصة إلى حد بعيد فالصعاب التى تعترض الرحالين الذين يقومون بالبحث العلمى من الكثرة بحيث أن ماتم منه قليل يوشك أن يكون معدوما ، ولذلك فإن الدراسة المنتظمة التى أسفرت عن نتائج طيبة ، فى مصر وفلسطين ، وبابل وآشور غير معروفة فى بلاد العرب وإن كان ماورد من إشارات عابرة فى كتابات الرحالين منذ عهد كرستين نيبهر Carsten Niebhur يدل أن هناك آثاراً موجودة .

بقايا عصور ما قبل التاريخ : لما كان من الضرورى دراسة آثار ماقبل التاريخ فى مواطنها الأصلية ، فإن الصعوبة التى تعترض الكشف عنها فى الجزيرة العربية ، ملموسة تماماً ، ولا ريب فى أن هذه الآثار موجودة كما يدل على ذلك ماوردمن ذكر عابر لها فى كتابات الرحالين ولذا فإن بالجريف — Palhrave يتحدث فى كتابه (جزيرة العرب الوسطى والشرقية ، الجزء الأول الفصل السادس) عن جزء من بناء دائرى من صخور يعوزها التهذيب اقتلعت من الجبال المجاورة

بنجد ، ولا زال يوجد هناك ثمانية أو تسعة أحجار يبلغ ارتفاع بعضها خمسة عشر قدماً ، كما أن اثنين من هذه الأحجار يتراوح بعدهما عن بعضها بعضاً ، بين عشرة ، واثنى عشر قدما ، ما زالا يحافظان على وضعهما الأفقى الأمر الذى يدل على طابعيهما ، أنهما كانا معبرى حلق أو عتبتى باب أو شباك علويتين ، وجميع هذه الأحجار عارية من الزخارف، ويقربهما بالجريفث ببقايا أطلال ستون هنج Stone—henge وكارنك ، ويذكر دوتى Doughty فى مؤلفه « جزيرة العرب الصحراوية Arbia Deserta الجزء الثانى » أنه عثر فى رحلته فى الشمال الغربى من الجزيرة العربية ، على صخور مصفوفة من الجرانيت وأحجار مصقولة قائمة على حروفها (ولو أنه لا يعتبر لذلك أية دلالة دينية) كما شاهد « اكوام مستديرة » ربما كانت للدفن و « غرف مستديرة مبنية من الطوب بغير ملاط » قد تكون مقابر قديمة ، وقد فحص ج . ت . بنت . S. T. Bent. فى مؤلفه (جزيرة العرب الجنوبية . ص ٢٤ وما بعدها) واحد من أكوام عدة فى البحرين وقد ثبت بعد ذلك أنه مقبرة ، أما للبقايا التى وجدت بها فقد قيل أنها تمت إلى أصل فينيقى .

القلاع والجدران ، ما زال فى جنوب جزيرة العرب حيث قامت حضارات زاهرة استمرت قرونا عديدة قبل العهد المسيحى بقايا قلاع وأسوار مدن وقد أشار إلى ذلك كثير من الرحالين وأن كانوا لم يبحثوها بحثاً

دقيقاً وتكثر في اليمن وحضرموت ، هذه الأطلال بوجه خاص ، وفى بعض الحالات تبدو النقوش فى أمكنتها الأصلية ، وكثيراً ما تعرضت الآداب العربية للقلاع العظيمة وقد ذكر القزويني فى كتابه (آثار البلاد ص ٢٣٠ ط . وستنفيلد جوتنجن ١٨٤٧) وكذلك (مجلة الجمعية الألمانية للدراسات الشرقية حـ ٧٠ ص ٤٧٢ — ٤٧٦) أحد القصور المجاورة لمدينة صنعاء على أنه أحد العجائب الدنيا ، كما ذكرت المجلة السابقة غير ذلك من القصور (فى الجزء العاشر ص ٢٠ وما بعدها) كما قام كل من أرنود Arnaud وهالفى Halevy وجلاسر Glaser بزيارة أطلال مدينة مأرب Ma'r!b العاصمة القديمة للسبأيين : وعلى الرغم من ذلك فهى تحتاج إلى مزيد من الوصف فبينما نجد أرنود قد اقتصر فى وصفه على السد ، عُنىَ ، هالفى وجلاسر بالنقوش بوجه خاص .

الآبار والسدود :

كان الاحتفاظ بالماء أهم ما عنى به العرب من أقدم العصور ، ففى طول البلاد وعرضها تنتشر الآبار ولا ريب فى أن البنيان الحجرى لبعضها قديم ، وقد قيل إن بئر زمزم المشهور بالقرب من مكة كانت معروفة من أقدم العصور حينما كانت التجارة الشرقية تمر من جنوب بلاد العرب إلى شمالها الغربى عبر الحجاز ، وقد أعيد كشفه وحفره

قبل ظهور النبي محمد (عليه الصلاة والسلام) ومن آثار مأرب شهرة . بقايا ذلك السد الذى يذكر الإنسان بالخزانات التى أعيد استخدامها والتى يراها الكثيرون من الذين يزورون عدن وأول من وصف هذه الآثار أرنود Arnaud (المجلة الأسيوية يناير سنة ١٨٧٤ ورسم لها شكلا توضيحياً) وقد أكد أهميتها بعد ذلك ما نشره جلاسر من نصوص نقشين طويلين يتعلقان باصلاحه وترميمه فى القرنين الخامس والسادس الميلاديين فى مقالين بعنوان مأرب

«Zwei Indchriften uber den Damm bruch um M'rib
Inthe Nittei lungena — der Vordesaiatis — فى مجلة
chen Gesellschaft, Berlin, I897.

كما شاهد و . ب . هاريس w.P. Haris فى حران Hiran باليمن سدا آخر يبلغ طوله ١٥٠ ياردة تقريبا ومن فوقه ثلاث مجموعات من الخزانات (رحلة عبر اليمن ص ٢٩٩ لندن ١٨٩٣)

A Gourney throgh Yemen, P. 279Londm 1893

الأحجار والمصنوعات البرنزية :

شاهد القرن التاسع عشر اقتناء المتاحف الأوروبية (وبخاصة فى لندن وباريس وفينا) لعدد من النقوش باللغات المعينة والسبأية والقليل باللغتين الحضرموتية القتبانية Katabanie وتوجد هذه النقوش

عادة على الحجر الجيرى أو الرخام أو لوحات من قطع النحـــاس ويتراوح طولها وارتفاعها بين بضع بوصات وبضعة أقدام ، وفى بعض الأحيان نقلت أصول هـذه النقوش إلى أوربا ، بينما نقل فى أحيان أخرى طبعات منها ، ويبدو أن الحروف التى استخدمت فى هذه النقوش ، قد اشتقت من الفينيقية .

(أنظر Lidzbarski Eplemeris, vol. 1, pp. 109)

وقد كانت هذه اللغات المستعملة موضع كثير من الدراسات

(أنظـر F. Hommel's Sub – arabische Chrestomathie' Munich' 1893,)

غير أن قيمة هذه البقايا من الناحية الأثرية ، لم تبحث بحثا وافيا ، ومعظم هذه النقوش محلية وقلما يزيد ماتحويه على أسماء بعض الآلهة أو الأمراء أو الشخصيات اللامعة ، وقليل من هـذه الآثار ذو قيمة تاريخية ، ولمـا كانت — باستثناءات قليلة متأخرة — لاتحمل تاريخا (غير مؤرخة) فقد أثارت جدلا كبيراً بين ثقات الباحثين ، ومهما يكن من أمر فتاريخها محصور بين حوالى ٨٠٠ ق .م (أو ١٥٠٠ ق.م فى رأى جلاسر) ، والقرن السادس الميلادى ، ولم يبق سوى القليل منها قائماً فى مكانه ، إذ أن أكثرها قد نقل من مكانه الأصلى واستخدم فى بناء المنازل والمساجد أو الآبار التى ترجع لعهود أحـدث ، ومن بين هذه الآثار يوجد بعض المذابح . وقواعد تماثيل الآلهة أو دمى

ذهبية لبعض الحيوانات المهداة للآلهة، وبينما نجد أن الأحجار القديمة قد خلت من الزخرف ، نجد أن بعض التى تليها فى القدم والمعاصرة لها من البرونز ، قد ازدانت بصور أوراق الشجر ، والأزهار ، ورءوس الثيران ، والرجال والنساء ، وقد نقش على بعضها صوراً للأشجار التقليدية المقدسة ، وحولها المتعبدون على مثيل الرسومات البابلية ، وإلى جانب ذلك ، فهناك شواهد القبور ، ومسلات لرءوس بشرية ، وقطعاً من الحجر الجيرى ورسوم معمارية وتماثيل برونزية مصبوبة للابل والخيل والجرذان والحيات الخ

(أنظر D. H. Muller,s Sudara bische Alterthu mer im Kunthis torschen, Museum, Vienna, 1899,)

الأختام والموازين والنقود .

يوجد عدد قليل من الأختام والجواهر فى متحف فينا ، وقد كتب على الأختام كتابات باللغة السبأية ، وهى من البرونز أو النحاس أو الفضة أو الحجر ، أما الأحجار الثمينة ، مثل العقيق اليمنى ، والعقيق الأحمر والحجر اليمنى ، فإنها بقايا عصر متأخر ، وتحمل أشكال مختلفة كما يوجد بها فى بعض الحالات نقوشاً عربية ، كما عثر على واحد أو اثنين من أثقال الموازين وقد نقل إلى المتحف البريطانى بعضاً من عملات عدن وصنعاء ومأرب واشترى بعضها فى القسطنطينية ،

شلومبرجر Schlumberger كما أحضر جلوسر البعض الآخر إلى أوربا حيث احتفظ به ، فى متحف ڤينا ، وهى مقلدة ، عن العملات اليونانية ، أما النقوش فقد كتبت بحروف سبأية .

(أنظر B. V. Head, in the Numismatic matic Chronicle, 1878, pp. 273 — 284.

G. Schlum berger Le Tresor de Sana, Paris, 1880,, D. H. Muller, op. Cit. pp, 65 ff. and Plates.)

وقد صدر حديثاً عدد من الكتب عن بلاد العرب ، ولا شك أنها ، أضافت كثيراً ، إلى معلوماتنا عن هذه البلاد ، وبخاصة كتاب الربع الخالى لفلبي Philby The Empty Quartes, وجزيرة العرب تحت حكم الوهابيين Arabia of the Wahhahis وكتابى أمين الريحانى

١ — « حول سواحل بلاد العرب »

Around The Coasts of Arabio

٢ — قمم بلاد العرب وصحرائها Arabian Peak and Desert

وكتاب حاجى معين الدين نوفى « ولايات جزيرة العرب الحالية

The Existing States of Arabia

ويعد الكتاب الأول على جانب كبير من الأهمية لأنه يصف صحراء بلاد العرب الجنوبية ، (الربع الخالى) وهى مجهولة حتى للعرب أنفسهم وقد ارتادها مؤلف الكتاب لأول مرة فى التاريخ ، وتعد الرحلة الموصوفة فى الكتاب من الأعمال المجيدة التى تنطوى على الجرأة

والاقدام ، التى تمت فى تاريخ الكشوف فى بلاد العرب ، ولذلك فلا محيص من أن نقتبس للقراء بعض ماورد فى مقدمته .

ومهما قيل عن الربع الخالى يبدو لى أنه لا يستحق الأضواء الساطعة والألوان الزاهية التى أضفاها عليه بعض الرحالين الأوروبيين ، والتى وسمها به أهل الحضر من العرب الذين لم يكن قط على مرأى منهم ،على الرغم من أن اختراقه ليس من المخاطرات الهينة . التى يمكن أن يقوم بها غير المجربين

The Heart of Arabia, vol, 11. p. 217.

والواقع أنه لم يسبقنى إلى اختراق بلاد العرب سوى الكابتن ، ج.ف. سادلر **J.F. SadlierD·r Hogarth** بمئات السنين .

ومن الناحية الأخرى. فقد كان الدكتور هوجارث **Dr. Hogath** اليد اليمنى للحكومة البريطانية. فى كل الشئون الهامة .التى تتصل ببلاد العرب . ولما كان يشغل . وظيفة مدير المكتب العربى أثناء الحرب فى القاهرة ، فقد كان الثقة المعترف بكفايته بصفة دائمة فيما يختص بالمسائل العربية .

فى سنة ١٩٠٤ كان قد نشر كتاب يحـــوى كل ما تم من كشوف فى بلاد العرب منذ أيام نيركوس **Nearchus** واليوس **Aelius** حتى أو القرن العشرين ، وقد طبع كتابه تحت عنوان « اختراق جزيرة العرب » « **Penetration of Qrabia** » وما لحظه من وجود النقص فى معلوماتنا عن جزيرة العرب لايزال ملموساً

فى هذه النواحى بعد مُضى أربعة عشر عاما ، وربما كان أحد هذه الثغرات يمثل على سطح الأرض أكبر رقعة خالية فيها خارج نطاق الأراضى القطبية ، وقد كان قانعاً بتأمل سكونها المطبق ، دون أن يشجع المغامرين على السعى إلى حتفهم بظلفهم ، وأنه لمن الممكن أن يسدى للعلم الخدمات بطرق أخرى وإذا كان الاكسوجين قد استطاع أن يصل إلى قمة إفرست Evrest فإنه يصبح من الممكن للطائرة أو حتى السيارة أن تقضى على فراغ الربع الخالى فى الأوقات الملائمة . ولكن ربما وجد هوجارث صعوبة كبيرة فى أن يتنبأ بأنه بعد مضى أربعة عشر عاما سوف يزاح الستار عن معظم ما خفى فى الربع الخالى. وليس ذلك لمرة واحدة ، بل لمرتين على يدى رحالتين لم يستخدما من الآلات ، ما لم يستخدمه من تقدمهم من المتكشفين السابقين ، ولكن أحداً لم يستشعر الرغبة الملحة هم أن يعرف طبيعة هذا الفراغ الشاسع مثله ، وما كان يضمره من حرص وازدراء ، لم يكن مبعثه حدس صادق أو إلهام ، وأنى لم أشعر بأسف عميق ، قدر شعورى بالأسف على أن الدكتور هوجارث قد مضى دون أن يُقدرَ له أن يشهد بنفسه إزاحة الستار عن هذا الغموض الذى لن يستطيع إنسان أن يفسره كما كان يستطيع هو نفسه لو قُيضَ له البقاء .

وبعد أن أمضيت بضعة أسابيع ممتعه على اتصال بالدكتور هوجارث فى جدة ومصر ، عدت فى نفس السنة إلى جزيرة العرب

واتجهت إلى بقاعها الجنوبية حول وادى الدواسر الكبير حيث اضطررت أن أعود أسفا فى السادس من يونية سنة ١٩١٨ قانعاً بما استطعت تحقيقه ، آملا أن تتاح لى الفرصة يوما لاشبع ما يعتمل فى فؤادى من رغبة ملحة فى أن أجوس، جنبات الربع الخالى ، الذى طفت بأطرافه من الشرق إلى الغرب إلى الحسا Hasa والوادى Wadi (قلب جزيرة العرب الجزء الثانى ص ٢١٦٠).

وهكذا قيض لى أن أميط اللثام عن جزء من الجنوب المجهول ، ولكن بالقدر الذى يحرك فى الرغبة الأكيدة لاستكمال العمل فقد سمعت من رفاق ، وبخاصة من جابر بن فرج من قبيلة مرة الكبرى Great Murra أن هناك فى طيات الرمال البعيدة أطلال غامضة وقطعة من الحديد فى ضخامة الجمل ، ومن خلال أحاديثهم استطعت أن أستشف طرفا عن الربع الخالى ، كان ذلك كل ما حدث ، وقد تحققت أنه لن تتاح لى فرصة أخرى لدراسة وبحث هذه الغوامض فى القريب وربما لاتتاح أبيداً ولذلك كتبت وإنى لآمل أنه سوف يتاح لشخص آخر أكثر من حظا أن يحقق صدق رواية رفاقى. (نفس المرجع صفحة ٢٢٢) وقد تحقق بعض مارجوت على يد الصاغ تشيزمان Cheesman سفة ١٩٢٤ ومستر توماس Thomas سنة ١٩٣١ وقد كنت أتوقع الا يتركا لى شيئاً ذا بال استطيع الاضطلاع به حين يأتى دورى فى الوقت المناسب .

ومع ذلك فقد فرغم أنى لم أوفق ، فإننى لم اضيع وقتى عبثاً ، وقد حملتنى الحياة والعمل خارج بلاد العرب إلى حين وأن كانت تجذبنى دائماً إليها ، وهكذا عدت إلى بلاد العرب فى خريف عام ١٩٣٤ لأجرب حظى مع القضاء ومن أجل هذا العمل، وما يمكن أن يتمخض عنه من مخاطر ضحيت بكل شيء (ضحيت بمستقبل مضمون مستقيم)

الكتاب الأول

جغرافية بلاد العرب

الفصل الأول

مقـــدمة

يذهب من يتصدى لتفسير تسمية شبه الجزيرة العربية بهذا الاسم ثلاثه مذاهب :

١ — إن اللفظة العربية « عَرَبْ » مشتقة من كلمة « إعراب » التي يقصد بها القدرة على التعبير عما تكنه النفس ولما كان العرب يعدون أنفسهم على جانب كبير من البلاغة وحسن البيان . فقد أطلقوا على أنفسهم لفظة عرب (وعلى بلادهم اسم الجزيرة العربية) وعلى غيرها من الأمم (العجم) ويقصد بذلك (العى والعجز عن الافصاح)

٢ — ذهب بعض النسابين إلى القول بأن أول من نزل البلاد التى تعرف الآن بإسم الجزيرة العربية (يعرب) . وهو ابن قحطان . الجد الأول الذى انحدر منه عرب اليمن ومن ثم عرفت وسميت الجزيرة العربية بهذا الاسم نسبة إليه . كما عرف ساكنوها بإسم العرب ولكن هذا التفسير يناقض الحقائق التاريخية وأدلة القياس فلم يكن يعرب أول من سكن الجزيرة العربية . كما أن قواعد اللغة تجافى اشتقاق كلمة عرب من (يعرب) إلى جانب أن موطن يعرب كان بلاد اليمن . مما لو كان

صحيحاً لسميت اليمن أو جنوب بلاد العرب باسم شبه الجزيرة العربية في بادىء الأمر ثم اطلق الاسم على البلاد جميعاً بعد ذلك . ولكننا نعرف أن هذه الكلمة أطلقت بادىء ذى بدء على شمال جزيرة العرب وليس على جنوبها .

٣ — يبدو أن ماذهب إليه الجغرافيون من أن أول اسم سميت به بلاد العرب هو (عرابه) صحيح . وقد أصاب هذا الاسم التحريف على مر الزمن . فأصبح بلاد العرب . وقد تبع ذلك أن سمى الشعب باسم العرب نسبة إلى بلادهم .

وتعنى كلمة (عرابه) فى كل اللغات السامية . صحراء ومعنى هذا اللفظ فى العبرية حقل أو غابة . وفى العربية تقرن بحياة البدو . ولذا سميت هذه البلاد باسم بلاد العرب وعرف أهلوها تدريجياً باسم العرب لأن بلادالعرب فى مجموعها صحراء أو غابة عديمة الماء والمرعى . وبخاصة تلك البقعة التى تمتد بين الحجاز وسوريا وطور سيناء . ويؤيد هذا التفسير : قصائد شعراء العرب[1] .

ولم يذكر القرآن كلمة عرب فى سياق حديثه عن بلاد العرب فقد

---

(١) ابن منقذ الثورى ، هو شاعر عربى جاهلى قال شعرا معناه « لقد ملكنا جملا لم يصبه عار ، وقد كان مأواه عرابة وقرت والأبطح » وقال أبو سفيان الكلبي وهو شاعر اسلامى « لقد كان أبونا اسماعيل نبي الله وابن نبيه ابراهيم ، وقد نزل بنا فى (عرابة) ما أروع منازلنا » .

أشار إلى النبى اسماعيل فى بعض مواضعه أنه نزل بواد (غير ذى زرع) وبذا أصبح من الواضح أن الله عز وجل قد وصف بذلك ما يسود بلاد العرب من ظروف طبيعية . وهذا يتفق ومعنى كلمة عرابه . ولذلك لما كانت البقعة التى نزل فيها اسماعيل . لاتحمل اسما فقد أطلق عليها (واد غير ذى زرع) . وفى العهد القديم لستخدمت كلمة مدبار Midbar للاشارة إلى مواطن اسماعيل . وهذه الكلمة تعنى الصحراء أو الأرض القاحلة التى تقابل تماما الوصف القرآنى لهذا الاسم .

وكلمة حورب ، Hureb ، قد تكررت كثيراً فى العهـــد القديم واستعملت للدلالة على بقعة معينة فى بلاد العرب . وهى تلك النقطة التى تمتد بين الحجاز وسوريا وطور سيناء [١] . أما كلمة شرق Esat. فقد ذكرت فى الانجيل [٢] للدلالة على بلاد العرب بوجه عام وأحيانا يشار إليها بكلمة الجنوب [٣] لأن جزيرة العرب تقع إلى الجنوب الشرقى من فلسطين .

ولقد ذُكِرَت كلمة بلاد العرب لأول مرة فى زمن سليمان لألف سنة قبل الميلاد [٤] ثم تكرر ذكرها بعد ذلك . وفى العصور التالية فى

---

(١) سفر تثنية الاشتراع ١ — ٦

(٢) سفر التكوين ، القضاة والملوك

(٣) انظر سفر Matthew وسفر التكوين

(٤) سفر التكوين ، الملوك ج ١٠ ص ١٥

الكتابات التاريخية باللغات العبرية واليونانية والرومانية . وقد تضمنت النقوش الآشورية التى كتبت بالخط السمارى سنة ٨٠٠ ق . م كلمة « عربى » Aribi للدلالة على بلاد العرب[١]. وقبل ظهور الاسلام كانت لفظه « عرب » تعنى كل بلاد العرب الممتدة من اليمن إلى سوريا .

Roger'o Hisrory of Ba by lon aud Assuria, ool, 11, p' 127.

الفصل الثاني

جزيرة العرب في ضوء العهد القديم

(٢٥٠٠ — ٥٠٠ ق . م)

اسم الجزيرة العربية :

كان أول اسم عرفت به بلاد العرب بلاد الشرق[١] ثم سميت بعد ذلك «بلاد الجنوب»[٢] وقد استعمل هذين الاسمين نبي الله ابراهيم[٣] ولقد استوطنت القبائل الآتية شمال بلاد العرب منذ عهود سحيقة ، الأدوميون Edomites ، والموابيون Moa bites والعمونيون Ammonites والعموريون Amorites والميديانيون Midianites والعمالقة Amlekites ، ورغم أن العبرانيين قد عرفوا شيئاً ما عن شمال بلاد العرب المجاورة لهم . فإنهم لم يستطيعوا أن يطلقوا عليها اسما معينا . ومن أجل ذلك كانوا يسمون كل بقعة من هذه البلاد باسم القبائل التي تقطنها ، وعلى سبيل المثال فقد ذكروا « بلاد إدوم »

---

(١) سفر التكوين ح ٢ .

(٢) Bevan'o Ancient Geography, p. 8

(٣) سفر التكوين ح ٢٥ ص ٦٠ .

The Land of Moab « وبلاد مؤاب » The Land of Edom « وبلاد العمالقة » The Land of Amalek وهكذا .

وحين غادر بنو اسرائيل مصر فى زمن موسى إلى بقعة بعيدة فى شمال بلاد العرب . عَبْرَ البحر الأحمر . وجدوا أن تلك البقعة صحراء فسيحة . ومن ثم اطلقوا عليها لفظة حورب Horeb (بلاد العرب)[1]. بينما ظلت بعض الأجزء الأخرى من الجزيرة تعرف باسم سكانها كما كان الأمر من قبل .

بلغ العبرانيون أوج مجدهم أثناء عهد سليمان ، فقد ورد فى الانجيل أن الملك سليمان قد بنى اسطولا من السفن فى « ازيون حيبر » Eziongeber التى تقع بالقرب من ايلات Eloth على شاطىء البحر الأحمر ، فى بلاد إدُمْ وقد ذهبوا إلى أوفير Aphir وجلبوا ذهبا مقداره اربعماية وعشرين وزنه talent [2] وأعطوها للملك سليمان[3] .

وقد غلب العبرانيون على كل الأقاليم الشمالية وبعض الأقاليم الجنوبية (مثل سبأ) فى بلاد العرب . ومن أجل ذلك فقد اصبحوا ملمين بالحدود الطبيعية لبلاد العرب وهكذا . اطلقوا كلمة الجزيرة العربية على البلاد كلها .

---

(١) سفر تثنية الاشتراع ١ — ٦ .

(٢) التالنت وزنه من الذهب تساوى عشرة الاف جنيه تقريبا .

(٣) الملوك ، الجزء التاسع ، ٢٦ — ٢٨ .

اقسام بلاد العرب :

كان العبرانيون يجهلون بلاد العرب كل الجهل . وظلوا زمنا طويلا لا يعرفون سوى شمال بلاد العرب التى كانت تشمل الحجاز وسيناء وسوريا العربية والعراق العربى والبحرين وسواحل الخليج الفارسى . وقد قسموا شمال الجزيرة العربية قسمين . أرض الشرق وأرض الغرب . وكان القسم الأول يضم المدن التى تقع شرق كنعان والبقاع الساحلية من الخليج الفارسى والبحرين والعراق الغربى بينما شمل القسم الثانى . طور سيناء والحجاز وبادية الشام فى الجزيرة العربية. وجزءاً من نجد عند جنوب كنعان وقد أستوطن هذه البقاع الشرقية والجنوبية من شمال بلاد العرب عددا من القبائل . وسمى كل جزء من هذه البلاد باسم سا كنية .

مدن بلاد العرب ، كانت مدينتنا ميشا **Meshe** وَسِـفره **Sepher** أول من حظيتا من مدن بلاد العرب بالذكر فى العهد القديم[١] وكانتا تقعان فى أقصى حدود بلاد القحطانيين . وقد فهمت كلمة سِفر على أنها هى ظفار **Zafar** التى تقع باليمن غير أنه لا يوجد ببلاد العرب مدينة باسم ميشا **Mesha** . ولقد ذهب صاحب النيافة بيفان **Rev. Bevan** مؤلف كتاب الجغرافيا القديمة **Ancient Geogarphy** إلى أن ميشا **Mesha**

---

(١) سفر التكوين ، الجزء العاشر . س ٣٠ .

قد حلت عوض كلمـــة موزا Muza وهى مدينة تقع على الساحل الغربى عند مدخل البحر الأحمر[١] . وقد ورد فى خريطة بطليموس[٢] اسم مدينة موسا Moosa التى تقع على ساحل بلاد اليمن . وربما كانت هى مدينة « مش » « Mehs » ويمكن أن تفسر هذه الكلمة على أنها تعنى مدينة مكة Mecca كما أن أحد أولاد النبى اسماعيل قد عرف فى العهد القديم باسم ماسا Masa وقد يكون من المحتمل أنه أسس هذه المدينة التى سميت باسمه ، وقد ذهب إلى هذا الرأى ج . سيل G. Sale المترجم الانجليزية للقرآن[٣] ، وقد وردت فى العهد القديم عدة مدن تقع فى بلاد ايدوم Edom غير أن الكتاب المقدس لم يتعرض لمواقفها ، غير أنها لما كانت من بلاد ايدوم Edom فإنه يجب أن يبحث عنها فى شمال غرب بلاد العرب ، ولذلك فإن من المؤكد أن « بوزراة » Bozrah المذكورة فى العهد القديم هى نفس المدينة المعروفة عند العرب ببصرى « Busra » كما أن تمان Teman التى وردت فى التوراة ربما كانت هى تِماى Temai وهى مدينة معروفة بالقرب من بصرى أما مواقع العواصم القديمة لملوك ايدوم Edom فلم تتمكن من تحقيق مواقعها وهى دنهباد Dinhabad

(١) Ancient Geoghraphy, p. 9 edit. 1871

(٢) انظر هوجارث Hogarth

(٣) Intoduction to the Translation of the Ouran

وآفث Avith وريهو بوث Rehoboth وبان Pan [١] (سفر التكوين ح ٣٢ ص ٣٢٠ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٩)

وقد ذكر العهدالقديم مكاناً يسمى حازور Hzaer فى صدد الحديث عن كدار Kedar ابن اسماعيل[٢] ولكننا حتى الآن لانعرف بلدا يحمل هذا الاسم فى بلاد العرب . ولذا فإن هذه الكلمة يجب ألا تعتد اسما لمدينة معينة . ولكنها تعنى مكانا للاقامة الدائمة (كلمة حازور Hazor) تعنى السن أو الأقامة الدائمة على النقيض من كلمة بادية التى تعنى الإقامة المؤقتة .

وهناك بلدة شهيرة أخرى ذكرت فى العهدالقديم تحت اسم شيلوه Shiloh [٣] فى بلاد إيدوم Edom ولفظة شيلوه معناها الصخر التى تطابق كلمة الحجر باللغة العربية . وبطراء Petra باليونانية . وقد ظلت هذه البلدة الأخيرة مدينة فاخرة . حتى العصر اليونانى . وما زالت أطلالها قائمة بالقرب من سوريا إلى شمال شبه الجزيرة العربية وقد كان ميناء إيلات « Elath » على مقربة من خليج العقبه . يقع فى مملكة أيدوم Edom وقد استولى عليها أخيراً قوم داود وسليمان . واتخذها الاسرائيليون لقيادة قواتهم البحرية . وكانت سفن سليمان

---

(١) Bevan'o Geogradhy, 9

(٢) Iir. XLIX — 2^8

(٣) الملوك ج ١٤ ص ١٧٠

(٣) « » ٨ » ١٨٠

تسير من أيلون إلى ميناء آخر يسمى أوفير Ophir يقع فى جنوب بلاد العرب[١] . وقد تردد ذكر هذا الميناء فى العهد القديم . وكان من المراكز التجارية . كما كانت عدن أيضاً تعرف كمركز للتجارة والتبادل[٢].

وقد تردد ذكر سبأ من بين مدن اليمن فى الكتاب المقدس فملكة سبأ مثلت فى بلاط الملك سليمان . وإلى جانب سبأ ذكرت عدة مدن تجارية أخرى فى اليمن . مثل روآمه Roamah [٣] . وأوزال Uzal (التى كانت تقع حينئذ فى المكان الذى يطلق عليه طور سيناء) وحافيله Havilah [٤] (التى كانت جزءاً من الحجاز فى بلاد العرب الشمالية التى كان يقطنها (الاسماعيليون) آل اسماعيل) وغربال Cur—boal [٥] (التى لا يعرف موقعها بعد) . ولما كانت المدينة الأخيرة . قد ذكرت مرتبطة بإسم فلسطين . فربما كانت واقعة فى بقعة ما فى شمال الجزيرة العربية .

ولم يتح للعبرانيين أن يعرفوا من قبائل الجزيرة العربية سوى تلك القبائل التى اتصلوا بها فى شئون السياسة أو التجارة . وقد كان المدينيون

---

(١) ٢ الملوك ج ٨ س ١٨

(٢) حزقيل ج ٢٢ س ٢٣

(٣) الملوك ج ١٠ س ١٠ ١٣٤

(٤) حزقيل ج ٢٢ س ٢٩

(٥) Chronicles, XXVI. — F

والعمونيون والأيدوميون والعمالقة والمؤابيون . جيرانهم وأكفاؤهم، وقد ورد ذكر شعوب سبأ وروآمه . الذين ينتمون إلى القحطانيين الذين يمثلون هم وبنو اسماعيل قبائل الجزيرة العربية الأصلية . فى العهد القديم . وقد وصف الكتاب المقدس الاسماعيليين بأنهم القوم الذين يتجرون مع بلاد الجزيرة العربية ومصر [١] .والذين اشتبكوا فى بعض الأحيان فى معارك مع العبرانيين واتخذوا من المدينيين [٢] حلفاء لهم. وللاسماعيليين تسمية أخرى . هى الهاجريين **Hajarites** وقد أشير إليهم فى العهد القديم بهذا الاسم كذلك [٣] . وقد أشارت التوراة [٤] إلى عشيرتين من الاسماعيليين فى قوله : « قطعان كدار **Kedar** » « وخراف نبتوث **Neboioth** » . وهناك قبيلة أخرى قد أشير إليها بماعون **Ma un** أطلق عليها العرب اسم معين **Main** .

(١) سفر التكوين جـ ٣٢ ص ٣٧

(٢) القضاة جـ ٨ ص ٢٤

(٣) Chronicles, vol. 10

(٤) Isaiah, hX — f

الفصل الثالث

الجزيرة العربية

كما وردت فى الكتابات الكلاسيكية (٥٠٠ — ٢٠٠ ق.م)

أول أغريقى ألم ببعض المسائل الجغرافية هو هومر الذى تألق نجمه فى عام ١٠٠٠ أو ٨٠٠ ق.م . وقد كان شاعراً ضمن قصائده الاشارة إلى مدن وأمصار متعددة . وقد تعرض للسوريين تحت اسم أريمى Arema (تتصل بلفظة أرام التى وردت فى التوراة كما أشار إلى العرب تحت اسم إرمبى .Erembi [١]

وهيرودوت أول مؤرخ وجغرافى اغريقى عرف شيئاً عن بلاد العرب وشعوبها غير أن معرفته بها كانت محدودة كما يبدو من اعتقاده أن الجزيرة العربية تمثل نهاية للعمران فى الجنوب . وأن نهر النيل يقع عند الحدود الغربية للبلاد [٢] . وكان يجهل أن الخليج الفارسى يمتد إلى الشرق من تلك البلاد . ليفصل بين جزيرة العرب وفارس [٣] . ولكنه

---

(١) Ancient Geography Rev. Bevon p. 19.

(٢) Herodotus by H. Cary Book. III para. 107.

(٣) Ibid. IV para. 39.

كان يعرف أن هناك نهر يقع غربى بلاد العرب . أشار إليه تحت اسم الخليج العربى . بدلا من البحر الأحمر[١].

حدود الجزيرة العربية :

أضافت غزوات الاسكندر فى الشرق . فى القرن الثالث قبل الميلاد . الكثير إلى معلومات الاغريق الجغرافية عن الجزيرة العربية . حين أصبحوا يؤمنون بأن الجزيرة العربية . يحدها البحر الأحمر من الغرب والخليج الفارسى من الشرق . والمحيط الهندى فى الجنوب . والفرات فى شمالها الشرقى وسوريا . وتخوم مصر فى شمالها الغربى كما أضافوا قسما كبيراً من سيناء إلى جزيرة العرب ، ولقد جاراهم فى هذه المعتقدات . يهود ومسيحيو ذلك العهد كما يبدو من خطاب للقديس بولص St. Poul[٢] . ولكن الجغرافيين يختلفون فى هذا الشأن فى وجود حدود طبيعية فى شمال غرب الجزيرة العربية .

ويعزى هـــذا الخلاف إلى أن هيرودوت وپلنى Pliny قد ظنا أن الحدود الشمالية الغربية . هى شبه جزيرة سيناء . والبحر الأبيض المتوسط . وقصر الجغرافيون الجزيرة العربية على المنطقة التى تمتد من البحر الميت إلى البصرة وتدمر Tadmor ومهما

(١) Ibid II para. 2.

(٢) Calatians, IV — 25

يكن من شيء . فالواقع أن التشابه الطبيعى فى الظروف الطبيعية والادارية . قد جعل البقاع المذكورة آنفاً تعد منذ ذلك الحين جزءاً من الجزيرة العربية .

أقسام الجزيرة العربية :

قسم الكتاب القدامى من الكلاسيكيين مثل ايروتستين **Erotsthines** وسترابو **Strabo** وپلنى **Pliny** الجزيرة العربيه إلى قسمين طبيعيين . الشمالى والجنوبى . غير أن أفضل تقسيم للجزيرة العربية الذى وضعه بطليموس . فى القرن الثانى الميلادى . والذى تبعه الجغرافيون الأوروبيون من ذلك الحين . وقد قسم البلاد ثلاثة أقسام

(أ) بلاد العرب الصخرية **Arabia Petre**

(ب) بلاد العرب الصحراوية **Arabia Deserta**

(حـ) بلاد العرب السعيدة **Arabia Felix**

ويشمل القسم الأول الأصقاع التى تقع فى الشمال الغربى من الجزيرة أى أن حدودها الغربية تمتد من حدود مصر إلى بصرى مارة يشبه جزيرة سينا وتحف فى الشمال الغربى . بتدمر واليهودية وفلسطين

أما بلاد العرب الصحراوية . فتضم الأجزاء الداخلية التى يكتنفها الغموض . وحدودها الشمالية الشرقية تمتد من الفرات وبلاد الجزيرة وتنتهى إلى التخوم الشماليه الغربية من القسم الأول

أما القسم الثالث (بلاد العرب السعيدة) فكانت تشمل ما بقى من الجزيرة العربية . يحيط بها البحر الأحمر من الغرب والخليج الفارسى من الشرق والمحيط الهندى من الجنوب . ومن الشمال العرب الصخرية وبلاد العرب الصحراوية . وهى تشمل الحجاز واليمن وحضرموت وعمان والبحرين واليمامة ونجد[١]

ولقد فتح الاغريق والرومان القسم الأول والثانى ، فكانوا لذلك يعرفونهما خير المعرفة . ولما كانوا قد عجزوا عن غزو بلاد العرب السعيدة (التى كانت دائماً مستقلة عن النفوذ الأجنبى) فقد كانت معرفتهم بها قليلة . ولقد أظهرت بحوث الدكتور سبرنجر Dr. Sprenger أن بطليموس قد وصف فى جغرافيته أربعا وخمسين قبيلة وأربعا وستين ومائة مدينة وخمسين جبلا وأربعه أنهر فى بلاد العرب البعيدة كما ذكر اسطفانوس Stepe henus وبلنى Pliny عدداً من أسماء بعض المدن والقبائل فى الجزيرة العربية فى كتبهم ولكن أكثرها قد درست معالمه وليس من الممكن الاهتداء إليه[٢] ولقد وصف الكتاب القدماء

---

(١) Foster's Historical Geography of Ariba vol. 11. pp. 12 — 13.

(٢) ذكر المؤرخون والجغرافيون القدماء مدن بلاد العرب السعيدة الآتية (انظر د. ج. هو جارث ص ١٨) وخريطة بطليموس لبلاد الجزيرة العربية تأليف سبرنجا بيفان ص ٧١٤ .

الأسماء اليونانية	الاسماء العربية	ملاحظات
ماكورابا Macoraba	مكة وربى	ربى تعنى عظيم أوضخم ← ١

القسم الأول والثانى وصفاً مفصلا لأنهم كانوا على علم بهما ، غير أن الصعوبة قد نجمت عن تأسيس الغزاة لمدن جديدة ، أطلقوا عليها

- جاثريبا Jatgrappa	يثرب	اسم يطلق على المدينة فى الجاهلية
جامبيا Jam bia	ينبع	مدينة تقع على ساحل الحجاز
ذوماثا Dumathe	دوما	مدينة فى شمال الجزيرة العربية
اجـــرا Egra	حجر	مدينة تقع على ساحل أبو الاحمر فى الغرب من الحجاز . العاصمة القديمة لثمود
ثيماى Thaimai	تيماء	مدينة مع الحدود السورية الحجازية
مودبونا Modiuna	مـــدين	مدينة جوشوا على البحر الاحمر بالقرب من الحجاز
سفرر Sapphur	ظفـــار	مدينة قديمة باليمن
أدانا Adana	عدن	مدينة قديمة باليمن
ماريابا Mariaba	مأرب	عاصمة اليمن القديمة
ميناى Minai	معين	مدينة قديمة باليمن
نجرانا Negrana	نجران	مدينة مسيحية باليمن
كاترامونى Chatramoti	حضرموت	تقع على الساحل بالقرب من اليمن جنوب بلاد العرب
جراهى Gerrahai	قـــرية	مدينة بالحلصة
كاتاباى Catabaei	كتب	مدينة فى اليمن القديمة
ناسادو Nasoo	ناشـــك	» » » »
كارناى Karnaee	كارا	» » » »
ساباى Sabaee	ســــبأ	» » » »
ماكالا Maccala	مـــكلا	مدينة على الساحل الغربى فى اليمن الجنوبية
اوماتن Omanun	عمـــان	المقاطعة الشرقية ببلاد العرب عـــلى الخليج الفارسى
امثوسكوتا Amithoscota	مسقط	عاصمة عمان

أسماء يونانية بعد أن دمروا المدن العربية ، ويتضح ذلك من الثبت الآتى :—

١ — تدمر Tadmoor كانت مدينة تقع بالقرب من فلسطين وعلى الحدود الشمالية لبلاد العرب ، أسسها سيدنا سليمان كما ورد فى العهد القديم[١] . ولقد استولى عليها الرومان سنة ٢٠ م واستبدلوا بلديرا بتدمر Halmyra [٢] .

٢ — رباط ـ مؤاب Ribat -i- Moab هى مدينة كانت تقع فى بلاد العرب الصخرية على مقربة من البحر الميت وكانت الوطن الرئيسى للعرب من مؤاب وقد استبدل الرومان اريبولس Areopolis باسمها الأول وقد دمرها زلزال سنة ٣١٥ م [٣] .

٣ — بُصرى Busra كانت مدينة تقع بالقرب من رباط مؤاب Ribat -i- Moab وكانت المقر الرئيسى للعرب الايدوميين Edomite ولقد حرّف الرومان اسمها إلى بوسترا Bortra بالعبرية .

٤ — الرقيم Ar-Raqim كانت تسمى شيلوه بالعبرية وبطراء باليونانية . وكانت قصبة شمال الجزيرة العربية تحت حكم المديَنيين Midianites أولا كما ظلت كذلك فى عهد البنطيين Nabataeans الذين جاءوا بعدهم .

(١) الملوك جـ ٩ ص ١٨

(٢) Josephus, vol. I. p. 428.

(٣) Bevan, p. 202.

ولقد ظلت مدينة على جانب كبير من الأهمية فى عهد الرومانيين .

٥ — رباط عامون Ribat-i - Ammon . كانت عاصمة لعرب الأمونيين . فى الجانب الشمالى الشرقى من جزيرة العرب الصحراوية . وقد اطلق عليها الأغريق اسم فيلادلفيا [١] Philadelphia حيث أعاد بناءها فيلادلفوس Philadelpheus فى القرن الثالث قبل الميلاد .

قبائل الجزيرة العربية

كانت معرفة الكتاب القدماء لقبائل العرب مقصورة على تلك القبائل التى اتصلت بهم من النواحى السياسية أو التجارية . ولقد ذكر جغرافيو الاسكندرية من الأغريق والرومان مثل Pliny وسترابو Strabo وديودورس Diodorus وبطليموس Ptolemy نحوا من خمسين أو ستين من قبـــائل الجزيرة العربية ولكن هذه الأسماء قد أصابها من التحريف . فى بلاد اليونان والاسكندرية وروما ما يجعل الانسان يعجز عن التعرف عليها . ومع ذلك . فالقبائل التالية يمكن أن نحققها بعد التمحيص .

١ — عاد - إرم ، كانت أقدم قبائل الجزيرة العربية التى حلت بالقرب من حضرموت وأشهرها . كما هلك عدد كبير من أفرادها قبل الغزو الإغريقى ، ولم يقدر البقاء الا لجانب يسير منهم وتعنى بذلك

(١) Josephus, p. 192 (Ed. 1822) .

اتباع نبى الله هود (هيبر Heber) ولقد ذكر الجغرافيون الإغريق ، هذه القبيلة تحت اسم ادرميتاى Adramitae (فالمقطع ادرم Adram يقابل عاد إرم وتاى tae معناها قبيلة) وإن كان البعض يظن أن هذه الكلمة هى حضرموت ولكن مثل هذا التفسير يلقى اعتراضاً ، إذ أن هذه الكلمة تكتب باليونانية Chatramotitai .

٢ — ثمود Thamud ظل أولئك الذين لم يهلكوا من قبيلة ثمود — عندما نزل بهم عذاب الله يقيمون فى موطنهم القديم بعدين ، بالقرب من الحجاز ، أثناء العصر الأغريق ، ولقد كتب الجغرافيون من الاغريق والرومان هذه الكلمة بطريقتين ، Thamydai, Thamyditae

٣ — حضرموت ، لاتقل هذه القبيلة فى العصور القديمة أهمية عن اليمنيين ، سواء من النواحى التجارية أو السياسية ولقد كتبها الاغريق على هذا النحو Chartramotitai :

٤ — النبطيون The Nabataeans كانت البقاع التى تمتد بين نجد وساحل البحر الأحمر والعقبة والصحراء السورية ، يقبض على زمام الأمن فيها ، أحفاد نبط Nibt بن اسماعيل فى القرن الثانى والثالث قبل الميلاد .وقد كان الرومان والأغريق على صلات سياسية بالنبطيين الذين كانوا يسكنون البطراء .

٥ — القداريون The Kedarids حكم الحجاز منذ الف سنة قبل

الميلاد أسرة قدار Kadàr أحد أبناء اسماعيل (ومن نسله جاء نبي الإسلام) ولقد كتب (نطق) الإغريق كلمة قدار بعدة طرق أكثرها قبولا كدارنى Cedarni كما نطقها بلنى Pliny [(١)] ، ولقد أسهب الأغريق فى وصف قبائل اليمن مثل المنياى Minaei معين بالعربية) وسباى Sabaei (سبأ بالعربية) كما أوردوا ذكر أومانتياى Omanitai (الأمونيون) وجرهاى Gerrhaei (سكان القرية الواقعة باليمامة) فى كتبهم الجغرافية [(٢)] ، وقبيل ظهور الإسلام حكم المناذرة Manadhira الحيرة تابعين فى ذلك لدولة الفرس ، بينما حكم الغساسنة Chassanids بعض جهات سوريا تحت ظل الإمبراطورية الرومانية . ولقد أسهب الكتاب من الإغريق فى حديثهم عن هذه الشعوب أيضاً .

---

(١) Bevan,s Ancient Geography, p.;198.

(٢) Ferster'o Geog. 1. p. 244.

الفصل الرابع

الجزيرة العربية عند نزول القرآن

بلاد العرب :

رغم أن بلاد العرب شبه جزيرة . فقد درج سكانها على أن يسموها (جزيرة العرب) ولقد كان العرب دائما يعدون بلادهم . فى مركز يتوسط العالم المعمور . وقد تبعهم فى ذلك بعض المحدثين من العلماء . مثـــل د . ج . هوجارث D. C. Hogarth وسير وليام موير Sir Willaim وغيرهم فى أن بلاد العرب تتخذ موضعها فى قلب العالم القديم . أما الأقاليم التى تجاور بلاد العرب . فهى فارس فى الشرق والهند فى الجنوب والحبشة والسودان ومصر فى الغرب ، وسوريا والجزائر والعراق فى الشمال .

حدود الجزيرة العربية :

عرف الجغرافيون العرب أن بلادهم تحد من الغرب بجزء من الصحراء السورية (يمتد بين البلقاء إلى إيلا بالقرب من العقبة) وفى الجنوب الغربى البحر الأحمر ومدين والأراضى التى تقع بين جدة وساحل اليمن . وفى الجنوب المحيط الهندى وعدن ، ومن ظفار حتى

مَهْرَة Muhra وفى الشرق خليج عمان والخليج الفارسى ومهرا وعمان والأرض التى تمتد بين البحرين إلى البصرة والكوفة وأما فى الشمال فيحدها الفرات والبلقاء ، وبمعنى آخر نجد أن جزيرة العرب يحدها الخليج الفارسى وخليج عمان شرقا ، والمحيط الهندى جنوبا ، والبحر الأحمر غربا وخليج العقبة والشام وفلسطين فى الشمال الغربى والفرات فى الشمال الشرقى .

وإذا قرنا بلاد العرب كما رسمها جغرافيو العرب بها كما وصفها العبريون والإغريق والرومان تبين لنا إنها كانت فى الحالة الأولى أصغر منها فى الحالة الثانية إذ أن شبه جزيرة سينا كلها وجزءاً من بلاد العرب وسوريا لم يكن معتنى بهـا وليس ذلك بخاف علينا ، لأن الإغريق كانوا قد استولوا على البقاع السالفة الذكر التى لم يستردها العرب حتى ظهور الإسلام ، ومن ثم اعتبرها الجغرافيون العرب لا تدخل ضمن نطاق بلاد العرب (كأنها منسلخة عن بلاد العرب) والواقع أنها كانت دائما تكون جزءاً من بلاد العرب لمـا بينها من سمات التشابه .

مساحة بلاد العرب :

جرى العرف بين الجغرافيين العرب على تقدير المسافة على أساس الوقت الذى يستغرقه الإنسان فى اجتيازها من أحد أطرافها للطرف

الآخر ، ولقد ذكر أبو الفدا فى كتابه (تقويم البلدان) أن بلاد العرب يمكن أن يقطعها المسافر فى سبعة شهور وأحد عشر يوما . ولم تمسح الجزيرة العربية مسحاً حديثاً البتة ، ومهما يكن من شيء فمن المؤكد أنها بلاد شاسعة أكبر مساحة من شبه جزيرة الهند ، وتبلغ مساحتها أربعة أمثال مساحة فرنسا وألمانيا معاً ، إذ تمتد من الشمال إلى الجنوب لمسافة ألف وخمسمائة ميل بين بورسعيد وعدن . ومن الغرب إلى الشرق (من بورسعيد إلى الفرات) لمسافة ستماية ميل . أما مساحتها فتقدر باثنى عشر مليون من الأميال المربعة .

المعـــالم الطبيعية

إن بلاد العرب الشاسعة قليلة السكان إلى حد كبير وهى رملية جبلية . كما أنها صحراء مقفرة قليلة المياة وليس بها أنهار تستحق الذكر ، والسكان يعتمدون عادة فى الحصول على المياه ، على الجداول التى تجرى متدفقة على جوانب الجبال والخزانات والآبار فى الأراضى المنبسطة والمناخ حار جاف ، وتعتبر الصحراء الشاسعة التى تمتد بين سوريا والجزيرة العربية أكثر صحارى بلاد العرب اتساعا ويسميها العرب الصحراء السورية بينما يطلق عليها غير العرب الصحراء العربية ويليها من حيث المساحة الدهناء (ومعناها الصحراء الرملية) أو الربع الخالى ، وتقع عند خط عرض ١٧ شمالا وخط طول ٢ شرقا وتبلغ مساحتها ٢,٥٠٠,٠٠٠ ميلا مربعا ، وتخترق بلاد العرب أضخم سلاسلها الجبلية من أقصى الجنوب (اليمن) إلى الشمال (سوريا) وتعرف بجبل السرات ، وتبلغ أعلى قمتها ارتفاعا ٨٠٠٠ قدم

وكما ذكرنا آنفاً ، فإن بلاد العرب قد خلت من الأنهار الخليقة بهذا الاسم ، ولكن هذا النقص تعوضه الجداول التى تجرى على جوانب الجبال ، مما يجعل سقوطها فى هذه الجوانب والأودية خصبة وقد تكون هذه الجداول التى تتدفق إلى جانب بعضها نهراً كاذبا قد يغور فى رمال الصحراء . أو يصب فى البحر . وقد أقام ملوك العرب فى العصور القديمة السدود ليصدوا جريان الجداول لأنها كانت إذا مافاض ماؤها يهدد بأخطار جسيمة . وبوجه عام تتمتع كثير من المدن والمناطق العربية الساحلية بالخصوبة وبخاصة فى اليمن التى تقع على ساحل المحيط الهندى والبحر الأحمر . ولذا عرف هذا الجزء عند الأغريق ببلاد العرب الخصيبة . وتعد عمان وحضرموت ونجد والطائف أكثر بلاد العرب خصوبة وثروة .

منتجات بلاد العرب :

تتألف معظم حاصلات الجزيرة العربية من التمر والتفاح وكثير من ألوان الفاكهة الأخرى وتتناثر الأراضى الزراعية هنا وهناك . ولقد عرفت بلاد العرب بين شعوب العالم القديم بمناجم الذهب والفضة والعطور وكثيراً ما أشير إلى مناجم الذهب والبخور فى بلاد العرب فى التوراة وكتابات المؤرخين القدماء . ولقد أسهب الهمدانى فى وصف المناجم فى بلاد العرب فى مؤلفه « صفات جزيرة Huiton

العرب » بينما وضع برتن Burton كتابا فى الموضوع نفسه يعنوان «مناجم الذهب فى مدين» . وتعج سواحل عمان والبحرين باللآلىء حيث يعمل كل عام آلاف الغطاسين فى استخراجها ولكن التجار العرب لا يكسبون من وراء هذه المهنة سوى القليل . أما نصيب الأسد فيدخل فى خزائن الشركات البريطانية وفى سنة ١٩١٠ .قدرت اللآلىء التى استخرجت من البحرين فقط باثنى عشر ألف من الجنيهات

ولا يعدل الحصان حيوان آخر من الحيوانات الموجودة فى بلاد العرب . فى جماله وسرعته . على حين أن الجمل أكثرها نفعاً وأكبرها قيمة كما توجد بها الغزلان والسباع . ولقد ذكر هيرودوت الثعابين الطائرة السامة ببلاد العرب . وهو أمر يؤيده حديث موسى[1] . غير أنها قد انقرضت الآن .

أقسام الجزيرة العربية

قسم الجغرافيون من العرب بلادهم باستثناء العراق وسوريا العربية . إلى خمسة أقسام . تهامه Tehama والحجاز Higaz ونجد Negd واليمن والعارض Arud ويعد كثير من الجغرافيين المحدثين تهامه جزءاً من الحجاز . ويعتبر جبل السراة . وهو أضخم سلسلة جبلية فى بلاد العرب حداً فاصلا . وهذه السلسلة التى تمتد من أقصى

(١) سفر تثنية الاشتراع جـ ٨ س ١٥

الجزيرة العربية قسمين شرقياً وغربياً . والقسم الغربى الذى يعتبر أصغر مساحة من الشرقى يمتد من الحدود السورية إلى اليمن وينحصر بين سفوح السلسلة الجبلية السالفة الذكر وساحل البحر الأحمر . وهو المعروف بالحجاز . وتسمى الأراضى المنخفضة التى تقع جنوب الحجاز . وقبالة اليمن بإسم تهامة . والغور Ghor (وهى تعنى الأراضى المنخفضة) . أما الجزء الشرقى الذى يرتفع بوجه عام ممتداً من جبل السراة إلى أرض العراق . فانه يعرف باسم نجد (وهى تعنى الأرض المرتفعة) . أما البقاع المرتفعة قليلا التى تقع بين تهامة ونجد كما قدمنا فتسمى الحجاز لأنها تقف حاجزاً بين هاتين المنطقتين (وكلمة حجاز أو حاجز تعنى الفاصل أو السد) . وتعرف اليمامة وعمان والبحرين والمدن الأخرى التى تقع بين العراق عند حدودها الجنوبية المتصلة بنجد والخليج الفارسى باسم العارض لأن هذه البقاع تمتد فى خط منحنى وكلمة عارض تعنى الانحناء . ويسمى القسم الجنوبى الذى يمتد بين سواحل البحر الأحمر حتى خليج عمان (باستثناء الحجاز والعارض) باسم اليمن . لأنها بلاد خصيبة مباركة (واليُمنْ معناه البركة) .

اقليم العارض :

وهو يشمل ثلاثة أجزاء اليمامة والبحرين وعمان .

(١) اليمامة : ويحدها من الشرق عمان والبحرين ومن الجنوب

الأحقاف Ahgaf (الصحراء الرملية) ومن الغرب الحجاز وجزء من بلاد اليمن ومن الشمال نجد . والجزء الشمالى من اليمامة على درجة كبيرة من الخصب . وكانت اليمامة فى العصور القديمة . موطنا لطسم وجديس[1] . وأشهر مدنها حِجْر Higr (أو قرية Qariah) وجعدة Gaea وقد ظلت آثار هذه القبائل من أبنية وقلاع منتشرة فى اليمامة حتى ظهور الاسلام . وكانت مدينة حِجْر التى تعرف كذلك باسم قرية الموطن الرئيسى لهذه القبائل وينسب إلى اليمامة « الزرقاء » وهى المرأة صاحبة العيون الزرقاء التى قيل أنها بلغت من حدة البصر ما يمكنها من التنبؤ برؤية العدو . وهى على مسيرة ثلاثة أيام (نحواً من ثلاثين ميلا) .

وقبيل ظهور الاسلام . كانت اليمامة مسكناً للقبيلة المشهورة التى عرفت باسم بنى حنيفة Bain Hanifa وهى من بطون قبيلة بكر بن وائل . وقد قدم وفد من هذه القبيلة على النبى صلى الله عليه وسلم فى السنة الثامنة للهجرة واعتنقوا الديانة الاسلامية . وينتمى إلى هذه القبيلة مسيلمة الكذاب الذى ادعى النبوة وقتل فى حرب الردة فى عهد أبى بكر .

(ب) البحرين : وتعرف كذلك بالاحساء Alhsa . وهى تطل على الخليج الفارسى . يحدها من الغرب اليمامة . ومن الشرق الخليج

---

(١) انظر جغرافية أبو الفدا جـ ١ . ص ٩٩ .

الفارسى . ومن الشمال الكويت والعراق . بينما تقع عمان فى جنوبها .
وكما سبق أن قلنا تشتهر البحرين باللآلىء حيث يعمل فى استخراجها
آلاف الصيادين كل عام .

ويحدثنا التاريخ القديم للبحرين أن جديس **Jadis** التى
احتلت اليمامة بعد هزيمة طسم **Tasm** قد طردها ملك اليمامة حسان
Hisan وهربت إلى البحرين . وحلت فى ربوعها من بعدهم قبيلة عبد
القيس (العدنانية الأصل) . كما شاركهم فى سكناها بعض بطون ربيعة
Rabi'ah وفى القرن السادس الميلادى (وقعت البحرين تحت سيطرة
الفرس) وحكمها المناذرة ولاة العراق والمدن المجاورة من قبل الفرس .
وقد قتل الشاعر العربى المعروف طرفة بن العبد **Jarafr** بالبحرين
بوحى من أحد المناذرة . وفى القرن السادس الهجرى . اعتنق حاكم
البحرين . المنذر بن صاوى **Mundhin, son of Sawi** مع بقية اتباعه
ورعيته من العرب الدين الاسلامى . وقد قدم وفد من قبيلة عبد القيس
بالبحرين على النبى (لمبايعته) . ومما يثير الدهشة أن القرامطة
Qaramatah وهم خليط من المسلمين والمجوسيين **Magians** قد اختاروا
هذه المنطقة مركزا لنشاطهم السياسى .

(ح) عمان **Auan** يحدها من الشرق خليج عمان ومن الجنوب
المحيط الهندى ومن الغرب الأحقاف (صحراء الرمال) ومن الشمال
البحرين وتتمتع البقاع التى تقع على الساحل بالغنى والخصوبة .

وأعظم جبالها الجبل الأخضر « Akhdar » الذى يبلغ ارتفاعه ٣٠٠٠ متر ، وجبال عمان غنية بمناجمها وإنهارها وجواهرها . وأما ودیانها فيكثر فيها الحبوب والفواكه والأعشاب العطرة . وهى مشهورة بما يربى فيها من الجياد الأصيلة والبقر والماعز . وينسب مؤرخو العرب مدينة عمان لعمان بن قحطان Oman bin Cahten بينما ينسبها العهد القديم لعمان بن لوط bin Lot وقد نزل فى ربوعها فرع من قبيلة أزد Azad التى تعرف أسد Asad قبل الاسلام .

نجـــد

يبلغ ارتفاع نجد (وهى هضبة خصيبة تقع فى وسط بلاد العرب) ، ١٢٠٠٠ متر فوق سطح البحر وتحيط بها الصحراء من ثلاثة جوانب . ولذلك فقد أمنت شر الغزو الأجنبى والتدخل فى شئونها ، ويحدها من الشمال الصحراء السورية . ومن الغرب صحراء الحجاز ومن الشرق الأحقاف . ومن الجنوب اليمامة .

ولقد كانت نجد الوطن القديم لقبيلة بكر بن وائل الذائعة الصيت (المعروفة) حين كان يرأسها كليب الذى كان مقتله نذيرا بنشوب حرب ضروس بين بكر وتغلب لم تنطفىء جذوتها مدة أربعين عاما وفى أطراف نجد نشأت مملكة كندة العربية التى كانت تساوى مملكة الحيرة قوة وعزة ومنعة ولما اعتنق قباذ Gabad والد أنوشروان ديانة مزدك .

تبعه حكام كنده (رغبة فى الظفر برضا الامبراطور الفارسى . لاضعف شوكة المناذرة) فى اعتناق هذه الديانة التى قادتهم فى النهاية إلى السقوط والدمار .

وقد اتخذ احفاد عدنان بلاد نجد وطناً لهم منذ القدم واستمروا فيها آمادا طويلة ونزل بعدهم فيها طى إحدى البطون المشهورة لقبيلة كهلان نزلت فى البقاع الجبلية كما استوطن هذه البقاع عشيرة غطفان التى قاد الرسول عليها حملة لتأديبها فى العام الرابع للهجرة كما نزلت قبيلتا هوزان وسليم الجانب الغربى من نجد الذى سكنته احدى بطون قبيلة طى وهى البطن التى ينتمى إليها حاتم الطائى المشهور بجوده وكرمه .

اليمن

تعد اليمن أكثر بقاع الجزيرة العربية خصوبة ومدنية . حيث كانت موطنا للعلم والحضارة . قبل الاسلام وبعده على السواء ، ويكتنف الغموض تاريخها القديم . ومما يدل على ماضيها الزاهر آثار الابنية . والقلاع التى تنتشر فى جنباتها ، وقد قامت الامبراطوريات المجاورة الرومانية والفارسية والحبشة بحملات لغزوها أصاب بعضها النجاح . وقد ترك المؤرخون الاغريق والرومان وصفا حافلا بالبيانات عن اليمن كما أن المتخصصين من علماء الآثار أسهموا فى هذا المضمار .

وقد أصاب حدود اليمن الادارية كثير من التغيير فى عصور مختلفة ، وفى ظل حكومات متباينة . ويحدها من الجنوب البحر العربى . ومن الغرب البحر الأحمر . ومن الشمال الحجاز ونجد واليمامة . ومن الشرق عمان والبحرين ، وفى ضوء ما وقفنا عليه من ماضيها الزاهر ، كانت تنقسم عدة ولايات كانت تسكنها قبائل كثيرة مثل العمالقة Amalekites والمعنيون Minaeans وقوم عاد وسبأ وحمير الذين أسسوا فيها ممالكهم فى عهود متفرقة (سوف نعرض للتفاصيل فى مناسباتها) وقد أقاموا مبانى رائعة ما تزال اطلالها شاخصة للعين وقد شيدوا السدود لضبط مياه الينابيع التى تنحدر إليها من الجبال . وللاستفادة منها فى أغراض الرى . ولقد ورد ذكر سدد مأرب أكثر هذه السدود شهرة . فى القرآن الكريم أيضا [١] . ولقد قام سكان اليمن بدور الوسيط فى تبادل التجارة بين الهند وفارس والحبشة ومصر والعراق ومن بلاد العرب .

ولقد كانت اليمن إذا ذاك مركزاً لتجارة المعادن والتوابل . كما كانت تصدر العطور لبلاد العالم المتمدين .

ولقد استولى الأحباش على اليمن ، قبل ظهور الاسلام بنحو قرن ، وبسطوا عليها نفوذهم مدة سبعين عاما . ثم حل مكانهم الفرس

---

(١) القرآن الكريم : سورة ٢٤ آية ١٦

بعدذلك وقد اعتنق الاسلام بادهان Badhan حاكم اليمن الفارسى فى العام السابع للهجرة كما اعتنق الاسلام أيضاً سكان اليمن ومعظمهم من اليهود على يد على بن ابى طالب فى السنة العاشرة للهجرة كما أسلمت قبيلة همدان اليمنية المعروفة .

وقد دفنت بعض مدن اليمن القديمة كما طمرت الرمال بعضها الآخر . ولكن عددا منها ما يزال عامرا وإن تغيرت أسماءها ويمكن الحكم على امتداد سكانها مما أورده اليعقوبى المؤرخ . من حقائق . حيث قسمها إلى أربعة وثمانين قسما ، وأكثر هذه الأقسام شهرة هى : —

(ا) حضرموت : تقع على ساحل المحيط الهندى ويحدها من الجنوب المحيط الهندى ، والربع الخالى والأحقاف من الشمال ، كما تحدها صنعاء من الغرب ، وقد كانت فى الأصل موطن قحطان (يوقطان أو چوقطان) الجد الأول لقبائل اليمن العربية ، وقد ورد ذكر احد ابنائه الاثنا عشر ، هازارمافيث Ha zarmaveth فى العهد القديم[1] ، مما يحملنا على الظن أن هذه البقعة سميت باسم أول سكانها ، وفيها أسس أهلها ولاية مستقلة ، جاء ذكرها مختصرا فى تاريخ بن خلدون[2]. وقد كانت أيضا الوطن الأول لعاد وثمود وأن قوم عاد قد هاجروا بعد ذلك إلى الأحقاف واستقروا بها

(١) سفر التكوين ، الجزء العاشر ، ص ٢٦ .

(٢) تاريخ ابن خلدوم ، الجزء الثانى ، ص ٣٠ .

(ب) مدن الاحقاف : الربع الخالى الذى يشمل أجزاء من اليمامة وعمان والبحرين وحضرموت والشطر الغربى لليمن غير صالح لسكنى الانسان وإن كانت بعض الشعوب قد نزلت بالبقاع المتاخمة ، وبخاصة الجزء الذى يمتد من حضرموت إلى نجران ، ورغم أن هذه البلاد مهجورة الآن إلا أنها كانت موطن قبيلة عاد التى حلت عليها لعنة الله فحاق بها الدمار .

(ح) صنعاء ، وهى ولاية فى قلب اليمن ومركز الحضارة العربية القديمة ، وتقع على ساحل المحيط الهندى والبحر الأحمر فى الركن الجنوبى الشرقى لبلاد العرب، فى ذلك المكان أقام المعينيون والحميريون والسبأيون مما لكهم الكبيرة كما بنى هنا السد المعروف وقد كانت ظفار **Zafar** وأزال **Uzal** ومأرب **Ma'rib** عواصم هذه الدول المختلفة ، كما أن ملكة سبأ تنتمى إلى هذه البلاد ، وقد شيدت القصور الذائعة الصيت فى صنعاء مثل غمدان ، ونعيت **Na'it** وربده **Rubda** وسروه **Sarwah** ومدر **Madar** وقد شاهد الهمدانى **Handanı** بنفسه أطلال هذه القصور فى القرن الرابع الهجرى .

(ى) نجران وهى مدينة صغيرة بين الاحقاف والعسير ، وقد نزل بها فى العصور القديمة بجيلة بن نزار **Bajila bin Nayar** من نسل بنى اسماعيل ، وقبل ظهور الاسلام نشر الرومان والحبشان المسيحية فيها ، وقد بذلت مملكة اليمن اليهودية جهودا قوية لتحويلهم من

المسيحية إلى اليهودية ، ولكن الامبراطوريتين الرومانية والحبشية المسيحيتين كانتا دائماً تهبان لانقاذهم ، وقد كانت هناك كنيسة على جانب كبير من الفخامة والرونق فى نجران ، عرفت بين العرب « بكعبة نجران » وفى السنة التاسعة للهجرة قدم وفد من مسيحيي نجران للمثول بين يدى نبي الاسلام وسمح لهم بالنزول فى مسجد الرسول .

الحجــاز

أشار العهد القديم إلى الحجاز الذى يقع على ساحل البحر الأحمر تحت اسم فران Faran على أنها من البقاع المقدسة . ويحدها من الشرق نجد . ومن الجنوب العسير . ومن الغرب البحر الأحمر . ومن الشمال سوريا العربية (وبلاد العرب الصحراوية) ويخترق هذا الاقليم من الجنوب إلى الشمال سلسلة من الجبال تعرف بجبل السراة . ويبلغ ارتفاع أعلى قممها ٨٠٠٠ قدم . وتحمل جداول المياه التى تنبع من الجبال . الخصب للأرض التى تكثر فيها الحدائق والأراضى الصالحة للزراعة . والجزء الذى يقع على ساحل البحر الأحمر . أكثرها خصوبة . وبقية الأجزاء صحراء رملية يستحيل فيها قيام الزراعة . وأكبر المدن الساحلية بالحجاز جدة . ميناء مكة . وتليها ينبع . ميناء المدينة وأهم مدن الحجاز مكة والمدينة والطائف .

(١) مكة : تعرف مكة أو بكة بأم القرى . وهى قصبة الحجاز .

أنشأها النبي ابراهيم . حيث هاجر إليها إبنه اسماعيل . وولد بها نبى الاسلام . وتقع على خط عرض ٢١°,٣٨ شمالا . وخط طول ٤٠°,٩ شرقا .

ويبلغ ارتفاعها ٣٣٠ متراً عن سطح البحر . وتحيط بها الجبال من جميع الجهات . وفى الوقت الحاضر يبلغ طولها من الشرق إلى الغرب ثلاثين كيلو متراً تقريباً وعرضها من الجنوب إلى الشمال كيلو متر ونصف تقريباً ،

وفى سنة ٢٥٠٠ ق . م كانت مكة مركزاً لطرق القوافل التجارية. وفى سنة ٢٠٠٠ ق . م على وجه التقريب .وضع ابراهيم وابنه اسماعيل قواعد البيت العتيق . على بركة الله . وسمى الكعبة .

وقد ظل أحفاد اسماعيل يسيطرون على هذه البقاع حتى بزغ نجم القحطانيين . وفى العصر الأخير أفلح قُصَىّ Qusayy من نسل اسماعيل فى تأسيس مملكة له. ويعتبر قصى هذا الجد الأول والمؤسس لأسرة بنى هاشم . الذين أصبحوا على مر الزمن سادة هذه المدينة . وقد أقاموا لهم حكومة من أنفسهم . واختاروا من بين رؤساء عشائرهم من وكلوا إليه الشئون الإدارية المختلفة ، وقد استقر بعض العرب من بنى اسماعيل فى المدن المجاورة لمكة .

(ب) المدينة : وقد عرفت فى بادىء الأمر بإسم يثرب .

وحين اختارها (اصطفاها) الرسول لسكناه سميت « مدينة النبى » صلى الله عليه وسلم ، وأصبحت على مر الزمن تدعى المدينة فقط ، وترتفع المدينة عن سطح البحر بمقدار ٦١٩ متراً ، وتقع عند خط عرض ١٥ °٢٤ شمالا ، وخط طول ٥٥ °٣٩ شرقاوهى تقع فى شمال خط الاستواء ، وفى فصل الصيف ترتفع درجة حرارتها إلى ٢٨° م . بينما تصل فى الشتاء إلى ١٠°م فوق الصفر نهاراً ، و٥°م تحت الصفر ليلا ، ومن ثم تتجمد المياه فى الشتاء (تتجمد مياهها فى فصل الشتاء).

وكان العمالقة أول من نزلوا بمدينة يثرب ثم تبعهم اليهود ، فعشيرتان من قبيلة الأزد Azd تعرفان بالأوس والخزرج ، ولقد أطلق النبى صلى الله عليه وسلم لفظة الأنصار على هاتين العشيرتين لأنهم رحبوا بالديانة الاسلامية ، وقدموا المعونة وأفسحوا صدورهم وأتوا جانبهم وكرموا وفادة المهاجرين .

(ح) الطائف : هى جديرة بأن توصف بأنها فردوس الحجاز ولذلك فهى مصطاف لسراة الحجاز وأغنيائهم ، يقضون بها فصل الصيف . كما أنها مكان صحى وخصيب ، ولقد ذهب الرسول صلوات الله عليه إلى الطائف يدعو أهلها إلى الاسلام قبيل هجرته إلى المدينة ، ولكنهم أعرضوا حتى عن مجرد الاستماع إليه ، وقد ضرب النبى عليه الصلاة والسلام عليها الحصار فى السنة الثامنة للهجرة ، وفى السنة التاسعة للهجرة اعتنق زعيم قبيلتها الاسلام ، وكان ذلك سبباً فى اغتيال

قومه له ، ولكن صيحته لم تذهب أدراج الرياح ، ففى نفس العام قدم وفد من هذه القبيلة على النبى صلى الله عليه وسلم ودخلوا فى الدين الاسلامى .

مدن الحجاز الأخرى :

من الأماكن والمدن الجديرة بالذكر فى الحجاز مايلى : —

١ — الجوف أو وادى القرى ، وتقع إلى الشمال من المدينة ، حيث نزلت بها ثمود وحجر Hijr واتخذوا حجر عاصمة لهم ، ولقد ورد ذكر هذه المدينة وسكانها فى القرآن الكريم ، وشاع ذكرها باسم مدائن صالح باسم نبيها صالح .

٢ — تبوك : أقام بها الرسول عليه الصلاة والسلام زمناً ليعد العدة لملاقاة هجوم الرومان ، وفى طريقه إليها مر بمدينة حجر Hijr أيضاً .

٣ — خيبر : تقع إلى الغرب من المدينة ، وكانت حصن اليهود الحصين ، ومركز نشاطهم السياسى ، وقد غزاها الرسول عليه الصلاة والسلام فى العام السابع من الهجرة .

٤ — مدين : على ساحل البحر الأحمر قبالة مدينة حجر ، وكانت موطن النبى يوشع Joshua حمو سيدنا موسى ، كما كانت عاصمة حكومة مدين .

وقد كانت هذه المدن السالفة الذكر ، فى يد اليهود حين ظهر الاسلام ، وكانت لهم بها حصون منيعة ، ولكن المسلمين لم يلبثوا أن استولوا عليها ، فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم.

سوريا العربية :

وقد سماها الاغريق بلاد العرب الصخرية « Arabie Peira » وتشمـــل المنطقة التى تمتد فى سوريا أو مصر والصحراء السورية والحجاز ونجد ، ولهذا الجزء من بلاد العرب أهمية تاريخية ، ففى هذه البقعة كلم موسى ربه على جبل سيناء ، وعلى مقربة منها تقع أرض الميعاد التى وعد الله بها بنى اسرائيل ، كما أضافت البحوث الأثرية إلى أهمية هذه البلاد ، ولقد أقام العمالقة بهذه البقاع وأرسوا قواعد مملكة قوية استطاعت فى بعض عصور ازدهارها أن تبسط نفوذها على الحجاز نفسه وكانت هذه المملكة تشمل البلقاء وعمان وبصرى وتدمر وغيرها ، ولقد كانت المدينة الأخيرة مشهورة بنشاطها التجارى وقد تعرض العرب فى أمثالهم لذكر الزباء Zaba (زينوبيا) ملكة تدمر ، وقبيل ظهور الاسلام بيعض الوقت سيطر الغساسنة عليها واتخذوا من بصرى عاصمة لهم ، ولقد ذكر الهمدانى أن بنى عجـــل Brnu Alj a قد نزلوا بسوريا العربية بعد الاسلام حيث امتد نفوذهم

إلى حلب ، Aleqpo ولقد شاركهم فى هذه البلاد بنو ربيعة وهم فرع من طىّ كما ازدهرت بالقرب من غزه ، ببعض بطون جذيمة ، وحين ظهر الاسلام كانت هذه المدن والقرى فى يد العرب المسيحيين واليهود تحت سيادة الامبراطورية البيزنطية

العراق العربى :

عرف الاغريق العراق العربى بإسم بلاد العرب الصحراوية Arabi Dessrata وتشمل المنطقة التى تمتد بين خليج فارس والفرات والصحراء السورية ونجد ، وقد أسس العمالقة فى هذه البقاع مملكة كبيرة فى الأزمنة القديمة كما حلت احـــدى بطون ربيعة بهذه البلاد بعض الوقت ، ولقد أسس العرب فى عهد الدولة الاسلامية ، أيام ثانى الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب ، مدينتى الكوفة والبصرة اللتين ظلتا أمداً طويلا من المراكز الهامة للآداب والحضارة والثقافة العربية

وقد ذكر ابن خلدون أن عبيد Abid قد وضع أسس دولة فى سنجار Sangar بالعراق على مقربة من الفرات Euphrates قبل ظهور الاسلام ، وآخر حكامها كان يسمى ضيزن بن معاوية Digan Pin muawiyh وما زالت أطلال الأبنية التى شيدتها هذه

الأسرة التى حكمت سنجار فى أرجاء سهولها ، وقد ازدهرت إحدى فروع طيّ المعروفة بزبيد Zubaid فى هذه البلاد كما انتشر أحد فروع بنى عجل Banit ajal فى أرجاء اليمن والعراق ، وعند ظهور الاسلام كان عرب المناذرة يحكمون العراق نائبين عن الفرس متخذين الحيرة التى تقع بالقرب من الكوفة عاصمة لهم

الفصل الخامس

بلاد العرب فى العصر الحاضر

اصطلح المحدثون من الجغرافيين على تقسيم بلاد العرب قسمين بلاد العرب الداخلية وبلاد العرب الساحلية وتشمل الأولى بادية العرب (بلاد العرب الصحراوية) ونجد والدهناء (أو الربع الخالى) وتشمل الثانية سوريا وفلسطين وسيناء والحجاز والعسير واليمن وحضرموت وعمان والاحساء والعراق الغربى .

(ا) بلاد العرب الداخلية

١ — بادية العرب وتشمل ذلك الجزء من بلاد العرب الذى يقع شمال نجد ويمتد بين العراق وسوريا والجزء الذى يتاخم العراق يسمى صحراء العراق والذى يجاور سوريا يسمى الصحراء السورية .

٢ — نجد ويحدها من الشمال صحراوات سوريا والعراق ومن الغرب الحجاز ومن الشرق الدهناء والأحساء ومن الجنوب العسير وشطر من الدهناء ، ومساحتها ٥٠٠٫٠٠٠ ميل مربع وتعداد سكانها مليونين تقريباً .

٣ — الدهناء ، وهى صحراء مترامية الأطراف تمتد من جنوب نجد إلى عمان وحضرموت اليمن وتنقسم ثلاثة أقسام .

(ا) (الصعيد) الذى يقع بين شرق اليمن وشمال غربى حضرموت

(ب) الاحقاف الذ يمتد إلى الشمال الشرقى من حضرموت .

(حـ) وبر Wabar وتقع شمال مهرآ Muhra

(ب) بلاد العرب الساحلية

١ — سوريا ويحدها فى الشمال (تركيا) وفى الشرق العرق وفى الجنوب المملكة الأردنية الهاشمية وفى الغرب لبنان والبحر الأبيض المتوسط وتبلغ مساحتها ٧٠٫٠٣٨٠١ ميلا مربعاً ويقدر سكانها ٢٧٥٠٠٠٠ نسمه وغالبيته سكانها من العرب ومن أبرز العناصر الأخرى التى تقطنها الاتراك والأكراد وأكبر سكان هذه البلاد من المسلمين مع اقليات من اليهود والمسيحيين وأهم مدنها حلب Aleppo وانطاكيــة Antukis وحمص Hims ويعلبك Ba'labak ودمشق Demascus والأخيرة هى قصبة سوريا .

٢ — فلسطين كانت قديماً جزءاً من سوريا ولكنها الآن قطر منفصل عاصمتها بيت المقدس Jerusalem حدودها : من الشمال لبنان والبحر الميت ومن الشرق ، ومن الجنوب صحراء التيه Tih ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط ، ومساحتها ٩٫٢٧٠ ميلا مربعا يقطنها مايقرب

من [illegible]٠و٨٠٠ نسمة يبلغ تعداد المسلمين منهم ٠٠٠و٦٠٠ والباقون من اليهود والمسيحيين ، وسكانها من أصل عربى غير أنه قد بدأ يتدفق على فلسطين حديثا يهود من جنسيات مختلفة بنسبة كبيرة (١)

٣ — سيناء : حدودها من الشمال فلسطين والبحر الأبيض المتوسط

---

(١) فلسطين بعد الحروب التى خاضت مصر غمارها مع القوات اليهودية الغاصبة عقب جلاء القوات البريطانية عنها فى ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ وتنفيذ المؤامرة الصهيونية التى بدأت بوعد بلفور سنة ١٩١٧ — اضطرت مصر والبلاد العربية إلى قبول الهدنة التى فرضتها الدول الكبرى ، وتم فى الاتفاقيات التى عقدت برودس (مصر — إسرائيل ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٩ لبنان إسرائيل ٢٣ مارس ١٩٤٩ الأردن إسرائيل ٣ ابريل سنة ١٩٤٩ سوريا اسرائيل ابريل سنة ١٩٤٩ التقسيمات الآتية) .

(١) استولت اسرائيل على فلسطين كلها تقريباً ، عدا المناطق الآتية .

(٢) منطقة غزه وتحتلها القوات المصرية .

(٣) منطقة غربى الأردن وقد أصبحت جزءاً المملكة الأردنية الهاشمية .

(٤) تقسيم القدس إلى قسمين .

(ا) المدينة القديمة للاردن ، بها الأماكن المقدسة .

(ب) الجديدة لليهود أعظم مساحة وأكثر ازدهاراً .

وفى مايو سنة ١٩٥٠ أصدرت الولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا بيانا ثلاثيا بشأن المحافظة على السلام بين اسرائيل والدول العربية وفى أغسطس سنة ١٩٥٥ أصدر المستر دالاس وزير الخارجية الأمريكية بعض مقترحات بشأن تصفية الموقف فى فلسطين رفضتها الدول العربية يقوم على الأسس الآتية .

(١) التوطين والترحيل لحل مشكلة اللاجئين العرب .

(٢) تخطيط الحدود تحت إشراف الولايات المتحدة .

(٣) ضمان الولايات المتحدة لهذه الحدود .

(٤) إعطاء قرض وطنى لليهود .

(٥) الوصول إلى اتفاق بشأن القدس (التدويل) .

ومن الشرق خليج العقبة ومن الجنوب البحر الأحمر ومن الغرب قنال السويس وتبلغ مساحتها ٢٥,٠٠٠ ميل مربع وأغلبية السكان الساحقة من العرب المسلمين .

٤ ـــ الحجاز : حدودها . من الشمال بادية الشام ومن الشرق نجد ومن الجنوب جبال عسير ومن الغرب البحر الأحمر وتبلغ مساحتها ٩٦,٥٦٢ ميل مربع وتعدادها يتراوح بين مليون ونصف ومليونين وأغلبية سكانها من العرب المسلمين مع أقلية من المسلمين من غير العرب وأهم مدن الحجاز مكة والمدينة والطائف ومعان .

٥ ـــ عسير : حدودها فى الشمال الحجاز ونجد وفى الشرق جبال اليمن وفى الجنوب اليمن وفى الغرب البحر الأحمر ، وتقرب مساحتها من ٢٥,٠٠٠ ميل مربع ويزيد سكانها على المليون وسكانها من أهل السنة المسلمين ، كما يوجد أيضا بعض الشيعة .

٦ ـــ اليمن حدودها : من الشمال عسير والحجاز ونجد ومن الشرق الدهناء وحضرموت ومن الجنوب المحيط الهندى ومن الغرب البحر الأحمر ، وتبلغ مساحتها ٧٣,٧١٣ ميل مربع يسكنها ما يزيد على أربعة مليون نسمة والغالبية من سكان اليمن من مسلمى الشيعة الذين يعتنقون المدرسة الزيدية (نسبة لزيد بن على) كما يقطن بعض اليهود هنا أيضاً ، والقليل من أهل السنة يتبعون مذهب الامام الشافعى .

٧ — حضرموت : كانت قديما جزءا من اليمن ولكنها الآن تكون امارة منفصلة حدودها : من الشمال عمان والدهناء ومن الجنوب والشرق المحيط الهندى ومن الغرب اليمن وتبلغ مساحتها ما يقرب من ٢٥,٠٠٠ ميل مربع وتضم من السكان ما يقرب من ٦٠٠,٠٠٠ نسمة كلهم يتبعون أهل السنة على المذهب الشافعي وأهم مدنها ظفار ومرمات Mirmat ومكلا Mukalla .

٨ — عمان : حدودها من الشمال العراق ومن الشرق خليج عمان ومن الجنوب حضرموت ومن الغرب الدهناء وتبلغ مساحتها ٨٠,٠٠٠ ميل مربع وتعدادها ١٦٠,٠٠٠ نسمة وسكانها جميعاً من أحفاد الخوارج المسلمين .

٩ — الحسا : حدودها من الشمال العراق ومن الشرق الخليج الفارسى ومن الجنوب عمان والدهناء ومن الغرب نجد واليمن ومساحتها ١١٢,٥٠٠ ميل مربع تقريبا ويبلغ تعدادها ٣٥٠,٠٠٠ نسمة ، وتعرف ايضا بالبحرين وحجر Hijr وأهم مدنها الكويت والهفوف .

١٠ — العراق العربى : ينقسم العراق قسمين الشمالى والجنوبى ويعرف الأول منهما حيث عاش الاشوريون فى الازمنة القديمة بالجزيرة ويعرف الثانى حيث أقام البابليون فى العصور الخالية بالعراق العربى .

حدود العراق العربي :

من الشمال الجزيرة وكردستان ومن الشرق فارس ومن الجنوب الشرقي الخليج الفارسي ومن الجنوب الغربي صحراء العراق ونجد ومن الغرب الفرات وسوريا وتبلغ مساحة العراق ١١٥,٨٧٥ ميل مربع يقطنها ٢,٩٠٠,٠٠٠ نسمة من بينهم مليون ونصف من الشيعة ومليون ومائتا ألف من أهل السنة والباقون من اليهود والمسيحيين ومعظم سكان العراق من العرب ويوجد إلى جانبهم قليل من الأتراك والفرس والاشوريين والهنود ممن يقيمون اقامة دائمة هناك .

وتنقسم بلاد العرب (جزيرة العرب) من الناحية السياسية الآن[1]

---

(١) يلاحظ أن هذا التقسيم الذى وضعه المؤلف لا يتفق مع الوضع الحالى لسوريا ولبنان حيث لم تعد لفرنسا أية ممتلكات فى تلك البلاد حيث ظل السوريون واللبنانيون يطالبون باستقلالهم إلى أن واتتهم الفرصة بقيام الحرب العالمية الثانية واجتياح الجيوش الالمانية للاراضى الفرنسية ، ولما تكونت فى فرنسا حكومتى ڤيشي وديجول ، انضم السوريون واللبنانيون إلى حكومة ڤيشي الموالية للالمان ليتمكنوا من تمزيق الرداء الاستعمارى الفرنسى الذى كان يكفن استقلالهم إلى الأبد وبدأت هذه المنطقة الاستراتيجية الخطيرة تتطور إلى منطقة نفوذ ألمانى مما ازعج السلطات الانجليزية وجعلها تضغط على حكومة فرنسا الحرة (ديجول) حتى اعلنت استقلال سوريا ولبنان وانهاء الانتداب عليهما واعتبارهما دولتان مستقلتان ذات سيادة ، ودخلت القوات الانجليزية الفرنسية البلاد ، وقضت على النفوذ الالمانى بها وأقامت جمهوريتين إحداهما فى سوريا بزعامة السيد شكرى القوتلى والأخرى فى لبنان بزعامة السيد بشارة الخورى سنة ١٩٤٣

ولما انتهت الحرب الثانية بهزيمة دول المحور ، حاولت الحكومة الفرنسية بعد =

إلى عدد من الولايات المستقلة أو شبه المستقلة يحكمها حكام من العرب أو الأجانب كما يتضح مما يلي : —

١ — الممتلكات التركية : الجزء الشمالي من سوريا (شمالي حلب) يقع تحت سيطرة الجمهورية التركية .

٢ — ممتلكات فرنسا [1]

(ا) سوريا بمعناها المحدود (الشمالية والشرقية) وعاصمتها دمشق وقد وضعت هذه البلاد تحت الانتداب الفرنسي بعد الحرب العالمية الأولى .

(ب) سوريا (القسم الغربي على ساحل البحر الأبيض المتوسط) وأهم موانيها اللاذقية وطوطرس وقد أنشئ هذا القسم بعد الحرب العالمية الكبرى وأصبح من مناطق النفوذ الفرنسي .

(حـ) سوريا (القسم الجنوبي الغربي بالقرب من جبال لبنان)

= عودتها إلى باريس أن تنفض وعودها وتعيد سياستها الاستعمارية إلى هذه البلاد ، ولكن هذه المحاولة قوبلت بمقاومة عنيفة من الشعبين السوري واللبناني ، وعرضت قضية الدولتين على مجلس الأمن وكانت هذه القضية من أول التجارب التي مرت بهذا المجلس عقب الحرب العالمية الثانية فلم يشأ أن يصدم العالم الحرم في أمله بالمنظمات الجديدة بمثل هذه السرعة ، ولزمت فرنسا الحجة وانتهى الأمر بجلاء القوات الفرنسية عن هذه البلاد جلاء ناجزاً غير مشروط باتفاقات عسكرية أو سياسة أو دفاع مشترك ، وبذلك حصلت الدولتان على استقلالها التام (المترجم) .

(١) لم يعد لفرنسا أية ممتلكات في سوريا أو لبنان بعد أن نالتا استقلالها التام سنة ١٩٤٦ (المترجم) .

وأهم مدنها بعلبك وعاليه و بيروت التى تعتبر أهم موانيها وقد أسست هذه الولاية ووضعت تحت السيادة الفرنسية بعد الحرب العظمى .

(ء) سوريا (القسم الجنوبى الشرقى بالقرب من جبل حوران) وقد وضعت تحت الحماية الفرنسية بعد الحرب العظمى .

٣ — الممتلكات البريطانية

(ا) فلسطين : وعاصمتها بيت المقدس : وقد أصبحت ولاية ، منفصلة ووضعت تحت الانتداب البريطانى بعد الحرب العظمى(١)

(ب) شرق الأردن : وعاصمتها عمان : وتمتد هذه الولاية من سوريا وفلسطين والحجاز إلى شمال نهر الأردن ، وقد خضعت أيضاً للحماية البريطانية بعد الحرب العالمية الأولى .

(حـ) عدن : خضعت للحكومة البريطانية منذ سنة ١٨٣٩ م

(ء) مُكَلاَ : (جزء من حضرموت) . وهى ولاية وطنية تحت السيادة البريطانية .

(هـ) مسقط : هى ولاية وطنية قديمة ، على شاطىء المحيط الهندى وقد كانت قديماً مملكة عظيمة ، ولكنها الآن ولاية صغيرة تخضع للنفوذ الانجليزى ، وحاكمها من نسل المسلمين الخوارج ويلقب بالإمام

---

(١) لم يصبح لانجلترا نفوذ استعمارى فى فلسطين بعد أن جلت جنودها عنها عقب تنفيذ جريمتها الاستعمارية بخلق الوطن القومى لليهود فى أعظم بقاع هذه البلاد (المترجم) .

(و) البحرين : هى ولاية وطنية أيضاً . تخضع للنفوذ البريطانى .

(ز) لحج : هى ولاية وطنية صغيرة تقع شمال عدن وهى تحت الحماية البريطانية .

(ح) مجموعة ولايات صغيرة : هى مجموعة من الولايات الصغيرة (المرجح أنها إحدى عشرة) وثبت إلى الظهور بالقرب من عدن وهى الآن تقع فى نطاق الحماية والنفوذ البريطانى ويحصل معظم حكامها على رواتب شهرية أو سنوية تدفعها لهم الحكومة البريطانية .

٤ — ممتلكات مصر : تدخل شبه جزيرة سينا التى تبلغ مساحتها ٢٥,٠٠٠ ميل مربع ويبلغ تعداد سكانها ٥٠,٠٠٠ نسمة ضمن نطاق الأراضى المصرية .

٥ — مملكة نجد والحجاز ، وهى أقوى الممالك الوطنية فى جزيرة العرب فى الوقت الحاضر ، فقـــد استولى ابن سعود ملك نجد على الحجاز سنة ١٩٢٥ بعد أن أوقع الهزيمة بالشريف حسين أمير مكة وقد بذل جهوداً كبيرة فى سبيل توطيد دعائم ملكه ، وليبطل كثيراً من الشرور التى كانت منتشرة بين الناس كما أدخل كثيراً من الاصلاحات الدينية والاجتماعية والاخلاقية والتعليمية فى البلاد .

٦ — مملكة عسير : وقد نشأت كامارة منفصلة على يد محمد بن على (الادريس) سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١٢) ولكنها أصبحت منذ سنة ١٣٤٥ هـ تابعة لسيادة الحكومة السعودية فى نجد والحجاز .

٧ — مملكة اليمن ، ظهرت إلى الوجود منذ سنة ٢٨٠ هـ ، وقد فقدت الآن الكثير من أسباب قوتها وعظمتها فى الماضى ، ويلقب حاكمها بالامام وهو من الطائفة الزيدية من المذهب الشيعى .

٨ — مملكة الكويت ، هى ولاية وطنية يحكمها آل الصباح وتبلغ مساحتها ٤٠٠٠ ميل مربع . ويبلغ تعدادها ١٢٠٠٠٠ نسمة .

٩ — مملكة العراق ، وقد أنشئت هذه الولاية بعد الحرب العالمية الأولى ، ووضعت تحت الانتداب البريطانى ، ولكنها الآن تكاد تكون مملكة مستقلة .

مما سلف ذكره ، يتضح لنا أن بلاد العرب قد مزقت شر ممزق وإن ما كان يسودها من تماسك واتحاد وقوة ، قد ذهب إلى الأبد أو كاد !.

الكتاب الثاني

الأمم التي ورد ذكرها في القرآن

الفصل السادس

مقدمة

قسم المؤرخون الجنس البشرى ثلاثة أقسام رئيسية :

١ — الآريون . أو الهنود الأوربيون ، مثل الهنود والفرس والإنجليز والفرنسيين وغيرهم .

٢ — الطورانيون أو المغول ، مثل الصينيين واليابانيين والمغول وغيرهم .

٣ — الساميون مثل العرب والآراميين والعبرانيين والآشوريين والكلدانيين والفينيقيين وغيرهم .

وقد قسم بعض العلماء الجنس البشرى تبعاً للون بشرتهم إلى ما يأتى :

١ — الجنس الأبيض الذى يشمل الساميين والأوروبيين .

٢ — الجنس الأسود والأحمر ويشمل سكان أفريقية الأصليين

٣ — الجنس الأصفر ويشمل الصينيين واليابانيين والطورانيين (الشعوب الطورانية) .

وقد ورد فى العهد القديم تقسيم آخر للجنس البشرى (بعد طوفان نوح) .

وهناك تقسيم آخر للجنس البشرى (بعد طوفان نوح) ورد فى العهد القديم[1] . كان لنوح ثلاثة أولاد يافت Japheth وحام Ham وسام Shem ومن سلالة هؤلاء الأخوة الثلاثة انحدرت العناصر البشرية الثلاثة الآتية .

أبناء يافت وهم سبعة جومر Gomer وماجوج Magog ومداى Madai وجافان (ديوان) Javan وتوبال Tubal وماشك Masheck وتيراس Tiras .

أبناء حام وهم أربعة . كوش Cush (ومنه انحدر الأحباش) ومصرائيم (ومنه انحدر المصريون) وكنعان (ومن نسله الفينيقيون) وفوط Phut .

(ا) كان لكوش خمسة أبناء هم سبأ Seba وحافيله Havilah وسبته Sabtah ورعمه Raamah وسبتيكاه Sabtechah .

(ب) مصرائيم Mizraim وله سبعة أبناء ، لوديم Ludim وعناميم Anamim ولهابيم Lhabim ونفتوهيم Naphtuhim وبتروسيم Pathrusim وكسلوهيم Cosluhim (ومن نسلهم جاء فسلطيم Philistim) وكافتوريم Caphtorim .

(حـ) كنعان وله أحد عشر ولداً صيدون Sidon وحثاء Heth

(١) أنظر سفر التكوين .

وچيبوس **Jebusite** وعمورى **Amorite** والجرجاش **Girgasite** والحوى **Hivite** والعرقى **Arkite** وسنى **Sinite** والأردارى **Arvadite** والصمارى **Zemarite** والحماتى **Hamathite** .

أما أبناء سام فهم خمسة عيلام ، وآشور ، أرنخشذ ، ولود، وأرام أما بنو أرام فهم عوص **Az** وحول **Hul** وجاثر **Gather** وماش **Mash** ، وكان لارنخشذ **Araphaxed** ولد واحد يدعى شالح **Salah** أنجب عابر **Eber** ، وله ولدان ، يقطان[1] (قحطان) جد العرب القحطانيين ، وفالج **Peleg** الجد الأول لإبراهيم عليه السلام .

وليس من اليسير أن نقطع برأى فى صدد تقسيم الجنس البشرى كما ورد فى العهد القديم ومدى انطباقه على الأبحاث الحديثة ، ولقد وصفه بعض العلماء من الأوروبيين أنه غير حرى بالدراسة الجديه ، ولكن هذا الفريق من العلماء الذى يعتمد على المنطق وحده فى أحكامه يرى أن التقسيم الذى ورد فى الكتاب المقدس لايعتمد على الأنساب أو المبادىء الفسيولوجية . بقدر ما ينحو نحواً سياسياً وجغرافياً[2]. وقد ذهب العلماء الأوروبيون الذين يعنون بالتوفيق بين العقل والتقاليد إلى أن ما ورد فى العهد القديم ، وما انتهت إليه الأبحاث

---

(١) أهم هذه السلالة وهو قحطان بن عابر بن شالح بن قينان بن أر فخشذ بن سام ابن نوح عليه السلام وقد ورد فى التوراه أن قحطان رزق بثلاثة أولاد هم المزداد ومعربه والمضاض ومنه تشعبت أهل اليمن من حمير التبابعة وكهلان وهدرومات (المترجم)

(٢) Enc. Britt., vol 11. p. 204

الحديثة من نتائج لا تختلف سوى فى الإسم ، ويؤكدون أن الأسماء التى ذكرت فى العهد القديم تتفق والأسماء التاريخية القديمة سواء كانت أسماء شعوب أو بلاد ، وإن كان قد أصابها بعض التغيير والتحريف(١) لمضى آماد بعيدة عليها ، وكذلك للاختلافات اللغوية ، وإذا أمعنا النظر فى شجرة الأنساب التى ذكرها العهد القديم تبين لنا أنها تقصر الإشارة إلى الشعوب والأماكن الفلسطينية وما يجاورها مثل آشور وسوريا وبابل وكلديا وميديا ومصر ودمشق وأفريقية وسيناء وبلاد العرب .

الساميون : ومهما يكن من أمر اختلاف وجهة النظر التى تتخذها حين نعرض لتقسيم الجنس البشرى سواء أكان ذلك التقسيم يعتمد على الأنساب كما ورد فى العهد القديم (مثل يافث وحام وسام) أو وفق قواعد اللغة (كما ورد فى الآريين والطورانيين والساميين) أو اختلاف اللون (كالأبيض والأحمر والأصفر) ، فإن الشعوب التى سكنت بلاد العرب وسوريا والعراق تنتمى إلى فصيلة واحدة من الجنس البشرى .

ومن الممكن أن نسمى هؤلاء بنى سام (نسل سام) كما ورد فى العهد القديم أو الساميين كما عرفهم علماء اللغة أو الجنس الأبيض والفرق الوحيد بين كلمتى « بنو سام » و « الساميون » هو أن الأولى تشمل الشعوب التى انحدرت من سام طبقاً لما ورد فى العهد القديم ،

---

(٢) Bəʌen, Geography of Torat.

بينما تعنى الأخيرة جميع الشعوب التى كانت تتكلم أو تتكلم الآن باللغات السامية ، ولهذا فإن أبناء عيلام الذين نزلوا عند سواحل الخليج الفارسى ، وأبناء لود Lud الذين سكنوا لوديا Ludia سوف لا يعتبرون من الأجناس السامية ، لأنهم لم يتحدثوا باللغة السامية على الإطلاق ، فى الوقت الذى يُعد الفينيقيون والبابليون والحبشان والعموريون من الشعوب السامية ، لأنهم تحدثوا بها .

الفصل السابع

وطن الساميين الأول

أجمع مؤرخو العرب على أن وطن الساميين الأول هو بلاد العرب ، ولكن العلماء الأوروبيين يختلفون بصدد هذه المسألة وسنعرض لآرائهم فيما يلى :

١ — ففريق يرى أن الوطن الأول للساميين ، أفريقية ، حيث يمكن أن نتتبع أحفاد حام (شقيق سام) حتى فى الزمن التاريخى ويعضد هذا الرأى أن هناك شبها واضحا بين اللغات السامية والحامية ، وأن الساميين والحاميين وبخاصة أولئك الذين يقيمون فى جنوب بلاد العرب يتشابهون فى صفاتهم الجنسية .

غير أن هذا الدليل لا يمكن القطع به ، لأنه إذا افترضنا أن أحد الأخوين كان يعيش فى أفريقية فهل من الضرورى أن يتبعه الآخر فى سكنى هذه القارة ؟

ولما لا نفترض أن الحاميين ، قد انفصلوا عن الساميين بعد أن عاشوا معهم ردحاً طويلا من الزمن ، وأن مايتميزون به صفات يشاركهم فيها إخوانهم الساميين ، إنما يرجع إلى أنهم انحدروا من أرومة واحدة واستوطنوا معاً أمداً طويلا ؟

وأما التقارب فى المميزات الجنسية باليمنيين أى سكان جنوب بلاد العرب والحبشان (من سلالة حام) (فإنه أمر طبيعى) لأن الأحباش ليسوا إلا خليطاً من العناصر اليمنية بالأجناس الأخرى ، ولم تكن الحبشة بلداً منفصلا أو مستقلا ، ولكن كان سكانها من مهاجرى اليمنيين من العرب[١] . وهذا يفسر لنا السبب فى أن المؤرخين الأقدمين لم ينظروا إلى اليمن والحبشة على أنهما قطرين منفصلين ، ولكن قسمين لقطر واحد ، أطلقوا عليه أثيوبيا **Ethiopia** .

٢ — ويرى فريق آخر أن الوطن الأول للساميين ، أرمينية وكروستان وليس من دليل يساق لتعضيد هذا الرأى سوى إشارة وردت فى العهد القديم ، وحتى هذه الإشارة قد أسىء فهمها (كما سنرى فيما بعد) ، وقد دحض هذا الرأى المستشرق الكبير نولدكه **Noldeke**[٢]

٣ — ويرى البروفيسور (الأستاذ) جيدى **Guidi** المستشرق الايطالى ، أن الوطن الأول للساميين هو الجزء الأدنى من الفرات . ويمكن أن نذكر دليله على ذلك باختصار فيما يلى :

كل لغة يجب أن تتألف فى بادىء أمرها من كلمات تعبر عن ضرورات الحياة الأولى ، وتظل هذه الكلمات فى كل فرع من أفرع هذه اللغة كمقياس ورائى ، ولذلك فأن مثل هذه الالفاظ التى نجدها

---

(١) Encyclopaedia Britt., vol. XXIV, p. 618

(٢) Ibid, vol. XXIV , p. 620.

مكرره فى جميع اللغات السامية لابد أن ترشدنا إلى تعيين الموطن الأول لأصحابها (أى للساميين) وإذا استرشدنا بهذا المبدأ لوصلنا إلى النتيجة ، وهى أن الموطن الأول للساميين هو الجزء الأدنى من الفرات .

وقد فند نولوكه هذا الرأى بقوله

(ا) أن الكلمات الشائعة التى تُعبِّرُ عن ضرورات الحياة قد فنيت بتقادم العهد .

(ب) وأكثر من هذا فان افتراض تردد الالفاظ التى تُعبِّرُ عن حاجات الحياة الضرورية بين ما تفرع عن اللغة الواحدة لاينطبق على اللغات السامية التى تختلف فيها الالفاظ التى تعبر عن أمور ضرورية مثل كلمات خيمه وولد ورجل وعجوز وما إليها هذا إلى جانب أن هذه الألفاظ الشائعة بين الساميين فى الشمال والساميين فى الجنوب التى يجب كما يرى الاستاذ جيدى. أن تكون قد نشأت فى وطن الساميين الأول لم يكن من الميسور تتبعها فى البقاع القريبة من الفرات .

وقد سبق جيدى إلى هذا الرأى . فون كريمر **Von-Kremer** الذى ساق الأدلة السابقة حين ذهب إلى أن وطن الساميين القديم الأراضى القريبة من نهرى سيحون وجيحون فى وسط آسيا ، ويكفى

دليلا على وهن الحجج التى سيقت فى معرض تأييد هذا الرأى ، أنها ذكرت للدفاع عن رأى آخر يغايره .

٤ — ويذهب فريق إلى أن بلاد العرب هى الأرض التى نشأ فيها بنو سام (أولاد سام) وقد ذهب هذا المذهب الذى تؤيده الحقائق والأدلة نفر كبير من مؤرخى أوروبا وأمريكا مثل دى غويه De Goege وكرادر Schrader وونكلر Wincklr وتيلى Tiele وماير Meyer سپرنجر Sprenger ونولدكه Noldehe وكن Keana وربرتسن سميث Robertson Smith وصمويل لانج Samuel Laing ورايت ساسى W. Wright Sayce ور . و . روجرز R. W. Rogers وغيرهم

ويمكن أن نلخص الأدلة التى تؤيد هذه النظرية فيما يلى : —

(ا) يشهد التاريخ أن كثيرا من الشعوب خرجت من بلاد العرب ، واستوطنت بلاداً أخرى.

(ب) تعد اللغة العربية : أقرب اللغات السامية للأصل السامى الأول .

(حـ) يشابه تركيب العربى الجثمانى ما امتاز به الساميون من صفات جسدية .

(ى) إن الحياة العربية البدوية التى يحياها العرب ، هى أثر بداقى وقديم للمعيشة عند الساميين .

وفيما يلى اقتبس آراء بعض المؤرخين وعلماء اللغة المعروفين الذين يعتقدرن (يذهبون إلى القول) أن بلاد العرب كانت الموطن الأول للساميين : —

١ — تؤيد التقاليد السامية بصوره قاطعة أن بلاد العرب كانت الوطن الأول للساميين ، والواقع أنها المنطقة الوحيدة التى ظلت منذ ذلك الحين تحمل الطابع السامى ، وتشير الصفات الجنسية والتعصب الدينى ، والازورار عن مخالطة الأجانب ونظام الحياة البدوية . وأشياء أخرى كثيرة . أن الساميين قد نشأوا فى بيئة صحراوية (انظر ساسى ، قواعد اللغة الاشورية Sayca: Assyrian Grammer .

٢ - أما الدكتور سبرنجر Dr. Sprengir فيذكر فى كتابه جغرافية بلاد العرب القديمة Geohraphy of Ancient Arabia ما يلى » فى اعتقادى أنه يمكن نتتبع الساميين جميعاً إلى موطنهم فى الجزيرة العربية ، وقد قسموا أنفسهم إلى عدد من القبائل والبطون ، ومن يدرى ما عدد القبائل التى سبقت الكعانيين الذين ظهروا فى فجر التاريخ .

٣ — أما سكرادر، فيرى أن الروايات الدينية والابحاث اللغوية والادلة التاريخية والجغرافية تؤيد الرأى القائل ، أن الوطن الأصلى للساميين ، هو بلاد العرب .

٤ — أمادى غويه : فيذهب إلى القول أن قلب الجزيرة العربية كان الوطن الأول للساميين ، وقدهاجرت منه عشائر مختلفة إلى سوريا وبابل وعمان واليمن ، وهى تدفع أمامها ما تقدمها من موجات الهجرة التى اتجهت نحو كردستان وارمنيا وافريقية .

٥ — ويذكر هيرين Heeren فى مؤلفه ، بحوث تاريخية فى التجارة والسياسة القديمة .

Historical Researehes of Ancıent Rommere and Politics, vol. 1, p. 292.

من الجلى أن الآشوريين خرجوا من بلاد العرب الموطن الأول للساميين ولو أنهم غيروا حياتهم البدوية (ومارسوا نظاما زراعيا بحتا) متأثرين فى ذلك بظروف بيئتهم المحلية وأحوالهم .

٦ — لابد من مضى بعض الوقت قبل أن نستطيع المفاضلة بين مذاهب هؤلاء العلماء المتخلفين، واختيار أقربها إلى الصواب ولكنى، فى الوقت الحاضر ، أرى مايراه سكرادر ودى غوية ، بما سبق ذكره كما اتفق مع ما ذكره وليام رايت W. Wright فى مؤلفه ، قواعد اللغات السامية Grammar of Semetic Lenguages .

ويقول الأستاذ ر . و . روجرز R. W. Rogers فى هذا الصدد ما يلى .

« لايمكن أن نقطع برأى عن الوطن الذى خرج منه هؤلاء

الغزاه الساميون ، ولقد اعتقد البعض أنهم أتوا من الشمال الشرقى من خلال ممرات جبال كروستان وأن بابل كانت البلاد والتى شهدت أول ظهورهم كأمة متقدمة ، ومنها انتشروا فى غربى آسيا حيث نشأت منهم دول كبيرة كالعرب والكنعانيون والآراميين ، وعلى الرغم من أن هذا الرأى قد لقى تأييداً شديداً فى وقت ما ، الا أن جلة العلماء قد نبذوه ، ولم يبق ممن يناصرون هذا الرأى سوى قليل ممن يعتد برأيهم ، وهناك رأى آخر يذهب إلى إن الوطن الأول للساميين كان فى أفريقية فى الشمالى الشرقى أو الغربى منها ، ومن الغفلة أن ننكر أن هناك أدلة لغوية قوية تؤيد ذلك ، إذ هناك تشابه واضح بين اللغات السامية من جانب ولغة المصريين القدماء واللغة القبطية ولغات البربر ، والكوشيين (من البشاريين والجلا والصوماليين وغيرهم) .

ولكن مهما قيل من أدلة لتعضيد هذا المذهب فهناك رأى ثالث جدير بالاعتبار يذهب إلى أن الوطن الأصلى للساميين كان فى بلاد العرب ، وقد خرجوا منه فى موجات متتابعة من الهجرات ليجدوا أرضاً أوسع وأكثر غنى فى بابل والعراق ، وحتى فى أرض كنعان فى أقصى الغرب ، ويبدو أن الرأى الأخير تؤيده الحقائق التى اميط اللثام عنها ويلوح لى أنه خير حل لهذه المسائل المعقدة » (انظر كتاب تاريخ بابل وأشور ، حـ ١ ص ٥٢)

(History of Babylon and Assuria)

وقد كتب صمويل لانج Samuel Laing يقول « يبدو أن المسألة واضحة وضوحا كافيا ومهما اختلفنا فى تحديد الموطن الأول للآريين فالموطن الأول للساميين لابد أن يكون بلاد العرب ، لأننا فى كل مكان آخر لا نعرفهم إلا وافدين من الخارج (مهاجرين) أو غزاة فاتحين ، وجدوا شعوبا من أجناس أخرى قد سبقتهم ، إلا فى الجزيرة العربية حيث يبدون وكأنهم السكان الأصليون ولذلك فإن التاريخ القديم لكلديا وآشور وتقاليدهما الموروثة تشير إلى أن الساميين قد وفدوا من الجنوب ، إما عن طريق الخليج الفارسى ، عبر صحراء بلاد العرب وسوريا ، ولذا فنحن لا نعرف غير الساميين والساميين فقط . فى بلاد العرب ، منذ أقدم العصور (انظر أصل البشر) .

ويعتبر ، نولدكه أكبر ثقة فى هذا الموضوع ، وقد ذكر فى دائرة المعارف البريطانية ، فى من حديثه عن اللغات السامية .

بعض كبار العلماء يرى أن جزيرة العرب الوطن الأول للجنس السامى ، وهناك كثير من الأدلة تؤيد هذه النظرية ويحفل التاريخ بأخبار القبائل التى خرجت من جزيرة العرب منذ فجر التاريخ ، واستقرت بالأراضى الزراعية التى تتاخم صحراء بلاد العرب ، وقد احترفوا الزراعة واتخذوها نظاما لحياتهم ، وهناك كثير من الأدلة اللغوية تشير إلى أن العبرانيين والآراميين من أصل بدوى ، والحق إن جزيرة العرب وامتدادها الشمالى فى بادية الشام ، هى الوطن

الحقيقى الملائم لشعب بدوى والمفروض أن العرب يمثلون الصفات السامية أصدق تمثيل وأن لغتهم أقرب إلى الأصل السامى من لغات الأجناس التى تشبههم ، ونحن نؤيد تأييدا تاما هذه النظرية التى ترى أن جزيرة العرب هى الوطن الأول لكل الشعوب السامية ، لأنها نظرية جديرة بالتعضيد[١] »

وقد ذكر كاتب آخر فى بحث له عن جزيرة العرب فى دائرة المعارف البريطانية :

« إن جزيرة العرب بلد سكانها ساميون ، ويذهب بعض العلماء إلى أنها كانت الوطن الأول للشعوب السامية ، ورغم أن هذا الرأى لم يقم عليه الدليل القاطع ، فإن الأبحاث اللغوية والاركيولوجية لعلماء الدراسات السامية تشير إلى أنه محتمل ، ومن السهل أن نتخيل كيف تفرقوا من الجزيرة العربية ، فالهجرة إلى بابل من الأمور الميسورة حيث لاتوجد حواجز طبيعية تعزلها عن شمال شرق بلاد الجزيرة العربية ، كما حدثت هجرات مماثلة فى العصور التاريخية المختلفة ، ولذلك فإن هجرة الآراميين فى الأزمنة المبكرة لا تحول دونها أية عقبة طبيعية »[٢]

ولقد تناولنا فيما سلف مسألة الوطن الأول للساميين من جوانبها اللغوية ، وما يتصل بالعادات والأعمال والصفات الجنسية ، والظروف

---

(١) Enq. Brit. vo.l XXIV p. 620

(٢) Ibid vol. II. p. 263

الطبيعة ، ولنعرض لهذا الموضوع من الناحية التاريخية ، إن أقدم الأدلة التاريخية ، فى هذا الصدد ماورد بالعهد القديم حيث نجد «كان سكان الأرض جميعاً يتكلمون بلغة واحدة ولسان واحد ، وقد حدث فى أثناء رحلتهم من الشرق أن وجدوا سهلا بأرض شنعار (بابل) فأقاموا فيه ، ومن هنا فرقهم الله فى طول الأرض وعرضها ، وكفوا عن بناء المدينة ، ومن ثم أطلق عليها اسم بابل [١]

وهنا قد يتساءل ما الذى يعنى بكلمة الشرق ، وقد حار مفسروا العهد القديم فى أن يجدوا اجابة مقنعة لهذا السؤال ، ولكن مع ذلك فإنه مفروض بوجه عام أن المقصود بالشرق هنا أرمينية . لأن الجبل الذى القت فيه سفينة نوح مراسيها قد ذكر فى العهد القديم باسم أرارات .

والمفروض أن هذا الجبل يقع فى أرمينية ، غير أن الصعوبة هنا هو أن أرمينية لا تقع ناحية الشرق ، سواء بالنسبة لبابل أو فلسطين ، وللخروج من هذا المأزق ، قال البعض إن موسى كان يعيش فى مصر وبلاد العرب . وتقع أرمينيا إلى الشرق من هذه البلاد ، بينما قال البعض الآخر ، إن الانسان عرف أول ما عرف الأفق الشرقى فقط (والشرق هو المكان الذى تشرق منه الشمس) ، ومن ثم أشير إلى أرمينيا على أنها بلد شرقى ، وليس ضرورياً أن نذكر أن هذه

(١) سفر التكوين ، الاصحاح الحادى عشر ، صفحات ٢٢١ — ٨ — ٩

الآراء غير جديرة بالدراسة الجدية

ويبدو مما ورد فى العهد القديم أن بابل لم تكن الوطن الأول للساميين وانهم هاجروا إليها من بلد تقع إلى الشرق ويقصد بكلمة شرق فى لغة الكتاب المقدس البلاد التى تقع شرق فلسطين التى كانت مكاناً لنزول هذا الكتاب المقدس ونعنى بذلك بابل وبلاد العرب ، وبذلك تصبح بابل هى المكان الذى هاجر الساميون إليه من الشرق ، وبذلك فإن كلمة « الشرق » لا تشير إلا للبلاد الأخرى وهى جزيرة العرب (البقعة التى هاجروا منها)

ويلى العهد القديم من حيث القدم مصدر آخر من مصادر المعرفة هو كتاب يوسف Josephus « آثار اليهود القديمة » الذى يمكن أن يعد إلى حد ما أنه تفسير للعهد القديم . نجد فيه « أنهم (أى الأجناس السامية) انتشروا من الفرات حتى المحيط الهندى » وليس هناك بلاد تمتد بين الفرات والمحيط الهندى إلا أن تكون بلاد العرب

ومن ناحية أخرى جديرة بالذكر ، هو أن العرب وحدهم هم الذين ادعوا أن بلادهم ، هى الموطن الأول للساميين ، وأن هـــذا الادعاء الذى تعضده أدلة وحجج كثيرة لا ينازعهم فيه منازع من شعوب أخرى ، ولذا كان من الواضح أن دعوى العرب حرية بالتصديق

وقد ذكر المؤرخ ابن قتيبة (+ ٢٧٦ هـ) « إن سام بن نوح قد حلّ فى الأرض التى تقع بين مكة والبلاد المجاورة ، أى اليمن وحضرموت وعمان والبحرين وديار ودو Daw والدهناء »[١]

وقد ذكر المؤرخ اليعقوبى (+ ٢٨٠ هـ)

« استولى أحفاد سام على الحجاز واليمن وأراضى أخرى »[٢]
ولذلك فإن القرآن الكريم ، قد وصف مكة بحق فى الآية الكريمة أنها أم القرى ، فى قوله تعالى : « لتنذر أم القرى ومن حولها »

---

(١) كتاب المعارف ص ١٠ (ط . مصر)

(٢) اليعقوبى جزء ١ ص ١٧ (ط . ليدن)

الفصل الثامن

هجرة الساميين

إن فى تاريخ بلاد العرب ، أربعة انقلابات عنيفة ، أولها فى سنة ٣٠٠٠ ق . م حين هاجر عدد كبير من القبائل من جزيرة العرب ، وانتشروا فى بابل وآشور ومصر وفينيقية والثانية كانت فى سنة ١٥٠٠ ق . م حين خرج الأيدوميون Edomites والمؤابيون Moabites والمدينيون Midianites من بلادهم إلى الأراضى المجاورة والثالثة حين هاجر الميناثيون Minaeans والسبأيون إلى بلاد أجنبية أما الرابعة فكانت فى القرن السابع الميلادى (القرن الأول الهجرى) حين انتشر العرب تحت لواء الاسلام فى البلاد الأجنبية طولا وعرضاً

ولا يعنينا فى الوقت الحاضر سوى الهجرة الأولى التى خرجت من جزيرة العرب ، أى التى تركت فيها الشعوب السامية وطنها الأول . وقد سبق ذكر طائفة من آراء ونظريات بعض العلماء الأوروبيين والامريكيين ، وها هى بعض الأدلة الأخرى التى يمكن أن تؤيد الرأى القائل ، بأن الساميين قد خرجوا من جزيرة العرب : —

فى عام ٣٠٠٠ ق . م نجد أن الشعوب السامية كانت تهاجر من وطنها الأصلى ، فاستوطن الكنعانيون سوريا ، حيث أنشأ الفينيقيون — بعد مغادرتهم ساحل الخليج الفارسى (البحرين) مدناً تجارية كما حسنوا نظام الملاحة ونهضوا بها وقضوا على الحضارة الإيجية . ثم أنشأوا من بعد ذلك طريقاً بحرياً يربطهم بأوروبا ، ثم تمكن الغزاة الهكسوس الذين هاجموا مصر من تأسيس أو إقامة دولة خاصة بهم ، ولكن تاريخ البدو من سكان صحراء العرب ما زال يكتنفه الغموض وبمضى الزمن استطاعوا أن يبنوا المدن وينشئوا الممالك ، وكانت التجارة هى المصدر الوحيد لثروتهم[١] .

وبعد أن انفصلت الأجناس السامية الشمالية أى الأرمنيون Armenians والآشوريون والكنعانيون عن الأجناس التى تنتمى إلى أرومتها واتجهت إلى بابل حيث أقامت مدة طويلة فى اتحاد تام. ويلوح أن الأرمنيين كانوا أول هذه الشعوب التى انشقت عن الجماعة ، ثم تلاهم الكنعانيون ، ثم تبعهم الآشوريون، وفى هذه المدة ، هاجرت بعض هذه القبائل نحو الجنوب ، ونزلت بساحل شبه الجزيرة العربية ، ومن هناك خرجت منهم جماعة عبرت إلى أفريقية واستوطنت الحبشة[٢] .

---

(١) Huart : Introducion to Histouy of Aralia

(٢) Schader : (w. Right, p.b,)

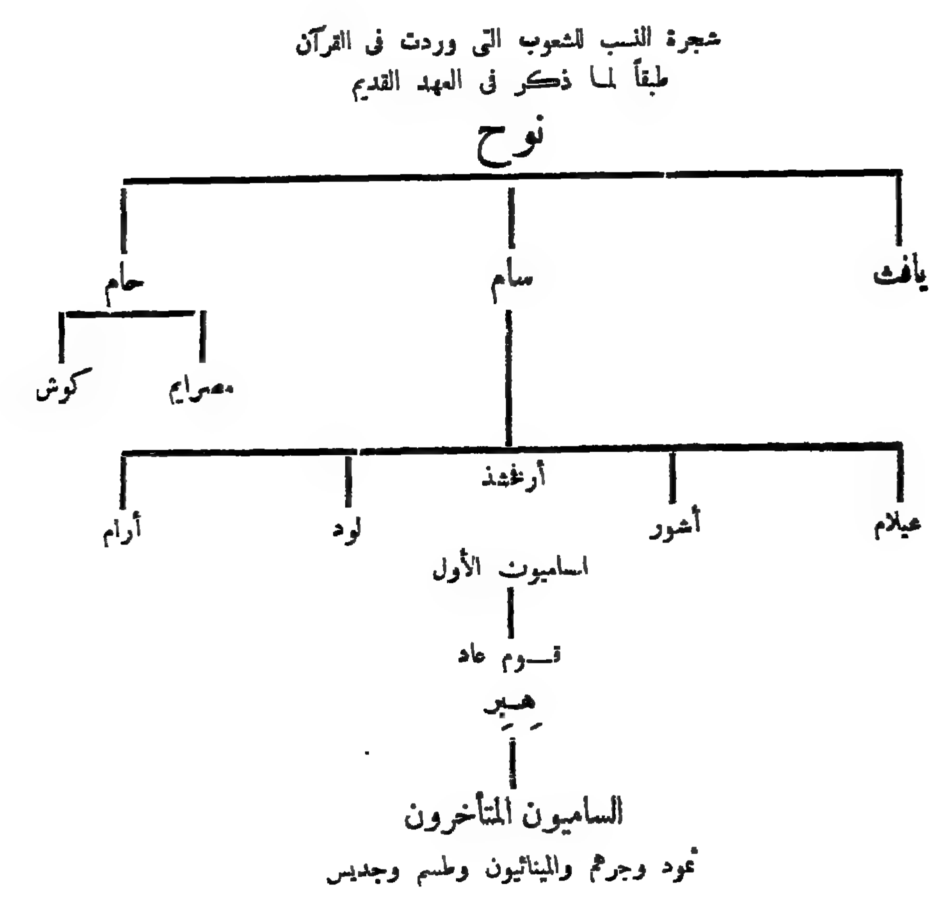
وهذه الأدلة السالفة الذكر تتفق مع روايات مؤرخي المسلمين فابن قتيبة الذي وصف كيف تفرقت العشائر المختلفة من نسل سام ذكر[1].

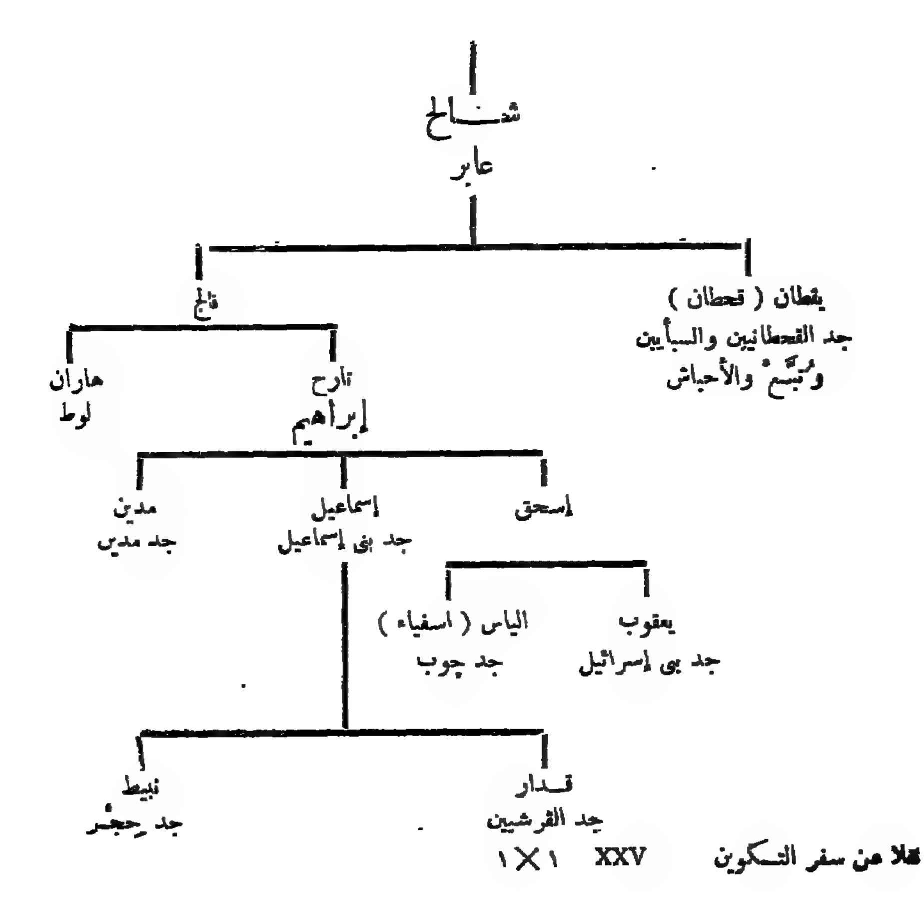
« إن من بينهم (الساميين) العمالقة (الذين كانوا قبائل مختلفة) الذين انتشروا في أقطار مختلفة، وكان من بينهم ملوك مصر وبابل »

ويقول ابن خلدون كان للساميين كثير من الملوك والممالك في بلاد العرب، وقد امتد سلطان بعض القبائل العربية إلى سوريا ومصر »

---

(١) كتاب المعارف ص ١٠ (ط. مصر)


شجرة النسب للشعوب التى وردت فى القرآن
طبقاً لما ذكر فى العهد القديم
نوح
يافث
سام
حام
مصرايم
كوش
عيلام
أشور
أرفخشذ
لود
أرام
الساميون الأول
قوم عاد
عابر
الساميون المتأخرون
ثمود وجرهم والمينائيون وطسم وجديس



نقلا عن سفر التكوين XXV ١×١

الفصل التاسع

السلسلة الأولى للساميين

الأوائل (الأول)

يقصد بالسلسلة الأولى للساميين الأوائل (الأول) السكان الأصليون لبلاد العرب الذين هاجروا إلى بابل ومصر وسوريا لأسباب متعددة ويطلق المؤرخون العرب على هؤلاء ، الأمم البائدة ، لأنها انقرضت بعد هجرتها ، ويطلق عليهم البعض الآخر ، الأمم العاربة (العرب الخلص) وقد أطلق عليهم اليهود وبعض الشعوب الأخرى خطأ ، العمالقة .

ولما لم يستطع علماء الآثار الأوربيون أن يطلقوا أسماء متميزة على على الأجيال المختلفة من الشعوب السامية ، فقد أسموهم الساميين ، وهو لفظ يكتنفه الغموض ، أما العرب فقد أفردوا لكل اسما خاصاً .

وأكثر الأجناس قدما فى جزيرة العرب قبائل عاد وثمود وجرهم واللخميون وطسم وجديس ، ولما كانت عاد هى أكبر وأعظم شعوب الجزيرة وأشدها بأساً وقوة فقد سيطرت على جزيرة العرب كلها ، وطبقاً للروايات المتواترة العربية قامت ممالكهم فى بلاد العرب وبابل

ومصر ، وينسب مؤرخو العرب عاد والشعوب الأخرى التى تشبهها إلى آرام بن سام ، وإن كانت معرفة أية عشيرة انحدرت من أى فرع من فروع الجنس الأرامى لا تزال من المشاكل التى استعصى حلها ويختلف النسابون فيها اختلافاً يجعل من المتعذر الوصول إلى نتائج يمكن الاطمئنان إليها .[1]

وقد حاول ابن خلدون المؤرخ الشهير أن يتلمس مخرجا لهذا الخلاف فى الرأى ولكن لم يصادفه التوفيق الكثير ، وإن كان قد أكد أن الساميين ينتمون إلى سام وأن العنصر الأرامى كان سائداً فيهم وإن اللغة العربية تشمل كثيراً من الألفاظ ، والتعبيرات الآرامية[2]* فكلمة مكة لفظة أرامية[3] وكذلك نقوش ثمود التى عثر عليها

---

(١) اقتبس هنا جدولان للانساب التى ذكرها ابن قتيبه فى كتاب المعارف (وهو من أقدم المصادر) وما ذكره القلقشندى فى كتابه (سبائك الذهب) وهو مصدر حديث .

	ابن قتيبه	القلقشندى
(١)	عمليق بن لا فث بن آرام بن سام	عمليق بن لا فث بن سام
(٢)	جديس بن لا فث بن آرام بن سام	جديس بن آرام بن سام
(٣)	عاد بن عز بن آرام بن سام	عاد بن عز بن آرام بن سام
(٤)	ثمود بن جيثر بن آرام بن سام	ثمود بن جيثر آرام بن سام
(٥)	طسم	طسم بن لا فث بن سام
	(انظر س ١٣ ، ١٤ ط . بمباى)	(انظر ص ١٠ ط . مصر)

(٢)* انظر كتاب الأستاذ أرنولد « سواء السبيل »

(٣) جورجى زيدان ، العرب قبل الاسلام س ٢٤٠

ذات حروف آرامية (١) وقد عرفت ثمود باسم ثمود إرم (٢) كما عرفت عاد باسم عاد إرم ، وقد كتب ابن خلدون فى هذا الصدد — كانت عاد تعرف قديماً ، عاد إرم ، ولما هلكت سميت ثمود إرم ، ولما حل الدمار بالأخيرة ، سميت ثمود باسم ثمود إرم (٣) .

وإذا تناولنا بالتحليل الشعوب السامية ، وجدنا أن أقوى بطونها هى عاد ، وقد ذهب بعض المؤرخين من الأوروبيين الذين اختصوا بدراسة التاريخ القديم إلى أن عاد ليست إلا حديث خرافة أو أسطورة من الأساطير ولكنهم كانوا مخطئين وقد برهنت الكشوف الحديثة فى صورة قاطعة أن السكان الأول لجزيرة العرب (الأجناس السامية) كانوا على جانب من القوة وكثرة العدد ، وقد أقاموا ممالك ضخمة فى بابل ومصر وسوريا ويشير العرب إليهم جملة باسم الأمم البائدة ، بينما يطلقون عليهم منفردين ، عاد وثمود وطسم وجديس وغيرها .

وأهم المصادر الموثوق بصحتها التى نستقى منها معلوماتنا القرآن.

---

(١) دائرة المعارف البريطانية حـ ٢٤ ص ٦٢٦

(٢) ابن خلدون حـ ٢ ص ٧١

(٣) ابن خلدون حـ ٢ ص ٧

ومما هو جدير بالذكر أن البقاع التى سكنتها الشعوب العربية سميت بمضى الزمن باسم إرم ، ومن ثم نجد أن العهد القديم يشير إلى العراق « إرم النهرين » وبادان إرم ، وسوريا إرم ، وإرم دمشق وشمال العرب باسم إرم العرب ، وكذلك نجد أن النقوش القديمة التى عثر عليها فى بابل وأشور وسوريا وكنعان وفينيقية وجزيرة العرب الشمالية إما أرمية أو حافلة بالكلمات الأرمية .

الكريم ، حيث جاء فى قوله عز وجل « الم تر كيف فعل ربك بعاد إرم »[١] ، وقوله تعالى « واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح » (السورة السابقة آية ٦٩)

وقد ذكر المؤرخ الفرنسى الشهير ، سدل Sadles فى كتابه عن تاريخ بلاد العرب .

« إن تاريخ الأمم البائدة غير موثوق به فالذى يمكن أن نعرفه أو يمكن الزعم أننا على علم به ، أن عاداً قد امتلكت مصر وبابل سنة ٢٠٠٠ ق . م ، وقد عرفوا حينئذ بالهكسوس (ملوك الرعاة) ولاريب أن هذا الرأى له ما يؤيده من الأدلة التاريخية والكشوف الأثرية » .

---

(١) تشير الآية بوضوح إلى أن عاداً تناسلت من إرم (بن سام بن نوح) وتتمة الآية الكريمة « ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد »

الفصل العاشر

عـــاد

لفظ عاد : تعد اللغة العبرية أقدم اللغات السامية ومعنى كلمة عاد باللغة العبرية « مرتفع وشهير » وتدل كلمتا إرم وسام على نفس المعنى كما أن كلمة إرم ، تعنى فى العربية التل ، ومعالم الطريق ، وقد استخدمت كلمة عاد فى العهد القديم للدلالة على الذكور ، وعاده للاناث[1]، وهذه الحقيقة تدل على أن كلمة عاد كانت شائعة الاستعمال فى العصور القديمة (الأولى) .

عهد عاد :

من الصعوبة بمكان تحديد الزمن الذى عاشت فيه العرب البائدة ، لأن تأريخ الحوادث لم يكن نظاما متبعاً عند العرب فى العصور السابقة على الاسلام ، غير أنه لما كان مؤرخو العرب ، قد ذكروا أن عاد بن هوذ بن إرم بن سام بن نوح فمن المحتمل أن يكون عاد قد عاش قبل عام ٣٠٠٠ ق. م وقد أشار القرآن أيضاً إلى أن عاد هم خلفاء قوم نوح فى قوله تعالى « واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح »

---

(١) سفر التكوين الاصحاح ٢٣٦

(السورة السابقة آية ٦٩) وقوله تعالى «وأنه أهلك عاداً فى الأولى» ومن هذه الآية الأخيرة لانستدل فقط على الزمن الذى عاش فيه قوم عاد، بل يتفق ذلك مع ما ذهبنا إليه فى الرأى من أن الساميين الأوائل ليسو إلا قوم عاد ، ومهما يكن من شيء فان من الأمور المتفق عليها أن الساميين لم يبدأ تقدمهم تقدما حقيقياً إلا فى سنة ٢٢٠٠ أو فى ٢٠٠٠ ق . م ، حين قاموا بغزو مصر وبابل ، ومن ثم يمكن أن يقال أن عاد إرم قد أخذت فى الظهور منذ سنة ٢٢٠٠ ق . م وفى سنة ١٥٠٠ ق . م ظهرت قوة جديدة أخرى إلى الوجود فى بلاد اليمن (وذلك بعد ظهور موسى (عليه السلام) الذى يرجع عهده إلى ما قبل سنة ١٥٠٠ ق . م) وفى ذلك العهد كانت عاد قد زالت من الوجود تماما ، ولذا يمكن أن نستنتج مما سلف أن عصر عاد يبدأ فى سنة ٢٢٠٠ ق . م ، وينتهى سنة ١٥٠٠ ق . م (وعلى وجه التقريب سنة ١٧٠٠ ق . م) ، وقد ذكر القرآن الكريم أن عاداً ، قد هلكت قبل مجىء موسى وفرعون فى قوله تعالى .

« وقال الذى آمن يا قوم إنى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب ، مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم»(هذا ما قاله أحد أتباع موسى لفرعون وقومه) .

---

(١) قوم هود هم قوم عاد لأن عاد بن هود بن إرم بن سام نوح (المترجم)

(٢) ابن قتيبة : المعارف ص ١٠ ط . مصر .

وقد عاش حتى بداية العهد المسيحى بعض المؤمنين من قوم عاد ، وقد أشار الأغريق إليهم بقولهم «أوديتاى Qditae (عاد) أو أدرميتاى Adramtac (عاد إرم) ، حين تعرضوا للحديث عن سكان حضرموت واليمن وقد سموا عاداً الذين عاشوا فى العهود السابقة عاداً الأولى ، وسموا عاداً الذين عاشو فى العهود اللاحقة عاداً الثانية وذلك للتفريق بينهم .

وطن عاد :

عاشت عاد فى خير بقاع بلاد العرب ، وهى اليمن وحضرموت ، وانتشروا بين سواحل الخليج الفارسى ، وحدود أرض الجزيرة ،[1] وفى اليمن عاصمة بلادهم التى كانت تمتد حتى العراق على ساحل الخليج الفارسى ، ومنها كانوا يرحلون إلى أى مكان يختارون فى طول البلاد وعرضها فى طمأنينه [2] .

ممالك عاد :

لما كانت بلاد العرب لا يوجد بها أنهار تخصب الأرض فتأتى

(١) طبقاً لما ذكره س . لا نج فى مؤلفه أصل البشر (ص ٣٣٠ ، ٣٩) كان الطريق من بلاد العرب إلى العراق ومنه إلى بقية الأقطار الأخرى هو الطريق المفضل عند قوم عاد .

أكلها كل حين فقد إعتاد أهلها الهجرة إلى الأقطار المجاورة طلباً للرزق ، ولما كانت الجزيرة العربية تحيط بها المياه من الجنوب والغرب وبعض الأجزاء الشرقيه أيضاً ، فقد إعتاد العرب التردد على الجهات الشمالية والشرقية ، كبابل وسوريا وبلاد الفرس .

الفصل الحادى عشر

العرب خارج الجزيرة العربية

(٤٠٠٠ — ١٩٠٠ ق . م)

يمكن أن ندرس العرب (أو عاد الأولى) خارج الجزيرة العربية وفق التقسيم التالى .

١ — عاد فى بابل .

٢ — عاد فى مصر .

٣ — عاد فى بلاد أخرى .

٤ — عاد كما وصفهم القرآن .

أولا : عاد فى بابل

إن حكم العرب لبابل فى زمن ما أمر يقره البابليون أنفسهم كما تؤيده الأبحاث الحديثة ، وهناك أدلة مختلفة تؤيد ذلك نعرضها فيما يلى :

أدلة العرب :

ورد فى كتاب المعارف لابن قتيبة[1] : « وكان من بينهم العرب »

---

(١) ص ١٠ : (ط . مصر) .

العمالقة Amàlekites الذين كانوا يتألفون من القبائل المختلفة والذين انتشروا فى بلاد متعددة ومن بينهم ملوك مصر وبابل » .

ويذكر ابن خلدون :

« إن عاداً والعمالقة حكموا العراق . ويقال إنه لما طردهم أبناء حام هاجروا من بابل إلى بلاد العرب[١] » .

ويقول ابن النديم :

« إنهم غادروا العراق إلى الحجاز (عند هجرتهم من بابل) خوفاً من ملوك الحاميين[٢] » .

أدلة الفرس :

يؤكد الفرس أن العرب كانوا حكام العراق وبابل الأقدمين وأنه بعد جامشد Gamshid (الذى كان معاصراً لسام بن نوح) احتل دهاق Dahhak العربى هذه البلاد ، ويؤكد العرب أنفسهم ذلك إذ يقول الطبرى المؤرخ العربى المشهور :

« يدعى أهل اليمن أن الملك دهاق بن علوان ينتمى إليهم . كما يقال أيضاً إن الدهاق هو النمرود الذى ولد فى عهده سيدنا إبراهيم ، وأنه هو الذى أمر بإحراقه » (أنظر تاريخ الطبرى ص ٢٠٢ — ٢٠٥) .

---

(١) العبر : (ج ٢ ص ١٨ ط . مصر) .

(٢) الفهرست : ص ٢٨ ط . أوربا) .

وقد وصف الفردوسى أكبر الثقاة المؤرخين الفارسيين مملكة الدهاق التى استمرت ألف سنة فى شاهنامته .

أدلة من التوراة (العهد القديم) :

عاش أسلاف الإسرائيليين فى بابل قبل عهد إبراهيم . ومنذ سنة ٢٥٠٠ ق.م كانت لهم صلات وثيقة بسكان بابل . ونجد فى العهد القديم .

« وأبناء كوش : سيبا Seba وحافيلا Havilah (سباط) وسبتا Sabath ورعماه Raamah وشيبا Sheba وددان Dedan . وأنجب كوش النمرود Nimrod الذى صار من جبابرة الأرض وكان صائداً جباراً حتى قيل « كالنمرود الجبار » وكانت بداية مملكته فى بابل وارش Erech (العراق) وأكاد Accad وكالنه Calneh فى أرض شنعار Shinar [١] .

ويرى المؤرخ الألمانى الشهير دنكر Duncher فى شرح الفقرة السابقة أن كلمة كوش Cush المستعملة فى سفر التكوين تشمل جميع الأمم التى عاشت فى الأراضى الجنوبية كالأثيوبين والنوبين . أما قبائل جنوب العرب فيقصد بهم سلالة كوش الذين أسسوا بابل والذين استقروا على سواحل الخليج الفارسى أيضاً » .[٢]

(١) سفر التكوين ، الإصحاح العاشر من ٧ — ١٠ .

(٢) The history of antiginty, vol. 1, p. 247.

أدلة البابليين :

كتب بروشس Brushes وهو مؤرخ كلدانى من بابل ظهر فى سنة ٤٠٠ ق.م وكتب تاريخ بابل القديمة . وقد ضاع مؤلفه إلا أن بعض المؤرخين من اليهود والإغريق كثيراً ما نقلوا عنه بعض الفقرات . ومن بين هذه الفقرات الكثيرة واحدة تعرضت لملوك بابل . وطبقاً لهذا النص كان عدد ملوك بابل العرب تسعاً ومدة حكمهم بلغت نحواً من ٢٢٥ عاماً . وفيما يلى جدول يوضح ملوك بابل الأقدمين ومدد حكمهم .

عدد الملوك	الأسرات	مدة الحكم
١٠	ملوك قبل الطوفان	٤٣٢,٠٠٠ سنة[1]
٨٦	ملوك بعد الطوفان	٣٤,٠٠٠ «
٨	مغتصبو الملك فى ميديا	٢٢٤ «
١١	ملوك مجهولون	٢٤٨ «
٤٩	ملوك كلدانيون	٤٥٨ «
٩	ملوك عرب	٢٢٥ «

(١) لعلها ٤٣٢ سنة .

الأدلة الحفرية : (الأثرية)

أن كل ما استطعنا أن نجمعه من أقوال كتابات العرب والبابليين، هو أنه فى زمن قديم سحيق جداً ، حكم العراق فريق من الساميين ولكن الآن وبفضل البحوث الأثرية ألقى قبس من الضوء على حضارة بابل الدارسة ، وأصبح كل حجر من الأحجار التى عثر عليها فى بابل وأشور يحمل دليلا ناصعاً على ما كانوا عليه من مجد زاهر .

ويمكن تقسيم النقوش والكتابات التى كشفت فى بابل من الناحية اللغوية إلى (ا) سامية (ب) غير سامية . وهى تساعدنا على تتبع جنسية سكان بابل القدماء ، وبعض هذه النقوش يحمل تواريخ الملوك ، وبعضها الآخر لا يحملها ، وفى الحالة الأخيرة يمكن الحدس بها عن طريق القياس أو الأدلة الظاهرية .

ويبدو أن النقوش غير السامية ترجع إلى عهد أقدم من النقوش السامية ، مما يدل على أن الأجناس غير السامية سبقت الأجناس السامية فى بابل ، واللغة التى كتبت بها النقوش غير السامية هى اللغة السومرية أو الأكادية ، وعلى ذلك يمكن أن نستنتج أن تلك النقوش تنتمى إلى السومريين أو الأكاديين الذين يغلب أنهم كانوا من أصل طورانى[١]. ولغة النقوش غير السامية تسمى الأكادية فى انجلترا ، والسومرية فى أوربا وأمريكا .

(١) ليس هناك خلاف بين المؤرخين فى أصل السومريين وكونهم من سلالات غير سامية أما الأكاديون فهناك خلاف كبير حول أصولهم إذ يذكر الدكتور جيمس =

وقد اقتبس الغزاة عن السومريين دياناتهم وثقافتهم و بالتالى أخذت الاصطلاحات السومرية تستعمل على نطاق واسع فى المعابد السامية[١]

وإذا فحصنا جميع النقوش البابلية لتلك الفترة من حيث تسلسلها الزمنى (ترتيبها التاريخى) ، وجدنا أنه فى بداية سنة ٤٠٠٠ ق ٠ م . أخذت الكلمات السامية تزحف على اللغة السومرية حتى صارت الأخيرة سامية تقريباً ، ومرة أخرى أخذت النقوش السومرية تعانى تغيراً تاماً ، وأخذت تقتبس سمات عيلاميه (لغة طورانية أخرى) . وفى سنة ٣٥٠٠ ق م . صارت لغة النقوش مرة أخرى سامية تماما[٢] وعلى ذلك فمن الواضح أن السومريين والأكاديين عاشوا فى بابل[٣]

= هنرى برستد أستاذ تاريخ الشرق ورئيس دائرة اللغات والعلوم الشرقية فى جامعة شيكاغو وعضو أكاديمية العلوم فى برلين فى مؤلفة عن العصور القديمة أن الأكديين من أصل سامى يقوله « ونحو سنة ٢٧٥٠ ب . م ظهر فى أكد رجل سامى الأصل يدعى سرجون فاز على السومريين ومزق شمل ملوكهم ودانت له المدن السومرية حتى مصب الرافدين ... ... وكان الأكديون يجهلون الكتابة المسمارية السومرية فتعلم بعضهم أن يكتب لغته السامية بالعلامات السومرية » ص ١٠٧ (المترجم)

(١) Enc, Britt. nol xxvl pp. 75- 74 .

(٢) يخيل الينا أن فى ذلك تناقض كبير مع ماسبق ذكره من أن الساميين لم يبدأ تدفقهم نحو مصر وبابل إلا بين سنتى ٢٢٠٠، ٢٠٠٠ ب . م ومعنى ذلك أن سهل شنعار الجنوبى كان لايزال تحت حكم السومريين الذين لم يكونوا يعرفوا شيئا عن السامية بعد بل يكتبون ويتكلمون بلغتهم الأسفينية والسومرية المعروفة والرأى الذى قال به جمهرة المؤرخين فى هذا الصدد أن الساميين لم يظهروا فى سهل شنعار الشمالى أو الجنوبى إلا فى القرن الثالث قبل الميلاد (المترجم)

(٣) يرى كثير من المؤرخين أن كلمة بابل يجب الا تطلق قبل سنة ٢١٠٠ ق.م وهى السنة التى تألقت فيها عظمة بابل على يد حمورابى الملك السامى الكبير أما قبل ذلك فيطلق على أرض الجزيرة سهل شنعار (المترجم)

فى أول الأمر ، ثم تبعتهم الشعوب السامية من البلاد العربية وأخذت تتدفق على هذه البلاد ، وبعد مدة نجحوا فى إقامة حكم لهم بها . وينقسم حكم الساميين فى بابل إلى فترتين . تبدأ الأولى حوالى سنة ٤٠٠٠ ق.م والثانية حوالى سنة ٢٤٠٠ ق . م . وقد كتب و . ى . روجرز W. R. Rogers فى مؤلفه تاريخ بابل وآشور History of Babylon and Assyria شيئاً عن هاتين الفترتين نوجزه فيما يلى[1] :

فى سنة ٤٠٠٠ ق . م . « حول بداية الألف الرابعة قبل الميلاد تقريباً . أغار على السومريين ، الذين كانوا قد قطعوا شوطا بعيداً فى الحضارة ، أفواج كبيرة من البرابرة (كما كانوا يبدون لهم) ، وكان هؤلاء من الساميين الذين يمتون بصلة الدم للعرب الذين قهروا أسبانيا فى وقت ما وإلى العبرانيين الذين تدفقوا عبر نهر الأردن إلى كنعان ، أما من أين جاء هؤلاء الغزاة . فذلك من الأمور التى لم يقطع فيها برأى ، ويظن البعض أنهم جاءوا من الشمال الشرقى خلال ممرات جبال كردستان . وأن بابل كانت القاعدة التى انتشروا منها فى غربى آسيا حيث بنوا لهم تاريخا مجيدا أرفع ذكرهم . وهذا الرأى الذى كانت تؤيده فى وقت ما بعض الدراسات المبتورة ، قد أهمل الآن تقريباً . وإن كانت بعض الأسماء اللامعة مازالت تناصره ، وهناك وجهة نظر أخرى تقول بأن الوطن الأصلى للساميين كان فى أفريقية ، بالجزء الشمالى الشرقى

(١) Enc. Britt.. vol, 1, p 452.

أو الشمالى الغربى منها[١] ، ومن العبث أن ننكر أن هناك سنداً لغويا قويا لهذا الرأى يمكن أن نجده فى التشابه المعروف بين اللغات السامية واللغات المصرية ؟ ولغة البربر والكوشيين (البشارية والجلا والصومالية) ، ولكن مع كل ما قيل من تأييد لهذا الرأى . فما زالت هناك اعتبارات قوية تؤيد رأياً ثالثا . هو أن الموطن الأصلى للساميين كان فى بلاد العرب التى خرجوا منها فى موجات متتابعة بحثا عن أرض أكثر خصباً ونماء فى بابل وبلاد الجزيرة ، بل وفى تلك البلاد البعيدة فى الغرب المسماة أرض كنعان وهذا الرأى الأخير يبدو أنه يلقى تأييداً حديثاً يقوم على حقائق جديدة . وهو بالنسبة لى خير حل لهذه المشكلة . ومع ذلك فمن المعترف به أن هذا الرأى لا يلقى قبولا إجماعياً من العلماء » .

وقبيل انتهاء العصر السومرى ظهرت سلالة سامية جـديدة سنة ٢٤٠٠ ق . م كما يقول نفس المؤلف[٢] .

كانت الحضارة السومرية قد شاخت . وكانت تحمل بين طياتها عوامل فنائها ، ومن ناحية أخرى . كانت الحضارة السامية تفيض بالحياة والقوة ، فقد جاء الساميون من صحراء بلاد العرب حيث الهواء

---

(١) سبق للسيد المؤلف أن ذكر هذه الروايات بنصها فى معرض حديثه عن الموطن الأصلى للساميين (المترجم)

(٢) vol 1, p. 383.

الحر الطلق ، وعروقهم تنبض بالحياة الزاخرة » .

والجدول التالى يبين ملوك الفترة السامية الثانية كما تؤكده النقوش

الإسم	قائمة الملوك	قائمة التواريخ
١ — سامو آبو Samu-Abu	١٥ سنة	١٤ سنة
٢ — سامولا إيلو Samula-ilu	٣٥ »	٣٦ »
٣ — زابوم Zabum	١٤ »	١٤ »
٤ — أبل سِنْ Apil Sin	١٨ »	١٨ »
٥ — سن موبالت Sin- muballit	٣٠ »	٢٠ »
٦ — حامورابى Hamurapi	٥٥ »	٤٣ »
٧ — سامسو إيلونا Samsu iluna	٣٥ »	٣٨ »
٨ — أبيشو Abeshu	٢٥ »	٨ »
٩ — أميدتيانا Ammiditana	٢٥ »	٣٧ »
١٠ — أميزادوجا Ammizaduga	٢١ »	١٠ »
١١ — سامسودتيانا Samsuditana	٣١ »	

(أنظر تاريخ روجر Roger ج ١٠ ص ٣٢٨) .

Vide Roger's History, vol 10 p. 328.

أشهر ملوك بابل العرب فى الفترة الثانية كان حمورابى[١] . ولم يستطع أسلاف حمورابى أن يظفروا بالشهرة نظراً لإزدياد قوة العيلاميين . وعلى ذلك لم نجد أسماءهم مقرونة بالألقاب الملكية ، وكان لحمورابى الفضل فى طرد العيلاميين من بابل وإعلان نفسه ملكا وإن النقوش التى أمكن العثور عليها عن ذلك البيت لحمورابى وحده ، ومن أحد هذه النقوش يظهر أن حمورابى ربما كان أول مشرع فى العالم ، وقد وجدت بعض قوانينه على برج فى بابل ، وهى تشبه قوانين التوراه[٢] .

ثانيا عاد فى مصر

إن الأدلة المختلفة التى تؤيد الرأى القائل أن عاداً حكمت فى مصر نعرضها فيما يلى :

(١) تشير التوراة إلى الحرب بين العراق وسوريا وتذكر ملك شنعار (بابل) وأسمه أمرافيل Amraphel (سفر التكوين الأصحاح الرابع عشر — ١) ولما كانت الحروف الف Alif وحا Ha وبا Ba وبا Pa وفا Fa تحل محل بعضها البعض فى اللغات السامية فمن المحتمل أن أمرافل كان أصلها Amurafi وهو الشكل العبرى لكلمه حمورابى Hamurabi وبما أن المقطع الأخير il معناه الله فقد كان كثيراً ما يضاف إلى الكلمات العبرية مثل إسرائيل Israel وصمويل Samuel فان أمرافيل فى التوراه وحمورابى العربى ينتميان لبلد واحد ووقت واحد وهذا فى ذاته دليل قوى على تشابهما أو أنها شىء واحد وعلى أية حال فإذا سلمنا بوجهة النظر هذه فإن حامورابى وأبرهيم يجب أن يكونا معاصرين أحدهما الأخر .

(٢) يعتبر الأثر التذكارى لشرائع حمورابى أقدم الشرائع الباقية فى التاريخ القديم فهو اسطوانة من الحجر طولها ثمانية أقدام تقريبا منقوشة عليها الشرائع فى =

أدلة العرب : كتب ابن قتيبة

« وكان من بينهم (العرب) العمالقة (الذين كانوا يتألفون من قبائل مختلفة ، والذين انتشروا فى بلاد مختلفة ، ومن بينهم كان ملوك مصر وبابل » [١]

وكتب اليعقوبى يقول :

« ولما اتخذ المصريون النساء ملكات عليهم طمع العمالقة ملوك سوريا فى غزو مصر ، ومن ثم عاث ملكهم الوليد بن دومة فيها فسادا وأجبر المصريين على الاعتراف به ملكا عليهم ، وقد حكم مصر مدة طويلة ، وخلفه بعد موته ملك آخر من العمالقة هو ريان بن الوليد الذى عاصر يوسف[٢]»

= ثلاثة آلاف وستمائة سطر وعلى رأسها صورة مجسمة للملك حورابى وهو واقف يتناول الشرائع من الإله الشمس (شاماس Shamans) وقد عثر على هذا الأثر التذكارى الثمين فى أنقاض مدينة سوسه عاصمة العيلاميين وهو محفوظ الآن فى متحف اللوفر بباريس نقله إليها بعض المخاطرين الفرنسيين الذين جابوا هذه الأماكن وهو يتكون من مائتى مادة تناولت النظام العام فى دولة بابل من الوجهة السياسية والإقتصادية والإجتماعية وبخاصة الأحوال الشخصية وحقوق المرأة ومركز العبيد ونظام الملكية والأجور وقد كتبت هذه الشرائع باللغة السامية ووضعت فى هيكل الإله الكبير مرووخ كبير آلهة البابليين ويظهر أن العلاميين قد أنتزعوه من مكانه بعد غزوهم للبلاد فى أيام ضعفها بعد وفاة حورابى (المترجم)

(١) المعارف ص ١٠ (ط. مصـــر)

(٢) تاريخ اليعقوبى جـ ١ ص ٢١١ ط . ليدن .

ونجد فى معجم ياقوت « يقال إن فراعنة مصر كانوا من العمالقة وكذلك كان فرعون ابراهيم وفرعون يوسف وفرعون موسى » ويقول ابن خلدون « وقد طلب بعض ملوك القبط فى مصر المعونة من أحد ملوك العمالقة فى مصرهم . فاستجاب لرغبته . ولكنه احتل مصر لنفسه »[١]

أدلة المصريين : حوالى سنة ٢٠٠٠ ق.م أغارت على مصر جماعات أجنبية . عرفها المصريون باسم الهكسوس أوملوك الرعاة ، والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن الآن هو من كان هؤلاء الملوك الرعاة ؟

ولقد وضع المؤرخ الاسكندرى الكبير مانيثون Manethon مؤلفاً عن تاريخ مصر باللغة اليونانية سنة ٢٦٠ ق . م وعلى الرغم من أن هذا الكتاب لم يعد له وجود الآن . إلا أن بعض فقراته . قد وردت فى كتابات بعض المؤرخين . ومن بينهم المؤرخ اليهودى يوسف josephus وإليك رأى مانيثون فى الهكسوس كما ورد فى كتابات يوسف « كان لنا ملك يسمى تيمايس Timaens وحدث أثناء فترة حكمه — ولا أدرى كيف تم ذلك — أن غضبت الآلهة علينا — (بصورة تدعو إلى العجب) ورمتنا — بقوم وضيعى النشأة أتوا من البلاد الشرقية . وكانت لديهم الجرأة الكافية ليغيروا على بلادنا ويستولوا عليها عنوة فى سهولة ويسر دون أن نخاطر بخوض معركة

---

(١) تاريخ ابن خلدون (ج ٢٠)

واحدة معهم . ولما تم لهم اخضاع ملوكنا تحت سيطرتهم أخـــذوا يحرقون مدننا ويدمرون المعابد وبيوت الآلهة . ثم قسوا على السكان وعاملوهم معاملة وحشية . لا بل وذبحوا بعضهم . وسبوا أطفالهم ونساءهم وأخيراً أقاموا ملكا منهم يدعى سلاتس Salatis اتخذ من منف أيضاً مقراً لحكمه . وفرض الجزية على الوجهين القبلي والبحرى كما وضع الحاميات فى الأماكن التى توائم أغراضهم . وكان يرمى بصفة خاصة إلى تأمين الأجزاء الشرقية لأنه فطن إلى أن الآشوريين الذين كانت لهم الغلبة وقت ذاك ، ربما طمعوا فى هذه المملكة وحاولوا غزوها . وبعد أن حكم هذا الملك البلاد ثلاثة عشر عاماً . خلفه ملك آخر اسمه بيون Beon ظل فى الحكم أربعة وأربعين سنة . ثم جاء من بعده ثالث يدعى أباتشناس Apachnas الذى استمر حكمه مدة ست وثلاثين سنة وسبعة شهور . ثم أعقبه أبوفيس Apophis ومدة حكمه واحد وستون عاما . وخلفه فى الحكم جانياس . Ganias فحكم خمسين سنة وشهرا واحدا . ثم جاء من بعد هؤلاء آسيس Assis واستغرق حكمه تسعاً وأربعين سنة وشهرين . وقد عرفت هذه الأمة كلها باسم الهكسوس . ومعناها ملوك الرعاة . لأن المقطع الأول هك Hyc يعنى ملك طبقاً (للهجة) المقدسة . كما أن المقطع سوس Sos يعنى الراعى . وإن كان البعض يرى أن هؤلاء الأقوام يمتون إلى أصل عربى »[1]

---

(١) Josephus, vol. IV, p. 339.

أدلة من التوراة :

أول إشارة لإبراهيم فى التوراة تشير إلى هجرته مع أسرته من العراق إلى مصر . وقد أشار إبراهيم إلى زوجته سارة . (وكانت فى نفس الوقت ابنة عم له) أمام فرعون . على أنها أخته . فأراد الأخير أن يتزوج منها . ولما علم فرعون بالحقيقة . وهبه ابنته هاجر لتكون له زوجة[١]

وبعد قرن ونصف قرن . جاء يوسف إلى مصر . وعلى الرغم من أن يوسف كان يهودياً (عبرانياً) . وكان المصريون يكرهون اليهود

= ملاحظة :

هناك نقطة ينبغى ملاحظتها فى هذا المقام وهى أن العرب اطلقوا على الفاتح الهكسوسى الذى غزا مصر اسم شداد على حين أن أطلق عليه مانيثون ، السالف الذكر (كما هو واضح فى النص المذكور) اسم سلاتس ، وكلتا الكلمتين تحمل فى الحقيقة معنى واحد ، فكلمة شداد معناها القوى الشديد وكذلك تعنى سلاط Sallat فى اللغة السامية والتى منها اشتقت الكلمة العربية « سلطان » « سلطنة »

أما المقطع هك Hyc فربما كانت الأصل العتيق للكلمة العربية شيخ (ومعناها رئيس القبيلة) أما كلمة سوس Sos ، فهى لاشك عربية ومعناها الادارة والسياسه والتى اشتقت منها الكلمة العربية « سياسة » التى تعنى الادارة . ويلاحظ كذلك أن اسم آخر ملوك الهكسوس ، أسيس Assis قريب الشبه من « عزيز » الكلمة العربية ، وهو لقب كان لايزال يستعمل فى مصر للقادة والرؤساء ، كما استعملت « عزيز » فى القرآن الكريم أيضاً فى سياق سورة يوسف .

(١) لم تذكر التوراة أن هاجر كانت ابنة فرعون ، ولكن الروايات اليهودية وصفتها بذلك .

ولا يخالطونهم[١]،فإن فرعون مصر . أكرم وفادته وأحسن استقباله ـ واتخذه وزيراً له[٢] . كذلك احتفى فرعون بأبيه وأسرته عند زيارتهم لمصر . كما احتفى بهم أيضاً رجال الدولة احتفاء كبيراً[٣] . وعند ما مات يعقوب بكاه فرعون ، وحزن عليه حزناً شديداً[٤] . ومما هو جدير بالذكر أن يوسف نصح أفراد أسرته أن يذكروا لفرعون أنهم وآباءهم من الرعاة إذا عنّ له أن يسألهم عن أنفسهم[٥].

مما سبق ذكره يتضح أن ملوك الرعاة . لهم وجود تاريخي وأنه فى أثناء حكمهم استوطن يوسف والاسرائيليون (بنو اسرائيل) مصر ويؤيد المؤرخون العرب هذا الرأى . وإن وصف يوسف لنفسه ولأسرته بأنهم من الرعاة مع علمه بكراهية المصريين الشديدة للرعاة . يدل على أنه كانت هناك علاقة ما بين ملوك مصر . فى ذلك العهد وبين العبرانيين .

وبعد قرون عدة تعرض بنو اسرائيل فى مصر لاضطهادات

---

(١) سفر التكوين : الاصحاح الثالث والتسعين (٣٢) والسادس والتسعين (٣٤)

(٢) سفر التكوين » ٩٠ — ٩١ — ٩٢

(٣) سفر التكوين » ٩٥ (١٦)

(٤) سفر التكوين » ١٠٠ (١١٢٣)

(٥) سفر التكوين » ٩٦ (٣٤)

عديدة . ولقوا صعاباً ، ولما نجح المصريون الحاميون ، فى طرد الحكام السامبين من بلادهم . سحقوا قوة بنى اسرائيل (الذين كانوا فرعاً من السامبين) وكانت قوتهم قد تضاعفت أثناء حكم الساميين لمصر .

« وكان أبناء اسرائيل ولودين وقد أخذوا يتكاثرون وتتضاعف أعدادهم . وقويت شوكتهم . وامتلأت بهم الأرض . وفى ذلك الوقت ارتقى عرش مصر ملك جديد لم يكن يعرف يوسف . وقال هذا الملك لقومه : انظروا هاهى قوتهم تزداد ، إن بنى إسرائيل أكثر عدداً وأشد قوة . تعالوا نعاملهم بحكمة وحزم . حتى لا تزداد أعدادهم وينضموا إلى أعدائنا عند ما تنشب أية حرب . ويقاتلونا إلى جانبهم . هلموا نطهر بلادنا منهم . وهكذا أخذ المصريون يضطهدونهم ويسلطون عليهم رؤساء العمال . يثقلون كاهلهم بالأعباء . رغبة فى إيلامهم ومضايقتهم » . (انظر سفر الخروج Exoeus الاصحاح السابع — ١١) .

وهكذا يتضح أن مشكلة بنى اسرائيل فى مصر . كانت سياسية تماماً . وليس أدل على ذلك مما ورد فى القرآن الكريم فى سورة [طه] على لسان فرعون إلى قومه . مشيراً إلى موسى وهارون « إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما » .

ويذكر اليعقوبى فى هذا الصدد « ثم برزت من بعد ذلك قوة ملك آخر من ملوك العمالقة . اسمه ريان بن الوليد . وفى عهده وفد

سيدنا يوسف على مصر . ثم أعقبه ملك آخر . يدعى الوليد بن موسى وهو فرعون موسى »[١]

ومن الخطأ أن نظن أن فرعون موسى كان من العمالقة . لأن هؤلاء . لم يلبثوا أن أُخرجوا من مصر قبل موسى .

وقد وقع مانيتون فى الخطأ حين خلط بين العرب واسرائيل ويرجع ذلك إلى أنه (مانيتون) كان أجنبياً عنهم . ولذلك لم يستطع أن يميز أوجه التشابه والتضاد بين الفروع المختلفة فى أمة لجنس واحد . كما يحدث الآن حين يُنظر إلى جميع الأوروبيين فى الهند على أنهم من الانجليز . وإلى المسلمين فى أوربا على أنهم أتراك . كما ينظر إلى كلمتى « عرب » و « مسلم » على أنهما مترادفتين فى اسبانيا .

يقول مانيثون « تمرد ملوك طيبه ، وغيرها من جهات مصر وقاموا بثورة ضد هؤلاء الرعاة ، ونشب صراع عنيف طويل بين الطرفين ، وفى أثناء حكم أحد ملوك مصر المدعو اليسفرا جموث Alisphra gmuthosia هزم الرعاة ، وطردوا من جهات أخرى من مصر ، إلى أن حوصروا أخيرا فى بقعة لاتزيد مساحتها على عشرة آلاف فدان وقد بنى الرعاة (الهكسوس) سورا منيعا ضخما حول هذا المكان ولكن ثموسيس Thummosis بن اليسفراجموث . Alisphragmuthosis قام بمحاولة للاستيلاء عليه قوة واغتصابا

(١) تاريخ اليعقوبى ص ٢١١ (ط . ليدن)

وحاصرهم باربعمائة وثمانين ألفاً من الرجال ، غير أنه بعد أن يئس من انتزاع المكان منهم بمحاصرته ، وصل إلى إلى اتفاق معهم على أن يغادروا مصر دون أن ينالهم أذى إلى أى مكان يريدون وبعد أن تم هذا الاتفاق رحلوا عن مصر باسرهم وأولادهم ، بعدد لا يقل عن مائتين وأربعين الفا وبدأوا رحيلهم عن مصر إلى سوريا خلال فيافى وقفار شاسعة غير أنهم لما كانوا يخشون بأس الأشوريين الذين كانت لهم السيطرة وقتذاك على أسيا ، فقد شيدوا مدينة فى البلاد المعروفة باسم جوديا Judia ، وكانت على درجة من الاتساع بحيث تسمح باستيعاب هذه الاعداد الغفيرة من الناس ، وأطلقوا على هذه المدينة ، ارشليم Jerusalem [1] .

وقد ارتكب مانيثون ، فى الفقرة السالفة عدة أخطاء .

أولا :

لم يكن طرد الساميين وإخراج الاسرائيليين حادثاً واحدا لشعب واحد كما يدعى مانيثون . وإنما كانا حادثين لشعبين مختلفين .

ثانيا :

كان خوف بنى اسرائيل من العمالقة لا من الاشوريين .

---

(١) Josephus, vol. 11. p. 398.

ثالثا :

كان رحيل الاسرائيليين لسوريا عن طريق البحر ولم يكن عن طريق الصحراء .

ويؤخذ من التوراة أيضا ، أن العرب كانوا أكثر الشعوب السامية المختلفة اتصالا بالمصريين ، فقد كانت هاجر ، أم العرب الاسماعيلين مصرية (١) . كما إن زوجة سيدنا اسماعيل كانت أيضاً مصرية (٢) .

وكثيراً ما كانت قوافل العرب تزور مصر (٣) . كما كان اولئك الذين أخذوا يوسف إلى مصر من العرب أيضاً (٤) ، وفى زمن يوسف ، اجتاحت مصر والبلاد المجاورة ، مجاعة مهلكة . وقد أرسلت ملكة اليمن (موطن عاد والعمالقة) فى طلب القمح من مصر . وقد تأكد هذا من النقوش التى اكتشفها الباحثون المسلمون فى اليمن فى القرن الأول للهجرة (٥) . وهذه النقوش لا تؤكد ما ذكرته التوراه ، عن انتشار المجاعة وحسب ولكنها القت الضوء أيضا على العلاقات الودية التى

---

(١) سفر التكوين ، الاصحاح السادس عشر (٣)
(٢) سفر التكوين ، اصحاح ٢١ (٢١)
(٣) سفر التكوين الاصحاح ٤٧ (٢٦)
(٤) سفر التكوين ، الاصحاح ٣٧ (٢٩)
(٥) انظر نص هذه النقوش فى المقدمة .

كانت قائمة بين عرب اليمن الذين كانوا يحكمون مصر تحت اسم الهكسوس .

السكشوف الحديثة :

إن ما كتبه مانيثون . قد أكده علماء الآثار المصريون ، فهم يتفقون معه فى أن الهكسوس كانوا حكاماً ساميين والبعض يذهب إلى أكثر من هذا حين يؤكد أن المصريين أنفسهم من سلالة سامية[١] :

وأول دليل يمكن الركون إليه على أن الهكسوس كانوا عرباً ما قرره المؤرخ الألمانى هيرون Heron بقوله :

« يبدو أن قبائل متعددة قامت بهجمات على مصر من جهات مختلفة . ولكن أولئك الذين جاءوا من الشرق وهم العرب كانوا أقوى تلك الجماعات . وقد تقدموا حتى بلغوا مصر السفلى . والذى يؤكد سماتهم العربية . الجماجم الطويلة ، وعباءاتهم الفضفاضة ، وغير ذلك من الظواهر الأخرى[٢] » .

أما العالم الألمانى بروجش هنريخ Brugsch Hinrich الذى وضع

---

١ — Rawlinsicn : Ancient history of Egypt, vol. 1. p. 961 Diits : vol. 11. p. 113. — 118.

(٢) نفس المرجع .

كتاباً فى تاريخ مصر القديم على أساس دراسة النقوش ، فيرى بصفة قاطعة أن الهكسوس كانوا من الساميين وأن كلمة هك Hyk فى اللغات المصرية القديمة كانت تعنى ملك . وكلمة سوس Sos معناها راع أو ساكن الصحراء[١] . كذلك استشهد المؤلف برأى المؤرخين العرب فى أن شداد بن عاد غزا مصر[٢] . أما دليل المجموعة المصرية بالمتحف البريطانى الذى وضع فى سنة ١٩٠٩ فيتفق أيضاً مع الرأى الذى يقول بأن كلمة هكسوس مركبة من كلمتين مصريتين هما هكس Hyks وشاشو Shasho ومعناهما شيخ أو رئيس القبيلة فى الصحراء .

ويعتبر رفاعه بك المصرى أول عالم مسلم فى العصر الحديث استطاع أن يحقق أن العمالقة والساميين والهكسوس كانوا قوماً واحداً . وقد نشر كتابه عن تاريخ مصر سنة ١٧٢٥ م بعنوان «أنوار توفيق الجليل» حيث نجد فيه الفقرة التالية .

« وكانت مملكتهم تسمى مملكة الهكسوس . أما ملوكهم فقد

ملاحظة :

يرى الاستاذ وولينسن أن ضعف مصر بسبب انقسامها خمس ممالك اغري الأجانب بغزوها من الشمال الشرقى ، وقد نجح الغزاة الذين عرفوا باسم الهكسوس أو ملوك الرعاة والذين كانوا بدوا من سوريا ، أو بلاد العرب ، فى الاستيلاء على الجزء الأدنى من (مصر السفلى) .

vol. 1. p. 66, 111.

(١) vol. 1, pp. 273—74.

(٢) Vol. 1, p. 366

عرفوا فى التاريخ باسم ملوك الرعاة . ولكن مؤرخى المسلمين كانوا يعرفونهم باسم العمالقة[١] » .

وقد كتب صموئيل لانج Samuel Laing فى هذا الصدد :

« من الأمور التى يحوم حولها قدر كبير من الشك . معرفة أصل هؤلاء الغزاه الذين عرفوا بالهكسوس أو ملوك الرعاة . وقد كانوا يتألفون — على الأرجح — من قبائل بدوية من الكنعانيين والعرب وعناصر سامية أخرى . ولكن يبـــدو أن الحيثيين الطورانيين Turanian Hittites كانوا على صلة بهم وأن قادتهم كانوا من الطورانيين إذا حكمنا بما نشاهده من صور تماثيل ملكين من ملوك آخر أسرة من الهكسوس كشفها حديثاً نافيل Naville فى بوبسطة Bubastis والتى تدل دلالة قاطعة على أنها طورانية الملمحات لا بل صينية »[٢] .

ويمكن تلخيص الأدلة على أن الهكسوس كانوا عرباً فيما يأتى :

١ — ادعاء العرب أنهم حكموا مصر فى الأزمنة القديمة .

٢ — اعتراف المصريين أن العرب دخلوا مصر كغزاة .

٣ — التوافق فى الشكل والمعنى بين اسم أول ملوك الهكسوس وأول غزاة مصر كما ذكره العرب .

---

(١) Vol. 1. p. 58

(٢) Human Origin 1 p. 29-30 .

٤ — الأصل العربى أو السامى لكلمة هكسوس .

٥ — المظهر العربى فى الشكل والملبس لملوك الهكسوس كما يبدو من تماثيلهم .

٦ — العلاقات القديمة بين العرب والمصريين .

٧ — التشابه فى الأخلاق والعادات بين الهكسوس والعرب .

٨ — نصوص وإشارات التوراة .

٩ — أبحاث علماء الآثار .

١٠ — أقوال يوسف Josephus المؤرخ اليهودى وغيره وموافقة كثير من المؤرخين الأوروبيين على وجهة نظره بصفة عامة .

وبالإضافة إلى ما سبق يمكن أن نذكر العبارة الآتية لرمسيس الثالث أحد ملوك مصر الأقدمين كما وجدت فى أحد النقوش .

« لقد هزمت شعب ساير Sâ'ir الذين ينتمون إلى قبائل شاشين Shashen » .

وساير مكان جبلى فى شمال بلاد العرب حيث تمكن الإدمويون Edomites من تأسيس مملكة لهم وكثيراً ما ذكر جبل ساير فى التوراة .

ثالثاً : عاد فى بلاد أخرى

توغل العرب الساميون حتى وصلوا إلى أشور Assyria وبلاد الفرس وفينيقية وقرطاجنة وكريت واليونان وفى سنة ١٢٠٠ ق ٠ م تأسست مملكة آشور على أنقاض دولة بابل ، ولم تكن بلاد الفرس حينئذ دولة منفصلة بل كانت جزءاً من آشور وبابل وقد عاش الفينيقيون الذين عرفوا أيضاً باسم الأراميين كما وصفتهم التوراة على سواحل سوريا المطلة على البحر الأبيض المتوسط . وقد كانوا أول الشعوب التجارية فى العالم الذين تنقلوا بين آسيا وأوربا مبددين ظلام الهمجية والجهل اللذين كانت تتردى فيهما أوربا .

وقد استطاع هؤلاء القوم من ناحية أن يغرسوا بذور المدنية فى بلاد إفريقية (أى قرطاجنة) ومن ناحية أخرى أضاءوا بلاد أوربا (اليونان) بنور علمهم ومعرفتهم .

وسنذكر فيما يلى — على ما به من إيجاز — أعمال العرب الساميين العظيمة فى مختلف الأقطار .

أشور :

سبق أن ذكرنا أن الأشوريين وهم من الساميين تقدموا نحو بابل من سواحل الخليج الفارسى فى بلاد العرب متتبعين نفس الطريق الذى

سار فيه اسلافهم من عاد (وهى أول حلقة فى السلسلة السامية)
والواقع أن الآشوريين من السلالات العربية نسباً وقد أيدت الحفائر
الحديثة فى أشور هذا الرأى .

بلاد الفرس :

ذكرت الروايات الفارسية القديمة أنه بعد جامشد Jamshed
حكم بلاد الفرس ، ملك عربى يدعى الدهاق Dah hak مدة الف
سنة (المقصود بذلك اسرته) (١)

وقد ذكر بعض مؤرخينا أن الدهاق اسم ملك من ملوك اليمن (٢)
غير أنه لم يثبت تاريخيا ، ولم تؤيد الحفائر . ماقيل من أن اليمنيين قد غزوا
بلاد الفرس مباشرة ، والحقيقة أن العرب الذين كانوا قد هاجروا
من اليمن إلى سواحل البحر العربى ثم نجحوا بعد ذلك فى اقامة مملكة
فى أشور ، غزوا بلاد الفرس واستمروا يحكمونها مدة طويلة . ويعتبر
الآن من الحقائق المقررة ، خضوع بلاد الفرس لحكم الاشوريين
والبابليين حتى قيام الميديين : Medes سنة ٦٠٠ ق . م ، وعلى الرغم
من أن فترة حكم الآشوريين تبدأ سنة ١٨٠٠ ق . م فان نهضتها الحقيقية
تبدأ سنة ١٢٠٠ ق . م وتنتهى سنة ٦٠٠ ق . م .

---

(١) الفردوسى : شاهنامة .

(٢) تاريخ الطبرى ج١ ص٩٨ ط . مصر .

فينيقية :

ان الفينيقيين الذين استقروا على سواحل البحر الأبيض المتوسط ، والذين اتخذوا من صور Tà' ir مركزاً رئيسياً لهم كانوا سادة التجارة بين أسيا وأوربا ، ويسمون فى العبرية بالآراميين ، وكان موطنهم الأصلى كما يذكر العرب فى الجزيرة العربية ويقرر الآراميون أنفسهم أنهم وصلوا إلى بلاد العرب من البحرين (على ساحل بلاد العرب الشرقى) ، وكانت تعرف قديماً باسم صور Tà' ir وقد اثبتت الحفائر أن الفينيقيين كانوا ساميين فى لغتهم ودياناتهم وعاداتهم ، وعليه فان كل أعمال الفينيقيين الرائعة يمكن أن تنسب إلى العرب[١] .

قرطاجنية :

استقر الفينيقيون أو العرب الآراميون فى قرطاجنة ومكانها حيث تقوم مدينة تونس الحالية ، وقد أسس العرب هناك مملكة بلغ من قوتها أن ارهبت الامبراطورية الرومانية نفسها . وفى هذه المملكة نشأ هانيبال Hainbal الذى خاض المعارك ضد الرومانيين وهزمهم أول الأمر ، وإن كانت فى النهاية ، قد دكها الرومان العتاة دكا وسووها بالأرض .

---

(١) S. Laing , p. 7.

اليونان وكريت :

تعتبر بلاد اليونان أول بلاد أوربا حضارة وهذه الحضارة اليونانية مقتبسة فى مجموعها عن الحضارة الفينيقية وهذا يفسر لنا حقيقة التشابه الموجود بين أسماء كثير من السلع التجارية فى اللغتين العربية واليونانية وقد كان للعرب مستعمرات فى بلاد اليونان وكريت كذلك ، ويقول الجغرافى الأغريقى بلنى Pliny « يقرر المينويون Mináe أنفسهم أن أصلهم مشتق من مينوس (١) Minos ، ملك كريت (٢) » ويتحدث سترابو Strabo المؤرخ اليونانى عن تأسيس كادموس Cadmus لمستعمرة عربية فى أيوبيا Euboea وهى جزيرة قريبة من سواحل بيوتيا Boeotia فى بلاد اليونان .

---

(١) مينوس هو الإسم الذى اشتهر به ملوك كريت الأقدمون . والمرجح أن هذا اللفظ ليس اسما لملك معين ولكنه لقب ملوك كريت . مثل فرعون عند المصريين (المترجم) .

(٢) Joster's Geography , P. 71, 75.

رابعاً — عاد كما وصفها القرآن

مما سبق يتضح أن عاداً كانت أمة عظيمة ، وأنها أسست أقدم مدنية عرفها العالم ، وكانت آسيا وافريقية ميدانا لنشاطهم وكانت القصور الشاهقة ، والصروح العظيمة ، أكبر مظهر لتقدمهم الفنى ومن الطبيعى أن يكون ارتفاع شأن عاد ثم أفول نجمها قد نبه العرب وفتح عيونهم ، وقد أشار القرآن الكريم إلى عاد فى مواطن عدة ، وفيما يلى بعض هذه الاشارات :

١ — « الم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ، ذات العماد ، التى لم يخلق مثلها فى البلاد » (السورة التاسعة والثلاثين بعد المائة آية ٦ — ٨) » وفى هذه الآيات يؤيد القرآن الرأى القائل بأن عاداً كانوا من سلالة إرم بن سام بن نوح .

٢ — « واذكروا (مخاطبا عاد) إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح » (السورة السابعة آية ٦٩) .

من الحقائق المعلومة ، أنه بعد نوح أسس سلالة ابنه سام (الساميون) مملكتهم فى بلاد العرب وما جاورها ، وعلى ذلك فمن الواضح أن عاداً والساميين كانو شعبا واحداً .

١ — « وقالوا من أشد منا قوة » (السورة ٩١ آية ١٥) هذا ما قالته عاد التى كانت تفخر بقوتها وعظمتها .

٢ — « ويستخلف ربى قوما غيركم »[١] (سورة ١١ آية ٥٧)
تلك كانت اجابة نبيهم هود (هبر Heber)
وهكذا يبين القرآن الكريم عظمة عاد
٣ — « أتبنون بكل ريع آيه تعبثون ، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون . » (سورة ٢٦ ، آية ١٢٨ — ١٢٩) .
٤ — « وعاداً وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم ».
٥ — « فأصبحوا (عاد) لا يرى إلا مساكنهم » .

وهكذا يحمل القرآن الدليل على براعه عاد فى فنون العمارة تلك البراعة التى لم يسبق لها مثيل ، وتعتبر اليمن عادة موطن عاد ، ولكن من المتعذر الجزم بمكانهم على وجه التأكيد وإن كان القرآن يعين مكانهم بالاحقاف[٢] (السهول الرملية) بقوله .

---

(١) بقية هذه الآية « فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربى قوماً غيركم » . (المترجم) .

(٢) الأحقاف هى صحراء بلاد العرب المعروفة التي تشمل جنوبها وشمالها وعلى ذلك فليس ثمة داع لأن نقصر بعثة هود على جنوب بلاد العرب فقط . وإن هلاك عاد وتدميرهم كان راجعاً إلى تدهورهم الخلقى والاجتماعى . كما كان ذلك الشأن مع البابليين والأشوريين والفينيقيين والقرطاجنيين والإغريق والرومان والفرس . وتلك سنة الطبيعة التي لا تتغير كما يقول القرآن « سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » وسنة الله تعالى أنه إذا حاد قوم عن طريق الحق والفضيلة أن يبعث إليهم رسولا مصلحاً ليقودهم إلى الطريق القويم وينذرهم عواقب طغيانهم كما يقول القرآن « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » فاذا لم يطيعوا أمر ربهم هلكوا .

٦ — « واذكر أخا عاد (هود) إذ أنذر قومه بالأحقاف »
(سورة ٩٦ آية ٢١)

بعثة هود :

أرسل الله هوداً إلى عاد لهدايتهم كما يقول القرآن .

٧ — « وإلى عاد أخاهم هوداً ، قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ، أفلا تتقون . قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك فى سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين . قال يا قوم ليس بى سفاهة ، ولكنى رسول من رب العالمين . أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين .

« أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ، وزادكم فى الخلق بسطة ، فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون .

« قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين .

« قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب ، أتجادلوننى فى أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان فانتظروا إنى معكم من المنتظرين » (سورة ٧ آيات ٦٥ — ٧١) .

٨ — « فأما عاد فاستكبروا فى الأرض بغير الحق ، وقالوا من

أشد منا قوة ، أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة ، وكانوا بآياتنا يجحدون » (سورة ٩١ آية ١٥) .

٩ — « واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف ، وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه . ألا تعبدوا إلا الله أنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ، قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين . قال إنما العلم عند الله ، وأبلغكم ما أرسلت به ولكنى أراكم قوما تجهلون » (سورة ٩٦ ، آية ٢١ — ٢٣) .

١٠ — وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ، إن أنتم إلا مفترون ، يا قوم لا أسألكم عليه أجراً إن أجرى إلا على الله الذى فطرنى أفلا تعقلون ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين ، قالوا يا هود ماجئتنا ببينة ، ومانحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ، إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ، قال إنى أشهد الله واشهدوا أنى برئ مما تشركون من دونه فكيدونى جميعاً ثم لا تنظرون ، إنى توكلت على الله ربى وربكم ، مامن دابة إلا هو آخذ بنا صيتها إن ربى على صراط مستقيم ، فان تولوا فقد أبلغتكم ماأرسلت به إليكم، ويستخلف ربى قوما غيركم ولا تضرونه شيئاً إن ربى على كل شئ حفيظ » (سورة ٩ آيات ٥٠ — ٥٧)

« كذبت عاد المرسلين ، إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون ،

إنى لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين أتبنون بكل ريع آية تعبثون ، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم ، بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون ، أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون ، إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين إن هذا إلا خلق الأولين ، وما نحن بمعذبين ، فكذبوه فأهلكناهم إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم » (سورة ٢٦ آية ١٢٣ — ١٤٠) .

إن الأسباب التى أدت إلى سقوط عاد وهلاكها كما ذكرتها الآيات السابقة ، ترجع إلى ثلاثة عوامل :

١ — إعجابهم بقوتهم : كانت عاد تزهو بقوتها ، وتقول « من أشد منا قوة » (سورة ٩١ آية ١٥) وقد نصحهم نبيهم هود ، أن يعبدوا الله ، ممنياً إياهم بزيادة القوة « ويزدكم قوة إلى قوتكم » (إذا أطعتموه) ولكن عاداً أصمت آذانها عن نداء نبيها ، وفى ذلك يقول تعالى فى القرآن الكريم « أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة » « سورة ٩١ آية ١٥) ويقول « واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون ، أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون » (سورة ٢٦ آيات ٣٣ — ٣٤) .

٢ — الظلم (العسف) (الجور) .

كانت عاد بوجه عام : تظلم وتجور على الأمم التى تخضع لسيطرتها كما كانت تمعن فى اضطهادها ، كما تدل على ذلك الآيات السالفة التى وردت فى القرآن الكريم ، ويصف المؤرخ اليهودى يوسف Josephus (هذا قول مانثون اقتبسه يوسف اليهودى) سيطرة عاد وطغيانها بقوله :

« غضب الله علينا فرمانا — بطريقة تدعو إلى العجب — بقوم وضيعى النشأة ، أتوا من البلاد الشرقية ، وكانت لديهم الجرأة الكافية ليغيروا على بلادنا ، ويستولوا عليها بسهولة : دون أن تخاطر بخوض معركة واحدة معهم ، ولما تم لهم اخضاع ملوكنا تحت سيطرتهم أخذوا يحرقون مدننا ويدمرون معابدنا » .

٣ — كفرهم بالله : يقول تعالى فى محكم آياته « وإلى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون » ثم يقول على لسان هود « فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ، ويستخلف ربى قوما غيركم ولا تضرونه شيئا » (سورة ١١ آية ٥٧) « إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم » (سورة ٢٦ آية ٣٥) ،

وأخيراً حل غضب السماء بعاد حيث يقول القرآن « فأرسلنا عليهم ريحا صرصراً فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى » . (سورة ٩١ آية ١٦)

« فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم ، قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم ، تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم (سورة ٩٦ آية ٢٤ ، ٢٥) .

« وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما . فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية » . سورة ١١٩ آيات ٦ — ٨ .

وتعرف الأحقاف أيضاً بالربع الخالى . وهى صحراء شاسعة تمتد مسافة مئات الأميال ويكاد يكون من المستحيل اجتيازها وقد وصف بلجريف Balgrave المعالم البارزة لهذه الصحراء فى كتابه « رحلات فى بلاد العرب » Travels into Arabia .

ملاحظات (ا) وصفت التوراة النبى هودا (Heber) بأنه أبو العبرانيين جميعاً . ولكننا لا نجد دليلا يؤيد هذا الرأى وإن كان المؤرخون المسيحيون يعضدون هذا الاتجاه وقد كشف أحد النقوش الخاصة بعاد الثانية بالقرب من عدن يتضمن اسم النبى هود . ومن المسلم به ، بوجه عام أن قبر هود موجود بسفح أحد جبال حضرموت ولا يزال مزاراً للناس إلى وقتنا هذا .

(ب) يعتقد كثير من الناس أن قوم عاد كانوا طوال القامة بشكل غير مألوف ، وربما يرجع ذلك إلى أنهم يخطئون فهم عبارة « ذات

العماد » التى وردت فى القرآن ، ولا تعنى هذه الآية الكريمة أكثر من أن قوم عاد كانوا بنائين (مهرة فى البناء) ، ويقول القرآن فى موضع آخر « وزادكم فى الخلق بسطة » وتعنى كلمة بسطة هنا القوة والسلطان وقد استعملت نفس الكلمة فى القرآن فى قصة طالوت حيث تقول الآية « إن الله اصطفاه عليكم وزادة بسطة فى العلم والجسم » ولا يمكن للعقل أن يفهم هذه الآية على أن طالوت كان فارع الطول إنما كان قوى الجسم متين البناء (تام التكوين) .

(حـ) ومن المفروض أيضاً أنه بعد أن نزل بعاد وعيد الله لم يبق منهم على ظهرها أحداً ، وهى فكرة خاطئة ترتبت على خطأ فى فهم الآيات القرآنية « فأصبحوا لايرى إلا مساكنهم » وقوله تعالى « فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية » (سورة ١١٩ آية ٧—٨) .

غير أنه من الواضح حتى لذوى الأدراك المحدود أن الآيات السابقة إنما تشير إلى الفترة التى بعث فيها نبى الإسلام ، وذكر الله له فيها أمر عاد . أما عن بقاء بعض من قوم عاد فإن القرآن يذكر « فانجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآيتنا وما كانوا مؤمنين » (السورة السابعة آية ٧٢) .

« ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ » « وأنه أهلك عاداً الأولى » (سورة ١٠٣ آيه ٥٠) .

ومن الآيات السابقة يتضح أن من أهلكوا من قوم عاد هم أولئك الذين كانوا يعرفون بعاد الأولى . أما الذين كتب الله لهم النجاة فهم :

عاد الثانية ، وقد وضع ابن هشام الكلبي كتاباً عن عاد الأولى وعاد الثانية . ولكن الكتاب ليس له وجود الآن « أنظر فهرست ابن النديم » .

الكتاب الثالث

شعوب القرآن

الفصل الثانى عشر

تمهيـــــد

نعرض الآن لذكر تلك القبائل العربية التى لزمت وطنها الأصلى ولم تغادره ومن هؤلاء ثمود التى بدأ عهدها بعد هلاك عاد الأولى وهى أشهر هذه القبائل ، ومرة أخرى يعود قسم من الأعراب إلى وطنهم الأصلى بعد أن منوا بهزائم فى بلاد أجنبية ، وقد استمر سلطانهم مدة قرن ونصف تقريبا [1] .

وفيما يلى نذكر القبائل العربية المعروفة سواء من استمر منها يعيش فى موطنه الأصلى أو من أكره على العودة إلى بلاد العرب من بلاد أجنبية .

١ ـــ عاد الثانية : التى حكمت من حضرموت إلى العراق على سواحل الخليج الفارسى .

٢ ـــ ثمود : التى حكمت من الحجاز حتى حدود سيناء .

٣ ـــ الجرهميون : الذين عاشوا بالحجاز .

٤ ـــ طسم وجديس : الذين حكموا باليمامة

٥ ـــ المعينيون : الذين سادوا اليمامة .

٦ ـــ الليميون : الذين عاشوا فى العلى Ula فى شمال بلاد العرب

---

(١) ابن خلدون (ج ٢) ص ١٨

الفصل الثالث عشر

عاد الثانية

سبق أن ذكرنا ، أن الله أنجى هودا والذين اتبعوه ، من العقاب الذى أنزله بعاد ، وقد ذكرت كتب التواريخ العربية أن هوداً ومن آمنوا به ، هاجروا إلى الحجاز ، قبل أن يحيق العذاب بعاد ، وبعد مدة ظهر إلى الوجود من سلالة هؤلاء الناجين ملك عظيم يدعى لقمان ، ويقال إنه عاش بضع مئات من السنين كغيره من الملوك الأقدمين الذين قيل عنهم إنهم عمروا آماداً طويله . ولكننا نرى أن هذه الآماد الطويلة ، لاتدل على حياة ملك واحد وحسب ،إنما تعنى مجموع المدد التى حكمها جميع أفراد أسرة ذلك الملك ، وعلى ذلك يجب أن نعرف أن حياة لقمان الطويلة ، إنما تعنى المدة التى حكمها بيت هذا الملك فقط .

لقمان :

تذكر أخبار العرب التاريخية ، أنه كان هناك رجل حكيم يدعى لقمان : وقد نسبت إليه كثير من الأمثال والقصص الفلسفية ، وقد ورد ذكر لقمان هذا ، وبعض تعاليمه ، فى القرآن الكريم ، ونحن

نميل إلى الاعتقاد بأن لقمان الذى جاء ذكره فى أخبار العرب التاريخية هو لقمان الذى ذكره القرآن ، ولدينا من الأدلة التاريخية على ذلك ما يمكن الاطمئنان إليه — يقول ابن اسحق المؤرخ المعروف (+ ١٥١ هـ) الذى يعد كتابه عن حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، أقدم كتاب من نوعه ، كما ينظر إليه على أنه أول مؤرخ لبلاد العرب القديمة ، بالمعنى الحديث لهذا الإصطلاح — فى مؤلفه : « كتاب التيجان » .

« يذكر وَهَبْ (المؤرخ والقصصى المعروف) أنه لما مات شداد بن عاد آل الحكم من بعده إلى أخيه لقمان بن عاد ، وقد وهبه الله مالم يهبه أحداً من خلقه فى ذلك الوقت ، كما منحه عقل مائة رجل ، وكان أطول الناس بين معاصريه . . . . ويقول ابن وَهَبْ إن ابن عباس أخبره أن لقمان بن عاد بن ملطاط Multat بن سالق Salk بن وائل بن حمير ، كان نبياً دون كتاب (أى لم يكن رسولا) » . (سلسلة النسب غير صحيحة)

ويعتقد بعض الناس — خطأ — أن لقمان بن عاد شخصية تختلف عن لقمان الحكيم ، كذلك يخطىء من يظن أن لقمان الحكيم كان من أصل أفريقى ، وأتى كعبد إلى بلاد العرب ، وقد ادعى بعض العلماء الأوروبيين أن لقمان الحكيم هو أيسوب Aesop الفيلسوف اليونانى ، لأن القصص والأمثال التى نسبت إليهما متشابهة ، ولكن لم يثبت أن العرب الأقدمين ، عرفوا شيئاً عن الفلسفة اليونانية ،

وفضلا عن ذلك ، فإنه إن كان التشابه فى الأعمال ، يعنى التشابه فى العاملين فلا بد من إنكار وجود كثير من الشخصيات التاريخية (إذا قبلنا هذه النظرية)

ويقول سلمه بن ربيعة ، الشاعر الجاهلى ، شعراً معناه : أن صروف الزمن ، قد أبادت طلسم والدهقان Dhâjdûn ملك اليمن وقوم جاش ، ومآرب وآل لقمان ، ويدل ذلك بوضوح على أن لقمان كان عربى الأصل . وأنه كان زعيم قبيلة باليمن ، كما كان على جانب كبير من القوة وكل هذه صفات تنطبق على لقمان بن عاد

وكان العرب كثيراً ما يقرأون حِكَم لقمان فى كتابه عن الحكمة وقد تضمنت إحدى النقوش التى كشفت عن عاد سنة ١٨ هـ العبارة التالية : « نحن نعيش فى كنف ملوك بعيدين عن الدنس والدنايا ، أشداء على الفساق والمفسدين ، ويحكموننا وفق شريعة هود ، التى ضُمّنت قوانينها العادلة فى كتاب »(١)

وقد ورد فى القرآن الكريم ، ذكر لقمان الذى كان على ملة النبى هود : « ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ، ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن الله غنى حميد ، وإذ قال لقمان لإبنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله ، إن الشرك لظلم عظيم .. .. .. يا بنى إنها إن

---

(١) تاريخ ابن هاشم

تك مثقال حبة من خردل ، فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأتى بها الله إن الله لطيف خبير ، يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ، ولا تصعر خدك للناس ، ولا تمش فى الأرض مرحا ، إن الله لايحب كل مختال فخور ، واقصد فى مشيك ، واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير »(سورة ٣١ من ١٢ — ١٣ — من ١٦ — ١٩)

أدب الحفائر :

لم يكتشف سوى نقش واحد يتصل بعاد الثانية فى سنة ١٨٣٤ فى اطلال حصن الغراب على مقربة من عدن وهو أول النقوش العربية التى اكتشفها الأوروبيون فى بلاد العرب ، وسمات هذا النقش ولغته عربية جنوبية . يحسبها البعض خطأ حميرية . وإليك نص هذا النقش نقلا عن كتاب فورستر Forster « الجغرافية التاريخية لبلاد العرب « Historical Geograpgy of Arabia »

(١) « لقد قضينا دهوراً بين أفنية هذه القلعة ، فى عيشة راضية لايشوبها ضيق أو عسر

(٢) وتحيط بنا مياه البحر فى حالة طغيان المد ، وأنهارنا تفيض

(١) هذه قطعة من الشعر ذات قيمة اثرية كبيرة ، وجدت على قطعةمن الرخام بين اطلال قلعة قديمة على ساحل حضرموت قرب ميناء عدن
Forster's Historical Geog., vol 11,

مندفعة غزيرة .

(٣) وبين النخيل الباسقات كان حارسها يغرس الرطب الجنى على ضفاف الجداول المتعرجة الدافقة بالماء أو الجافة

(٤) وكنا نصيد صيد البر بالحبال والغاب ، كما كنا نخرج الأسماك من أعماق البحار

(٥) وكنا نختال فى مشيتنا رافلين فى ملابسنا الحريرية الموشاة عند أطرافها وثياب سندسية خالصة ، وأردية ملونة بخطوط (أقلام) خضراء

(٦) وكان الملوك الذين يحكموننا منزهين عن الدناءة ، أشداء على أهل الخديعة والغدر

(٧) وقد اختاروا لنا شريعة محكمة مستمدة من ديانة هود ، وكنا نؤمن بالمعجزات والبعث وإحياء الموتى بإذن الله

(٨) ولما نزل بنا الأعداء . لقهر أراضينا ، اندفعنا جميعاً وحرابنا مشرعة

(٩) وكنا ندافع فى قوة وحماسة لنحمى نساءنا وأطفالنا . على خيول طويلة الرقاب ، رمادية وداكنة ، وخيول كميتية (نوع من الخيول بين الأسود والأحمر) زاهية

(١٠) وأثخنا أولئك الذين اعتدوا علينا جراحاً . حتى ارتدوا على أعقابهم »

ومن النص السابق يمكننا أن نستدل على الحقائق الآتية :

أولا .

أن التاريخ يعترف بشخصية هود ويؤيدها

ثانيا :

أن أتباع هود كانوا القسم الوحيد من بين عاد الذين نجوا من العقاب الآلهى

ثالثا :

أن عادا كانوا مهرة فى البناء

رابعاً :

أنهم كانوا يملكون جنات فيحاء وعيوناً وأنعاماً وبنين كثيرين كما يقول القرآن « واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون ، أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون » (السورة ١٦ آية ٣٣ — ٣٤)

ويصف المؤرخون والجغرافيون اليونانيون ، عادا الثانية بأنهم سكان القسم الشمالى الشرقى من مدين ، ويطلقون عليهم العاديين « Oaditae » وكان المسلمون أيضاً على علم باقامة عاد فى هذه الجهات ، وإن كانت وجهة نظر العرب ـ بوجه عام ـ هى أن اليمن كانت موطن

عاد ، وقد أيد هذه الحقيقة أيضاً الجغرافيون اليونانيون أنفسهم ، إذ يذكر بطليوس أن عاد إرَمْ Adrematae وعاد Adite كانت من بين القبائل التي كانت تعيش في جنوب بلاد العرب ويمكن أن تنظر إلى الأولين على أنهم «عاد إرم» ، والآخرين «عاد» ، ولما كان بطلميوس قد عاش في القرن الثاني بعد الميلاد فإن وجود عاد حتى ذلك الوقت يجب أن يؤخذ على أنه من الحقائق المقررة (١)

وقد كشف ج . هالفي J. Halevy و أ. جلاسر E. Glaser عدداً كبيراً من النقوش في المناطق الرملية باليمن وحضرموت المعروفة باسم الأحقاف ، والمكان الذى كشفت فيه هذه النقوش الكثيرة

---

(١) يمكن اعتبار عدن التي تقع على حدد اليمن وحضرموت والتي تدخل في الممتلكات البريطانية الآن الموطن الرئيسى لعاد ، وقد كان اتجاه الساميين قديما أن يسموا المدن بأسماء مؤسسيها كالمدن العربية ، الرقيم وسبأ وحضرموت وعمان ومدين ألخ .

وعلى ذلك يمكن إعتبار عدن (المدينة القديمة في بلاد اليمن والتي يوجد على مقربه منها جميع الأبنية التي تنسب لعاد والتي لايزال يقوم في جوارها جميع تلك الآثار الدالة على مجد عاد القديمة) كتصحيف لكلمة عاديين Adiin (وينبغي الا يوجد اعتراض على هذه الصيغة من صيغ الجمع فان كلمة « بنو » الدالة على الجمع لم تستعمل إلا في شمال بلاد العرب فقط) وينسب فورستر عدن إلى عدنان ولكن عدنان الذى كان يعيش في شمال بلاد العرب ، لم يكن له أدنى صلة بعدن ، اما نيبهر Neibuhr وهو رحالة أوربي من القرن الثامن عشر فيصف عدن بأنها ديدان Dedan ومن المرجح أنه لم يطلع على فقرات العهد القديم (حزقيل ، الاصحاح السابع عشر ٢٠ — ٢٣) التي ذكرت فيها عدن وديدان كمدينتين مختلفتين .

يظن أنه كان مدينة معين « Ma'in » وأن هذه النقوش تنسب للمعينيين غير أنه لما كان ذلك المكان يتفق تماماً والمكان الذى كانت تقيم فيه عاد الثانية ـ كما تدل على ذلك تواريخ النقوش التى ترجع إلى القرنين السادس عشر والسابع عشر قبل ميلاد المسيح ، كما يؤكد ذلك العلماء الثقات [١] ـ فليس من المستبعد أن يكون المعينيين من سلالة عاد الثانية

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية .

الفصل الرابع عشر

ثمود

ارتفع شأن ثمود بعد فناء عاد ، كما يقول القرآن « واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد » (السورة السابعة آية ٧٤) .

وفي الوقت الذي كانت تسود فيه عاد القسم الجنوبي الشرقي من بلاد العرب الذي يمتد من سواحل الخليج الفارسي حتى حدود العراق - كانت ثمود تسود القسم الشمالي الغربي من بلاد العرب ، الذي كان يعرف حينئذ بوادي القرى [1] (الذي كان يضم عدداً من القرى الصغيرة المبعثرة في كل مكان) وقد شاهد الجغرافيون المسلمون أطلال ذلك الوادي ، ولا يزال بعض هذه الأطلال قائماً إلى اليوم ، وقد أشار القرآن إلى هذا الوادي في قوله تعالى « وثمود الذين جابوا الصخر بالواد » وكانت مدينة « حجر » مقر ثمود الرئيسي تقع على الطريق القديم بين الحجاز وسوريا كما كانت تقع هناك أيضا مدينه أخرى هي « فج الناقا » التي كان يعرفها اليونانيون باسم بادنيتو Badneitu وتسمى حجر الآن « مدائن صالح » نسبة إلى النبي صالح .

إن تاريخ ثمود الماضي غامض يكتنفه الابهام ، وكل ما نعرفه

---

(١) انظر معجم ياقوت .

عنهم ، أنهم كانوا قوماً أقوياء يسكنون شمال بلاد العرب ، وهم كقوم عاد بناءون ماهرون ، وكان دأبهم إقامة البيوت والقصور والقبور من الحجارة فى قلب الجبال ، ولا تزال آثار هذه العمائر باقية إلى اليوم بما عليها من نقوش وكتابات ذات سمات آراميه ، غير أن معظم هذه النقوش ينتمى إلى النبطيين الذين كانوا يعيشون فى نفس المكان قبل المسيح وبعده ـ وقد قامت ثمود بعد هلاك عاد ، ويدل على ذلك أن ذكر ثمود كان أكثر وضوحاً فى لغات الأشوريين والأغريق من عاد ويؤيد القرآن ذلك بقوله « واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد » وقد انتهت مدة ثمود قبل مبعث موسى ، بدليل أن القبائل العربية التى كانت تعيش شمال بلاد العرب والتى ذكرتها التوراة لشهرتها ونفوذها السياسى لم يرد من بينهما ذكر لاسم ثمود ، ويؤكد القرآن هذا الرأى بقوله « وقال الذى آمن ياقوم إنى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب ـ مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم » (السورة ٠٩ آية — ٣١)

ويمكن أن نحدد عهد ثمود بين سنتى ١٨٠٠ ، ١٦٠٠ ق . م ، وهناك دليل آخر على أن هلاك ثمود حدث قبل مجىء موسى ، وهو أن أهل مدين فى عهد موسى ، كانوا يقيمون فى نفس الأماكن التى كانت تحكمها ثمود ، هذا وإن أولئك الذين يدرسون بعناية خروج اليهود من مصر ، كما روته التوراة

لا يترددون مطلقاً فى التسليم بذلك الرأى .

النبى صالح :

عندما رفضت ثمود أن تؤمن بإله واحد ، وأخذت تعبد النجوم والكواكب ، أرسل الله إليهم رسولا اسمه صالح ، وقد جاء فى العهد القديم أن صالح هو ابن أرفخشذ ، وأنه أبو إبراهيم وقحطان كما وإن القساوسة المسيحيين الذين ينظرون إلى أحاديث العرب وقصص القرآن على أنها مصادر غير تاريخية يتلمسون التأييد القرآنى فى سورة صالح حيث يقولون إن صالح وصلاح هما اسمان لشخص واحد ، ونحن من جانبنا لا نعترض على ذلك مادام التاريخ يؤيده ، وقد دعا نبى الله صالح ، قوم ثمود إلى عبادة الله وحده ، ولكنهم أعرضوا عنه ، فنصحهم بقوله « هذه ناقتى . برهان إلهى على صدق نبوتى . دعوها تأكل فى أرض الله . ولكم يوم تشربون فيها ولها يوم ـ إذا مسستموها بسوء فى يومها فسيحل عليكم غضب الله » وقد آمن الأخيار بقول صالح ، وأصم الأشرار آذانهم عن الاصغاء إليه ، ثم تآمر تسعة من هؤلاء الأشرار على إيذاء صالح وأتباعه ، إذا ماجن الليل فقطعوا أرجل الناقة ، وقتلوها ، فحل بهم غضب الله فى شكل زلزال عنيف ، ويصف القرآن هذه الأحداث مفصلة بقوله : —

« وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله

غيره ، قد جاءتكم بينة من ربكم ، هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ، ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد ، وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً ، وتنحتون الجبال بيوتاً ، فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين ، قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه ، قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون ، قال الذين استكبروا إنا بالذين آمنتم به كافرون فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم ، وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين . فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين . فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين » (السورة السابعة ٧٣ - ٧٩) « كذبت ثمود المرسلين . إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون ، إني لكم رسول أمين. فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين . أتتركون فيما ها هنا آمنين ، في جنات وعيون زروع ونخيل طلعها هضيم ، وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين ، فاتقوا الله وأطيعون ، ولا تطيعوا أمر المسرفين ، الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون قالوا إنما أنت من المسحرين ، ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية، إن كنت من الصادقين، قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ، ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم ، فعقروها فأصبحوا نادمين ، فأخذهم العذاب إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم

مؤمنين ، وإن ربك لهو العزيز الرحيم »

(السورة السادسة والعشرون والعشرون ١٤١ — ١٥٩)

« ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فإذاهم فريقان يختصمون - قال ياقوم لما تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة . لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون . قالوا اطيرنا بك وبمن معك . قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون - وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون . قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ماشهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون . ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لايشعرون . فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين ، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ، إن فى ذلك لآية لقوم يعلمون ، وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون » .

(السورة السابعة عشر ، الآيات من من ٤٥ — ٥٣)

« وفى ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين ، فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ، فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين (السورة ١٠١ آيات ٤٣ — ٤٥)

« كذبت ثمود بالنذر ، فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه ، إنا إذا لفى ضلال وسُعُر ، أألقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر سيعلمون غداً من الكذاب الأشر إنا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر ، ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر ، فنادوا

صاحبهم فتعاطى فعقر ، فكيف كان عذابى ونذر إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر »

(السورة الرابعة بعد المائة ٢٣ - ٣١)

« وأنه أهلك عادا الأولى وثمود فما أبقى »

« كذبت ثمود بطغواها إذ انبعث أشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها (السورة ١٤١ آية ١١ - ١٥)

« وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربى قريب مجيب ، قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفى شك مما تدعونا إليه مريب ، قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى وآتانى منه رحمة فمن ينصرنى من الله إن عصيته فما تزيدوننى غير تخسير ، ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب »

(السورة الحادية عشرة من آية ٦١ — ٦٥)

هذا ما حدث لأولئك الذين لم يؤمنوا بالله ورسوله من قوم ثمود أما ما حدث لمن آمنوا فيقول القرآن فيهم : —

« فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن

خزى يومئذ إن ربك هو القوى العزيز ، وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعداً لثمود» (السورة الحادية عشرة ٦٦ — ٦٨)

« وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون »

(السورة ٩١ آيات ١٧ — ١٨)[1]

ثمود الثانية :

تبدو ثمود الثانية (الذين نجوا بعد هلاك الكافرين من ثمود) فى ثنايا التاريخ بصورة أكثر وضوحاً من عاد الثانية . وقد ذكرت ثمود الثانية فى كل من النقوش الأشورية والتاريخ الرومانى . وقد احتل الرومان قبيل مولد المسيح البطراء العربية (فى شمال غرب بلاد العرب) وهى على مقربة من أرض ثمود . وكانت القبائل ذات

---

(١) يقال إن الناقة ووليدها خر جامن صخرة فى الجبل كمعجزة للنبي صالح عندما طلب المعاندون منه ذلك ، ولكن القرآن لم يذكر ذلك صراحة وإن كان قد صور القصة كلها تصويرا حيادقيقا ، وعلى هذا فيجب أن نرفض ذلك باعتباره خرافة أو خيالا ، وإذا قرأنا الآيات السابقة بإمعان فاننا نستنتج أن ثمود إعتادت أن تؤذى الحيوان ولذلك أرسل الله إليهم الناقة كنذير وقال لهم (على لسان نبيه) إنهم إذا مسوها بأذى فسينزل بهم عذاب الله ، وهناك تل فى أرض ثمود يسميه العرب فج الناقة ويسميه بطلميوس Badneitu

ذات الشهرة والنفوذ فى تلك المناطق وما جاورها هى قبائل البنطيين Nabàtàcans . والادوميون Edomites .

وقد قاد ملك أشور سرجون الثانى Sarjon II الذى حكم من سنة ٧٢٢ — ٧٠٥ ق.م حملة على بلاد العرب وأشار إلى ذلك فى النقوش التى سجل فيها انتصاراته ، وقد ذكر فى تلك النقوش اسم ثمود من بين الأقوام التى خضعت لذلك الملك فى بلاد العرب[١] . ويدل ذلك على أن ثمود فى عهدها الثانى (ثمودالثانية) لم تكن على شىء من القوة وإن ظفرت بشىء منها فسرعان ما كان يزول .

ومن المؤرخين الثقات الذين تحدثوا عن ثمود ديودور (+ ٨٠ق.م) وپلنى (+ ٧٩ ق.م) ، وبطليوس (+ ١٤٠ ق.م)[٢] وقد أطلق الأول على ثمود الثموديين Thamudani بينما أسماهم بطليوس الثموديتاى Thamudiatae غير أن كليهما قد حدد موقعهم بالمكان الذى حدده العرب تماماً[٣] . وهناك مؤلف يونانى آخر (وقد نقل كلامه دكتور سپرنجر Sprenger) يقول إن ثمود عاشت جنباً إلى جنب مع النبطيين[٤] .

وعندما احتل الرومان شمال بلاد العرب ، ضم بعض أفراد من

(١) Huges, p. 17,

(٢) Forster,s Historical Geogropy, II p. 125.

(٣) Goldmines of Midian, p 278.

(٤) Huart, p. 3.

ثمود إلى القوات الاحتياطية فى الجيش الرومانى ، فقد ذكر التاريخ أنه فى أثناء حكم جستنيان Justinian ضم نحو ثلاثمائة رجل من تلك القبائل ذات الحراب الطويلة والجمال إلى جيش الامبراطورية الرومانية ولما كان جزء كبير من بلادهم قد احتله أهل مدين ، كما استولى النبطيون على الأجزاء الأخرى، فليس من المستبعد أن تكون ثمود قد عرضت خدماتها على الرومان عند غزوهم النبطيين حتى يشفوا غليلهم منهم ومن العجيب أنه لم يرد ذكر لثمود فى العهد القديم . والحقيقة هى أن التوراة قد تتبعت تاريخ العالم من بدء الخليقة حتى عهد سلالة إبراهيم ثم بدأت تلتزم الصمت منذ هروبهم من مصر (حوالى سنة ١٦٠٠ق.م تقريباً) إلى أن بعث موسى سنة ٤٥٠ ق.م وفى أثناء هذه الفترة ارتفع نجم ثمود ثم أفل . وبعد هذه الفترة نرى التوراة تقتصر على ذكر تلك الجماعات الأجنبية التى كانت بينها وبين الإسرائيليين علاقات سياسية . ولم يكن أهل مدين الذين خلفوا ثمود الأولى من بين تلك الجماعات (وبالتالى لم تذكر ثمود الأولى فى التوراة) .

ولما قهر الاسرائيليون أهل مدين سنة ١٠٠٠ أو ٩٠٠ ق . م استطاعت ثمود الثانية أن تسترد بعض نفوذها وكان ذلك فى الوقت الذى غزا فيه ملك الأشوريين سرجون الثانى شمال بلاد العرب واستولى على ما كان فى حيازة ثمود الثانية ، وذلك سنة ٧٠٠ق.م وبعد ذلك وقبل ظهور المسيح هزم النبطيون ثمود الثانية ولما هاجم الرومان النبطيين

انضمت ثمود الثانيـة إلى الرومان ومن ثم جاء ذكرها فى التاريخ الرومانى :

وعلى أية حال لم يكن هناك أى أثر لثمود عند مجيء الإسلام فقد كان اليهود يحتلون بعض أرضهم وكان يحتل بعضها الآخر بعض القبائل القليلة الشأن ، ويبدو أن النبطيين ربما كانوا قد قضوا على ثمود لكى ينتقموا منهم جزاء خيانتهم أبناء وطنهم ومساعدتهم الرومان .

الفصل الخامس عشر

جرهم (الجرهميون) [1]

اختلف المؤرخون فى نسب جرهم ، فبينما يرجعه البعض للسلسلة السامية الأولى ، يرى الآخرون أنه ينحدر من يقطان ، ثم حاول المؤرخون الذين أتوا بعد ذلك أن يوفقوا بين النظريتين بالقول بأن

---

(١) ذكرت التوراة يقطان وابناءه الاثنا عشر بأسمائهم وأحدهم المسمى « جيراه » ربما كان هو يعرب العرب ، ولما كان اسم جرهم أو أى اسم مماثل له لم يذكر فى العهد القديم فقد حاول بعض العلماء الأوربيين أن يبرهنوا على أن « جيراه » هو « جرهم » ويأتى ذلك اللبس من أن لفظة « ى » العربية واليهودية ، ولفظة « J » اللاتينية واليونانية ، من الألفاظ التى يمكن استبدال إحداها بالأخرى ، وعلى هذا ففى جميع التراجم الأوروبيه عن اليونانية واللاتينية تكتب لفظة « yarih » هكذا « Jerah » أو « Jarish » التى يمكن أن تؤخذ بسهولة على أنها « Jurham » جرهم ولكنها غلطة فاحشة ، « فأولا » لأن أسماء الأشخاص والأماكن التى وجدت بالعهد القديم قد ضوهيت باليهودية لا باليونانية أو اللاتينية ، كما أنه ليس من الأمور المرعية فى اللغة أن الحرفين « ج » ، « ى » فى العربيه واليهودية من الألفاظ القابلة للتبديل « وثانيا » إذا كان من الممكن أن نأخذ « jerah » على أنها جرهم Jurham فما هو الأصل لكلمة يعرب « yarub » ؟ و« ثالثا » ، من الأمور المستحيلة أن النطقين المختلفين للكلمة الواحدة (Jerh) يعنى كلتى يعرب وجرهم ويؤدى الى شيوع ذلك فى بلد واحد ، وفى لغة واحدة ، « ورابعاً » ، فى الوقت الذى كان جرهم يعيش بالحجاز لم يكن للقحطانيين العرب أى وجود سياسى ، إذ بدأت اهميتهم تظهر للوجود سنة ١٠٠٠ ق . م بعد هلاك الفروع الأولى والثانية للقبائل السامية ، وعلى هذا فنحن من جانبنا نؤيد رأى أولئك المؤرخين الذين يزعمون أن جرهم من سلالة الفرع الأول للشعوب السامية .

هناك فرعين للجرهميين جرهم الأولى وجرهم الثانية ، أما الأولى وهى التى كانت معاصرة لعاد ، فقد انحدرت من السلسلة السامية الأولى ، بينما الثانية التى كانت تربطها بإسماعيل صلة القربى والجوار فهى تنحدر بنى قحطان أو يوقطان، وقد كان هذا سيداً على الحجاز بينما كان أخوه يعرب يضع يده على اليمن ، وعلى أية حال ، فقد استقر الجرهميون بالحجاز حتى سنة ٢٢٠٠ ق . م وقامت صلات مصاهرة بينهم وبين النبى اسماعيل ، وفيما يلى بعض ماذكره المؤرخون العرب عن تاريخ ملوك جرهم :

« أول هؤلاء الملوك مضاض بن عمرو الجرهمى وقد هزم فى حرب شنها عليه أحد منافسيه فى الملك وهو الصميدع Sumida ، فسار إلى سوريا وهناك أصبح ملكا للعمالقة ، وقد خلف مضاض ابنه الحارث ومن بعده ابنه عمرو ، وجاء من بعد هؤلاء المعتصم بن ظالم وهوّاز ابن جحاش بن مضاض ، وعداد بن داداد بن جاندال بن ماداد وفخاز بن عداد . وآخر ملوكهم الحارث ، وفى عهده اضمحلت وزالت قبيلة جرهم بسبب تمردهم وسوء فعالهم » (١) .

ويعتقد العرب أن النبى اسماعيل تزوج من قبيلة جرهم (٢) بينما يذكر العهد القديم أنه تزوج من سيدة مصرية ، وكيفما كان هذا الخلاف

---

(١) اليعقوبى ، جـ ١٠ ص ٢٥٤ (ط . اوربا) .
(٢) البخارى . كتاب الأنبياء

فهو خلاف نظرى أكثر منه حقيقى ، ففى ذلك الوقت كانت الفروع الأولى للساميين تقع تحت سيطرة مصر ولها علاقات بالمصريين وعلى ذلك ، فمن الصواب القول بأن النبى اسماعيل تزوج من قبيلة جرهم السامية الأصل ، أو من سيدة مصرية ، وليس هناك أى تناقض فى العبارتين كما يبدو من الظاهر .

وقد أشير إلى بناء الكعبة على يد الجرهميين والاسماعيليين فى الشعر العربى الجاهلى أيضاً ، وفى ذلك يقول زهير بن أبى سلمى وهو شاعر مسيحى من الشعراء العرب فى الجاهلية :

فأقسمت بالبيت الذى طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم

وقد أشار بلنى Pliny إلى قبيلة عربية باسم جارماى Charmai التى قد تكون صيغة معدلة من كلمة جرهم [١] .

وعند ظهور الاسلام لم يكن للجرهميين وجود كقوم أولى كيان وقوة ، ولو أن بعض أفرادهم كانوا موجودين هنا وهناك ، وكان هناك فى ذلك الوقت باليمن جرهمى اسمه « عبيد بن شاريح » ويقال إنه اعتنق الاسلام على يد النبى عليه الصلاة والسلام ، وقد عاش هذا الرجل حتى عهد معاوية بن أبى سفيان ، ونظراً لتفوقه فى معرفة تواريخ الأمم القديمة ، فقد أمر معاوية بتدوين رواياته الشفوية [٢] وفى القرن الثالث الهجرى وضع المؤرخ ابراهيم بن سليمان الكوفى مؤلفاً بعنوان « أخبار جرهم » ألقى كثيراً من الضوء على هذه القبيلة [٣]

---

(١) Forster's Historical Geography, vol. p 124.

(٢) ابن النديم . الفهرست . ص ٨٩ ط . ليدن

(٣) الطوسى . الفهرست . ص ١٣ ط . كلكتا

الفصل السادس عشر

طسم وجديس

كانت طسم وجديس ، وهما ينحدران من عاد[1] تقيم فى عصور مبكرة بمدن اليمامة والبحرين وعمان التى تقع على الخليج الفارسى ، وقد كانت لطسم فى بداية الأمر الغلبة السياسية وتصريف الأمور ، غير أن ملكا ظالما شريراً من ملوك هذه القبيلة يدعى عملوق أثار سخط جديس بفعاله القبيحة ، ولما ثارت قبيلة جديس استعانت طسم بملك اليمن ، الذى لم يلبث أن استجاب لمساعدتها ، ولكنه احتل البلاد لنفسه[2].

ويذهب مؤرخو العرب إلى أن ذلك الملك كان تبع حسّان Tubba Hisàn وهذا خطأ فاحش ، لأن الأمر قد التبس على المؤرخين التباساً خطيراً ، فبينما هم يزعمون أن طسم وجديس هى القبائل القديمة التى تفرعت من أرم وازدهرت بين سنتى ٣٠٠٠ و ٤٠٠٠ ق.م. نراهم يزعمون من ناحية أخرى أن هاتين القبيلتين كانتا تعاصران ملوك

---

(١) الوطن الأصلى لطسم وجديس هو اليمامة على ماذكره الكلبى ، والبحرين كما جاء فى تاريخ ابن خلدون ، وعلى هذا لايكون هناك أى تناقض فيما ذهب اليه كلاهما لأن المدينتين كانتا تعرفان بالإسم الشائع « حجر » (انظر معجم ياقوت)

(٢) انظر الأغانى وغيره من المؤلفات التى تناولت تاريخ العرب

اليمن الذين كانوا يعيشون قبل الميلاد بقرن واحـــد ، وقد ذكر اليونانيون إحدى القبائل العربية ، تحت اسم چوليستاى Jolistai التى ربما كانت هى جديس . وقد جرى هلاك طسم مجرى الأمثال ، حتى إن لفظة طسم العربية بدأت تعنى - على مر الزمن - الدمار والهلاك . وقد أنشد سلمه بن ربيعه . وهو شاعر جاهلى « إن تقلب الحدثان (الزمن) قد أهلك طسم . ومن بعدها ذوى جدين Dhajdun ملك اليمن وقوم جاش Jash ومأرب وقبائل لقمان . وهذا الترتيب يبين لنا أن طسم قد سبقت السبئيين (من أهل مأرب) وعادا الثانية (قبيلة لقمان)

اليمامة : (كان يطلق عليها قديماً چاوا Jowa) وقد اشتهرت بشهرة مدينتها الرئيسية حجر Hijr أو قرية Qariah ، وطبقا لما ذكره الهمدانى وهو من المتضلعين فى اللهجات العربية القديمة فإن كلمتى حجر وقرية تعنيان شيئاً واحداً . هو مدينة. وفى اللغة العربية القديمة ، كانت لفظة حجر شائعة ومستعملة . ومن بعد ذلك شاعت لفظة قرية (وهى الترجمة الحرفية للفظة حجر) وحلت مكانها[1] . وقد شوهدت آثار بعض الأبنية القديمة باليمامة فى العصر الاسلامى . وقد ذكر الجغرافيون اليونانيون والرومان مدينتين عربيتين على ساحل الخليج الفارسى ، أو باليمن احداهما بإسم جرا « Gerra » جراى « Cerrai » وجرهه

(١) لمعرفة بعض التفاصيل عن هذه الآثار انظر معجم ياقوت

« Gerrha » والأخرى باسم آجريك Agraic ، وفى ثنايا وصف هؤلاء الجغرافيين اليونانيين والرومانيين للتجار العرب اختصوا بالذكر أهل هاتين المدينتين السابقتين إذ كان لهم نصيب وافر فى التجارة الهندية . وحتى الآن فلا تزال علاقاتهم التجارية مستمرة مع الهنود

وهذه الأماكن لم تتعرض مطلقاً لغارات اليونانيين أو الرومانيين الجدية وإن كان سلوكس Selucus الذى احتل العراق بعد وفاة الاسكندر قد قام برحلة إلى قرية Qariah سنة ٢٠٥ق.م[١]. وعلى أية حال ، فإنه بعد هلاك القبائل القديمة فى اليمامة والبحرين تحولت هذه الأراضى كلها إلى صحراوات حتى جاءها الاسماعيليون والقحطانيون ، فاحتل البحرين « ربيعة اسماعيل » وهى إحدى بطون « عنزة بن أسد » ومعها بعض السلالات القحطانية . وملك بنو حنيفة اليمامة[٢] . فلما جاء الاسلام كانت البحرين تحت يد الفرس ، وكانت تحكمها أسرة عربية نيابة عن أباطرتهم . أما اليمامة فكانت لاتزال تحت حكم بنى حنيفة ،وقد دخلت البحرين طوعاً فى الدين الاسلامى فى حياة الرسول عليه الصلاة والسلام . أما اليمامة فقد أسلم أهلها ثم ارتدوا ، وأخيرا خضعت فى عهد سيدنا أبى بكر رضى الله عنه بعد حروب متصلة .

---

(١) Ency. Britt vol. XXIV.p.604.

(٢) أبو حنيفة : أخبار الدول ، ص ١٧ — ١٨ (ط. مصر).

الفصل السابع عشر

المعينيون

كانت معين تقع فى بلاد اليمن غربى حضرموت وسبأ (صنعاء الحالية) فى جنوبها الغربى. وإن الأثريين الثقات الحديثين الذين نوهوا بشأن هذه المدينة وأعلوا ذكرها، تتبعوا تاريخ أهلها القدماء وكشفوا كثيراً من النقوش وتمكنوا من حل رموزها بمساعدة الروايات اليونانية، وقد أثبتت الكشوف الحديثة موقع معين فى المكان القديم الذى كانت تشغله عاد الثانية (١) .

ولقد ذكر المعينيون أول مرة فى القرن الثامن قبل الميلاد، وبعد ستة قرون ألمح المؤرخ الأغريقى اراتوستثنيز Eratosthenes باشارة عابرة عن معين (٢٢٦ — ١٩٦ ق.م) ومن بعده ذكر سترابو Strabo (+ ٤٠ م) وبلنى Pliny (+ ٨٠ م) وبطلميوس (+ ٤٠ م) هذه المدينة وأسموها مانتاى Mantai وميناى Minaei وزعموا أنها

---

(١) المعنى الحرفى لكلمة معين فى اللغة العربية «نبع» وفى اليهودية نطقت الكلمة ميان Miyan ، وتوجد مدينة أخرى باسم معان Maàn فى شمال بلاد العرب الحالية .

كانت تقع بالقرب من حضرموت بين مأرب وقتب Catab) قتبانيا Katabania) ، أما مؤرخو العرب فكانوا لا يعرفون عن المدينة إلا قليلا من تفاصيل إخبارها ولهذا فقد أضاف المؤرخون اليونانيون إلى معلومات العرب تفاصيل ذات شأن فى الموضوع .

وفيما يلى نذكر آراء العرب واليونانيين بشأن معين بالإضافة إلى النتائج الحديثة للكشوف الأثرية .

وجهات النظر العربية :

يذكر الهمدانى فى مؤلفيه « الاكليل » و « صفة جزيرة العرب » .

« تقع أقاليم اليمن المعروفة بمعين وبرقاش (يائل Yathil) أسفل صحراء الرهاب الرملية ، وتقع معين بين مدينتى نيشان Nishan ودوب شرقة Daub Sharaqah » .

ويذكر ياقوت فى معجمه « معين اسم قلعة باليمن ، وفى رأى الأزهرى هى مدينة باليمن قيل أنها تقع فى برقاش (يائل Praqash) وفى رأى الأصمعى أن برقاش (يائل) ومعين قلعتان باليمن وأنهما بنيتا من بقايا المواد التى تخلفت من قلعة الصالحين Salhiu (صيلى) وهى قلعة أمر ببنائها بعض ملوك اليمن واستغرق بناؤها ثمانين عاماً ، ولو أن قلعة الصالحين قد أصبحت أثراً بعد عين الآن ، فما زالت القلعتان اللتان بنيتا من مخلفاتها موجودتين .

يتضح من الفقرات السابقة أن معين وبرقاش قد بنيتا بأمر ملوك اليمن وأنهما ظلتا موجودتين حتى القرن الثانى للهجرة ، وقد أشير إلى برقاش كثيراً فى الأدب الإسلامى كمدينة لها أهميتها واستمر ازدهارها حتى القرن الثامن الهجرى[١] . وقد جاء ذكر هاتين المدينتين فى الأشعار العربية أيضاً (للاطلاع على بعض هذه الأشعار يحسن الرجوع إلى كتاب الاكليل للحمدانى والمعجم لياقوت) .

والبينة السابقة تدل دلالة قاطعة على أن معين اسم لمدينة كانت تقع فى صحراء اليمن وأنها ظلت موجودة إلى نهاية القرن الثانى للهجرة على أقل تقدير وأنها كانت مقراً لحكومة ما فى فترة معينة من فترات التاريخ . وأن مدينة برقاش (ياثل) كانت تقع بالقرب من معين ، ومن الطريف أن نذكر أن هاتين المدينتين قد بناهما السبئيون والحميريون ، ولما كان السبئيون هم الذين خلفوا المعينين مباشرة فقد ظن المؤرخون اللاحقون أنهم بناة هاتين المدينتين السالفتى الذكر .

الكشوف الحديثة :

إن الكشوف الأركيولوجية (الأثرية) فى اليمن مدينة إلى عالمين ألمانيين هما ا . جلاسر E. Glaser ، ج هالفى J. Halvey فقد حصلا على بضعة آلاف من النقوش وتمكنا من حل رموزها ، وأدى

(١) الخزرجى . تاريخ اليمن . جـ ١٠ ص ١٠٠ (Sibb Series) .

ذلك إلى تسليط أضواء قوية على كثير من النواحى الدينية والتجارية والسياسية لهذه البلاد ، كذلك وقفنا على مدى اتساع مملكة حضرموت وقتاب Qatab (قتبانيا) Katabania ومارب وسبأ ومقار حكوماتها وأسماء ملوكها وطقوسها الدينية ، وكيفية ممارسة الأهالى لها وأسلوب حياتهم ومظاهر حضارتهم .. الخ . ولقد وجدت مملكة معين أعرق الممالك التى تأسست فى بلاد اليمن .

واختلفت الآراء حول تاريخ حكم معين لأن النقوش المعينية التى أمكن الحصول عليها لا تشمل تواريخاً . ويرى الأثريون الألمان أن المملكة المعينية قد استمرت من سنة ١٤٠٠ ق . م إلى ٧٠٠ ق . م أما الأثريون الفرنسيون وبعض المؤرخين الإنجليز فيؤكدون أن مدة حكمها تبدأ من حوالى سنة ٨٠٠ ق . م[١].

وفيما يلى بعض ما ذكرته دائرة المعارف البريطانية (حـ ٢ العرب)

إن من الحقائق التى أدت إلى خــلاف كبير فى وجهة النظر بين العلماء فيما يتعلق بإعادة تنسيق تاريخ بلاد العرب فى القرون السابقة لميلاد المسيح ، عدم تأريخ النقوش حتى عصور متأخرة ، وأن قليلا منها يحوى حقائق تاريخية إذ أن معظمها لا يحوى غير أسماء آلهة وحكام وتفاصيل شئون منزلية ودينية وفوق هذا وذاك فمجموعتنا ما تزال غير كاملة ، وعلى هذا فجميع العلماء قد اتفقوا على أن النقوش

---

(١) Clement Huart's : Histoire des Ara bes, Tome 1, p. 45

ترجع إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد (ويذهب البعض إلى أنه القرن السادس عشر ق . م) وبرهنوا على وجود ممالا يقل عن أربع ممالك متحضرة لمعين وسبأ وحضرموت وقتبانيا » .

ويذكر ف . هومل F. Hommel فى دائرة المعارف الإسلامية (Vol. I Arab. p. 377.) .

« إن النقوش البابلية القديمة تذكر من يُدْعَى مانيوم (واسمه الكامل مانيوم — دانو) ملك ماجان Magan أو بلاد العرب الشرقية فى القرن الثلاثين قبل الميلاد . ومن السهل الميسور . أن نجد أدلة كثيرة تعزز الرأى القائل بأن مجان Magan هى مجرد ترجمة سومرية للكلمة العربية معان ، ومن هذا المركز تأسست (فى وقت مجهول لنا) مملكة معان (والتى لُفِظَتْ أخيرا معين) أو الدولة المعينية فى جنوب بلاد العرب . التى ربما ضمت كل الجزء الجنوبى لبلاد العرب فى بدايه أمرها (شاملة قتبانيا ، ومن المرجح أنها شملت أيضاً كل حضرموت) يضاف إلى ذلك الإقليم الذى يسمى ملوخ Melukh فى وسط وشمال غرب الجزيرة العربية »

ويجب أن يضاف فى هذا المقام أن أحد حكام مصر من القبائل العربية (التى تعرف بوجه الاجمال الهكسوس أو ملوك الرعاة) كان يطلق عليه المصريون اسم مين Main الذى ربما كان تحريفاً آخر للفظة معين وفوق هذا فإن النقوش المعينية والأشورية تشير إلى علاقاتها

المتبادلة . كما إن النقوش الآشورية التى ينحصر عهدها من ١٩٠٠ — ٧٠٠ ق . م تشير إلى معين . لكل هذه الأسباب . وكما يقول المؤرخ الفرنسى لبلاد العرب هيوارت Huart إن نهاية العصر المعينى لا يمكن أن تكون بعد القرن السابع قبل الميلاد[١]

وهناك نقطة أخرى تجب ملاحظتها فى ذلك المقام . وهى أن حكم سبأ فى بلاد اليمن بدأ على وجه التقريب من سنة ٨٠٠ أو ٩٠٠ ق . م واستمر عدة قرون بعد ذلك تحت اسم الحميريين . ومن هذا يتضح أن فترة الحكم المعينى كلها أو على أقل تقدير فترة يسرها وازدهار حكمها لا بد وأن تعتبر على أنها تنتهى قبل القرن التاسع أو الثامن قبل الميلاد وقد اقترن سقوط المعينين بظهور السبئيين . ويرى بعض الناس أن أن المعينين كانوا يعاصرون السبئيين غير أنه ليس من المحتمل مطلقاً أن تستمر دولتان قويتين فى هذا القسم الضئيل من بلاد اليمن عدة قرون فى وقت واحد معا . وعلى هذا فنحن نميل إلى الأخذ بوجهة نظر العالم الألمانى المعروف ف. هومل F. Hommel الذى برهن فى مقالة له عن العرب فى دائرة المعارف الاسلامية بالحقائق والأدلة أن فترة الحكم المعينى كلها أو على أقل تقدير فترة ازدهارها تنتهى قبل ظهور السبئيين . .

يذكر هذا العالم الألمانى (دائرة المعارف الاسلامية ج ا . عرب

(١) Cl. Huart's " Histoire des Arabes" T. 1, p. 450

ص ٣٧٨) « بينما كان يعد واضحاً من قبل كما يقول د . ه ملر من ڤينا D. H. Mullerof Vienna أن (السبئيين والمعينيين) كانا معاصرين لبعضهما البعض ، فقد أخذ ادوارد جلاسر E. Glaser ومن أتى بعده وبخاصةهوجووينكلر H. Winckler ثم كاتب هذه السطور يناضلون كما هو معلوم عن النظرية التى تقول بأن حكم المعينيين كان سابقا لحكم السبئيين (وكذلك لحكم مايسمى بملوك الكهنة) وهى نظرية تفترض بطبيعة الحال تاريخاً أكثر قدماً للمعينين (١٧٠٠ – ٧٠٠ ق . م على أقل تقدير) . وفى الأيام الأخيرة بدأت نظرية المعاصرة تلق تأييدا من بعض العلماء وبخاصة مارتين هارتمان M. Hartman المختص بتاريخ بلاد العرب . والمؤرخ ادوارد مير E. Meyer وان كان هارتمان الآن قد بدأ يعترف بحق أن العصر الذهبى لملوك معين يسبق عصر السبئيين .

هؤلاء العلماء الذين يرون أن المعينيين والسبئيين كانوا يعاصرون بعضهم بعضاً يبنون هذه النظرية على نص نقش معينى (جلاسر ، ١١٥٥ وهالقى رقم ٥٣٥) يقول بأن المعينين كانوا يتبادلون تجار الكُنْدُر (لبان الذكر) مع الآشوريين وعبرالنهرين . وقدأدى ذلك إلى قيام حرب بين المادهى ومصر وكانوا يقصدون Madhi بالمادهى الميديين Medes الذين حاربوا المصريين سنة ٥٢٥ ق . م بيد أن ف . هومل F. Hommel يرى أن لفظة المادهى Madhi تقوم مقام

الميديانيين Midiantes أوالمانتى Manti لأن بدو سينا كانوا يعرفون بذلك الاسم . وفوق ذلك فكلمة آشور Assur (وهو أسلوب التوراة فى الهجاء) فى النص السابق تقوم مقام أشيريا Assyria وكلمة عبر النهرين مكان الجزيرة Algezeira ، والمعروف من الوجهة التاريخية أن الأشوريين فقدوا سلطانهم سنة ٧٠٠ ق . م . وأن الحكم المعينى لابد وأن يعتبر أنه قبل هذه الفترة بوقت طويل . وبناء على ذلك . ففترة الحكم المعينى كلها لابدو أنها قدسبقت حكم السبئيين. وإلا فقد نفترض أن الفترة الأولى للسبئيين قد اتحدت مع الفترة الأخيرة للمعينين (للحصول على تفصيلات وافية انظر دائرة المعارف الاسلامية ح ١ ص ٢٧٨)

النظرية اليونانية :

لم يكن بين العرب والإغريق سوى العلاقات التجارية . ومنذ القرن الرابع قبل الميلاد . وقعت مصر تحت سيطرة الإغريق وأصبحت الاسكندرية محور التجارة . وكان العرب سادة التجارة فى المعادن والبخور والعطور ، وقد كتب اراتوثنين Eratosthenes (+ ١٩٦ ق . م) عن ممالك اليمن :

« فى أقصى أطراف بلاد العرب بالقرب من البحر ، كان يعيش المعينيون وكانت عاصمتهم قرنة Krana ومن بعد هؤلاء جاء السبئيون وعاصمتهم ماريابا Mariaba (مأرب) ، ومن وراء ذلك نحو الغرب

فى ركن الخليج العربى كان القطبانيون (Cattabani) الذين كان يعيش ملوكهم فى ثامنا Thamna وأخيرا القطراميون Chatramits فى أقصى الشرق ومدينتهم سبانا Sabbatha وكل من هذه الأقاليم الأربعة أكبر من دلتا النيل فى مصر تسقط أمطارها صيفاً وأنهارها تجرى فى السهول وتصب فى البحيرات . ومن أجل هذا كانت الأرض على جانب كبير من الخصب . لدرجة أن البذور كانت تبذر مرتين فى السنة. وتنتج أرض القطبانيين البخور، بينما ينتج القطراميون المر، وفى غير هذه الجهات كانت تكثر الفواكه من كل نوع ، وقطعان الماشية . والمسافة بين القطراميين والسبئيين يمكن قطعها فى أربعين يوماً . ومن بلاد المعينيين كان التجار يقضون سبعين يوماً للوصول إلى آيلة Aela (ايلاث Elath) وكانت المدن القطرامية والقطبانية والسبئية والمعينية على جانب من الغنى تزينها المعابد والقصور الملكية »

(Apud Strabon, p.968—77,)

من البينة السابقة التى ترجع إلى سنة ٣٠٠ ق . م يتضح لنا أنه فى ذلك الوقت كان يوجد أربع دويلات فى بلاد اليمن ، احداها دولة معين التى كانت لا تقل اتساعاً عن الوجه البحرى فى مصر ، وكانت أرضها على جانب كبير من الخصب ، وعاصمتها قرنا ، Karna كما يتضح أيضاً أنه فى شرق اليمن كانت توجد حضرموت ، وفى الغرب تجاه البحر العربى كانت قتاب Qatab (قطبانيا) ، Katabania وفى الوسط كانت توجد معين وسبأ وأن المسافة بين معين وخليج العقبة (الطريق

من اليمن إلى سوريا ومصر) كانت تستغرق سبعين يوما ، ويتضح الآتى فى كتاب :

(مناجم الذهب فى مدين The Goldmines of Midian) ومن ثم يمتد خط مستقيم (نحو الشمال) إلى مدينة البطراء ، وفلسطين حيث يجلب الجرهميون والمعينيون وجميع الأعراب الذين يعيشون فى المناطق المجاورة من جنوب بلاد العرب الكندر (لبان الذكر) والاحزمه المملوءه بالعطور الأرجة — ويذكر پلنى أن البلح والعنب من المحاصيل الرئيسية لمعين ، وإن كان المصدر الحقيقى لثروتها تجارة الحيوانات [1] . وعلى النقيض من السبئيين ، فقد المعينيون (الذين كانوا يعاصرون پلنى (-|- ٧٩٩ ق . م) سلطانهم ومجدهم ، ويتضح لنا ذلك من الفقرة التالية : « يخبرنا پلنى أن السبئيين هم أشهر قبائل العرب ، نتيجة لحصولهم من الكندر ، وأراضيهم التى تمتد من البحر إلى البحر (بين الساحلين) وكانت مدنهم تقع على الساحل وفى الداخل ، وعاصمتهم مأرب . ويطلق على إحدى قبائل سبأ القطراميون Chatramites وعاصمتهم سباثا Sabbatha وبها ستون معبداً داخل أسوارها . وإلى الشرق البعيد كانت بلاد القطبانيين Chattabani وكان بمدينتهم ثامنا Thamna خمس وستون معبداً ، وتقع بلاد المعينين فى الداخل وراء بلاد القطراميين [2] .

(١) Forster,s Historical Geogro phy, vol. II, pp. 224-26 .

(٢) Dunker's History of Antiquity, vol. 1 ,pp. 512 -- 13.

من الفقرة السابقة يتبين لنا أنه فى القرن الأول للميلاد أصبح المعينيون فى زوايا النسيان بسبب ظهور السبئيين الذين كانوا وحدهم سادة فى البلاد بين الخليج الفارسى والبحر الأحمر على الرغم من أن مدينة معين ظلت قائمة حتى القرن الثانى للهجرة (الثامن الميلادى) .

ويقول پلنى : « إن المعينين كما يتضح من اسمهم يرجعون إلى مينوس Minos ملك كريت ، والراجح أن هذا الادعاء نتيجة لخيال يونانى خصيب ، ومع ذلك فهو يبين لنا أن تجار معين قد وصلوا إلى حدود بلاد اليونان أيضاً » .

مساحة المملكة المعينية :

طبقاً لآراء الجغرافيين العرب واليونانيين التى تؤيدها الكشوف الأثرية الحديثــــة كانت معين تقع بين حضرموت وسبأ (صنعاء) فى الجزء الجنوبى من الجوف Jauf .

« وقد امتدت المملكة المعينية حتى شملت الجوف العربية كلها ، وكانت أهم مدنها قرنان Karnan ومعين وياثل ، وقد أمكن عن طريق النقوش معرفة عشرين ملكا يمتون إلى بعضهم البعض بصلة القرابة . ولا بدأن يكون تاريخهم قد امتد عدة قرون . ونتيجة لوجود نقوش باللغة المعينية فى بلدة الأولى Al ula فى شمال بلادالعرب فمن المحتمل أنه كان للمعينين بعض المستعمرات فى هذه الجهات » .

Enc· Brittannica, vol. 11. Arabs .

ولم تكن المستعمرة المعينية فى شمال بلاد العرب، مجرد محطة تجارية بل كانت إلى جانب ذلك مدينة سياسية تشاطر فى الحروب إلى جانب أميرها ، وقد وصف صمويل لاج S Laing امتداد المملكة المعينية فى كتابه ، أصل البشر:

"Human Origin" (on Arabs p. 89)

قال: إننا نعرف حتى الآن أسماء اثنين وثلاثين من ملوك المعينيين، وليس من شك فى أننا سوف نتوصل إلى معرفة أكثر من ذلك ، حيث أنه لم يكشف سوى نقوش قليلة ، ومن بين النقوش التى عرفت ما يدل على أن سلطة بعض الملوك المعينيين لم تكن تقتصر على مقر ملكهم الأصلى فى الجنوب ، ولكنها كانت تمتد إلى كل البلاد العربية ، وإلى حدود مصر وسوريا .

وقد وجدت أسماء لثلاث ملوك منهم فى تيما Teima التى ذكرها العهد القديم على الطريق إلى دمشق وسيناء ، كما كشفت لوحة نذرية فى جنوب الجزيرة العربية، سجل عليها مقدموها اعترافاً بجميل أتار Attar (استار Istar أو استارت Astarte) لانقاذهم من الحرب التى قامت بين حاكم الجنوب وحاكم الشمال، ومن الصراع الذى نشب بين المدهى ومصر Madhi ولعودتهم سالمين إلى عاصمة بلادهم كارنو Quarno. وقد وصف كاتبو هذا النص المنقوش أنفسهم من رعية ملك المعينيين أبى يادا ياثى Abi – Yada – Yathi والحاكمين على تسار Tasr

وأشور وما وراء النهر ، وكثيراً ما ذكرت تسار Tasr فى الآثار المصرية كملعة على الحدود العربية ، فيما يعرف الآن بقنال السويس وفى نفس الوقت أشار إلى غزة Gaza نص معينى آخر ، يرينا أن سلطة أن سلطة حكام المعينيين كانت تمتد حتى عدن ، كما كان لهم اتصال تام بفلسطين والقبائل المحيطة ، ولا ريب أن حماية الطرق التجارية كانت السبب الرئيسى لتوزيع المراكز المحصنة والمدن الغنية فوق مساحات واسعة .

ويصف العهد القديم الملك الاسرائيلى عزيا Uzziah الذى حارب الفلسطينيين « ولقد نصره الله على الفلسطينيين والعرب الذين يقطنون جور بعال Gur Baal وعلى الميهونيميين Mehunims والمعينيين » ولابد أن تكون هذه الحرب التى سبقت الاشارة إليها ، قد وقعت فى الأقاليم الشمالية لمعين بالقرب من فلسطين ، ومن هذا الدليل الذى يرجع إلى سنة ٨٠٠ ق . م يمكن أن نستخلص النتائج الآتية :

(ا) كانت احدى مستعمرات معين تقع فى شمال بلاد العرب . كما تؤيد ذلك الأبحاث الأركيولوجية .

(ب) لم تكن سنة ٨٠٠ ق . م هى السنة التى ظهرت فيها معين كما يرى الأثريون الفرنسيون ولكنها كانت تاريخ بداية تدهورهم . كما يذهب إلى ذلك العلماء الألمانيون . وعلى هذا يكون تاريخ مجد المعينين وتقدمهم بدأ قبل سنة ٨٠٠ ق . م بكثير

(ح) كان المعينيون فى الأصل أمة سياسية . ولكنهم أصبحوا شعباً تجارياً فى فترة انحلالهم . وهذا هو السبب الذى من أجله ترى الجغرافيين اليونانيين يذكرونهم على أنهم شعب تجارى بين سنتى ٢٠٠ ق.م وسنة ٢٠٠ م .

ملوك معين :

لم يذكر المؤرخون العرب والأغريق أسماء ملوك معين وعددهم ونحن ندين إلى ثقات الأثريين الذين تمكنوا بمساعدة النقوش من ذكر اثنين وعشرين ملكا معينياً كما يلى[١]

A. 1 — Yatha 'il Sadiq
2 — Waqah-il Yathi
3 — Iliyafa 'Yashir
4 — Hifnum Riyam
B. 1 — Iliyafa 'Yathi
2 — Abiyada Yathi
3 — Waqah-il Riyâm
4 — Hifunm Sadiq
5 — Iliyafa Yatouoh
C. 1 — Iliyafa Waqah
2 — Waqah-il Sadiq
3 — Abikarib Yathi
4 — Ammiyada Nabit
D. 1 — Iliyuafa 'Riyam
2 — Haufa 'atht
E. 1 — Abiyada
2 — Khalikarib Sadiq
3 — Hifn Yathi'
F. 1 — Yatha 'il Riyam
2 — Ynbba Karib
G. 1 — Abiyada'
2 — Hifnum

(١) أشار المؤلف إلى أسماء ملوك كثيرين لم يذكر مصدرها الأصلى الرجوع اليها وها نحن نذكرها كما أوردها

ويرى صمويل لانج S. Laing أن أسماء هؤلاء الملوك الاثنين والثلاثين قد عرف من النقوش وأن هناك كثيراً غيرها يحتمل الوصول إليها عندما نكتشف نقوشا أخرى

انظر (Human Origin p. 89.)

وإذا نظرنا بعين الاعتبار إلى المدة الطويلة لحكم المعينيين وهى تقرب من سبعماية سنة فان عدد الملوك الذين ذكرهم صمويل لانج أقرب إلى الصواب من أولئك الذين ذكرهم هيوارت Huart .

وإذا كان عصر معين (ومدته إلى ٧٠٠ ق . م) كما يقال يبدأ سنة ١٧٠٠ ق . م وهو الوقت الذى هلكت فيه عاد فيجب أن نسلم بأنه انتهى سنة ١٠٠٠ ق . م وهو الزمن الحقيقى لبداية وظهور السبئيين (انظر العهد القديم ، قصة سليمان وسبأ) .

ويرى ا . جلاسر E. Glaser و ف ، هومل F. Hommel أن مملكة معين ظهرت قبل سبأ منذ حوالى سنة ١٥٠٠ ق . م أو قبل ذلك واستمرت حتى جاء السبئيون من مواطنهم فى الشمال وغزوا المعينيين فى القرن التاسع الميلادى [١] ونحن نرى أن هذه المدة تمتد من هلاك عاد سنة ١٧٠٠ ق . م حتى ظهور السبئيين سنه ١٠٠٠ ق . م وبهذا نحصل على جميع حلقات تاريخ اليمن القديم دون عناء

---

(١) Enc Brttannica : vol. 11, Arabs

كبير ، وفوق هذا فان هذا الرأى لا يختلف عن نتائج الأبحاث الأثرية
ولما كانت اللهجة والآلهة المعينية تختلفان عن لهجة السبئيين وآلهتهم ،
وتشبه البابلية ، فان من الممكن القول بأن هؤلاء المعينين هم بقايا
الساميين الأوائل .

الفصل الثامن عشر

الليحيون

ذكر المؤرخون العرب ومن بينهم ابن خلدون[1] ، قبيلة عربية ثانية تدعى بنى لحيان (الليحيون) وهى إحدى بطون جرهم ، وقد كشفت حديثا فى بلدة الأولى Al Ula فى شمالى بلاد العرب بعض النقوش التى توصلنا منها إلى القول بأن الليحيين قد استقروا فى شمال الجزيرة العربية عند الحدود السورية وبخاصة فى الأولى المجاورة لها ، وقد أيد ذلك النقوش السبئية والنبطية — وقد اتضح لنا أن اللهجات الليحية لا تشبه فقط اللهجة المعينية فى جنوب الجزيرة ، بل هى مشتقة منها ، واعتماداً على آراء الثقات الاركيولوچيين نرى أن قوة الليحيين ظهرت فى شمال بلاد العرب بين تدهور المعينيين والسبئيين سنة (٥٠٠ ق . م) وظهور النبط سنة (٣٠٠ ق . م) ، والنقوش الليحية ليست فقط واضحة تمام الوضوح ، ولكن ما يمكن الجزم به هو أنها ترجع إلى العصر الذى قامت فيه علاقات سياسية بين مصر وفارس (٥٠٠ ق . م) وعلى هذا فليس بعيداً أن يكون العرب الذين ذكرهم هيرودوت (سنة ٢٠٦ ق . م) عند الكلام عن غزو الفرس لمصر ، هم بنو لحيان الذين كانوا يقيمون فى الجهات الواقعة فى حدود الدولتين .

---

(١) ابن خلدون ح ٢٠

وكان بنو لحيان يقطنون بين مصر وبلاد الفرس ، ولقد وصف هيرودوت العلاقات بين العرب والفرس ، فقال إن العرب كانوا يرسلون إلى امبراطور الفرس كمية كبيرة من العطور كدليل على النوايا الطيبة وليست علامة على الخضوع أو التبعية ، لأن العرب لم يرضخوا لأية أمة أخرى .

وفيما يلى بعض ما ذكرته دائرة المعارف الاسلامية : « إن من المحتمل أن يكون الملك العربى الذى ذكره هيرودوت فى سنة ٥٢٥ ق . م ، هو ملك الليحيين الذين تعرض يلنى لذكر عاصمتهم أجراً (هاجر Hager) على خليج العقبة والتى تشير نقوشها فى شكلها ومحتوياتها إلى العصر الفارسى ، وقد كشفت هذه النقوش وكذلك المعينية والنبطية على يد يوتنج Euting فى الأولى A Ula وتؤيد جميع الأدلة الرأى القائل بأن الليحيين هم خلفاء المعينين والسبئيين فى الشمال الغربى لبلاد العرب ، والسابقون على النبطيين ، وانهم كانوا من أجل ذلك يعيشون بين سنتى ٥٠٠ و ٣٠٠ ق . م (vol. p. 1 399.) .

ويرى د . ه . ملر ، D. H. Muller أن النقوش الليحية هى أقدم هذا النوع من المستندات الخطية فى جنوب بلاد العرب فهى تمثل الحلقة التى تربط بين النقوش السامية القديمة والسبئية ، وهى توجد بنوع خاص فى اقليم الألى (Vol. 1 p. 392. El U!a)

وقد ذكر هيرودوت فى هذا الصدد ، أن قمبيز امبراطور فارس

حين عزم على غزو مصر اضطر أن يلتمس معونة عرب بنى لحية ، غير أنه لما لم يكن فى ذلك الوقت من السهل الحصول على الماء ، أرسل قمبيز ، بناء على مشورة غريب من هاليكارناسيا Halicarnassia سفراء إلى العرب ليطلبوا منهم ضمانا بتأمين طريقه ، على أساس تبادل العهود والمواثيق بين الطرفين فمنحوه ما طلب وأكدوا له أن العرب يحافظون عن العهد والميثاق محافظتهم على شعائر دينهم ، وهم فى ذلك لا يقلون عن أى شعب آخر ، وطريقتهم فى أخذ الميثاق هى أنهم عندما يريدون اعطاء العهد ، يأتى رجل ثالث محايد ، ويحز بألة حجرية حادة راحة يد كل من المتعاقدين بالقرب من الأصبع الوسطى ، ثم يأخذ قطعة من رداء كليهما ويلوث سبع قطع من الحجارة بينهما بالدماء . . . . . ولما تبادل العربى المحايد روابط العهد بين رسل الطرفين عمد إلى الوسيلة الآتية : ملأ بعض القرب المصنوعة من جلد الجمال بالماء ، ثم أمر بها فوضعت على إبله جميعاً وسيقت إلى البلاد المذكورة ، وهناك انتظر مجئ جيش قمبيز — هذه هى أصدق الروايات التى وردت لنا عن هذا الاتفاق

(**Herodotus, Chapt. III para.7. 9.**)

وقد ذكر بلنى قبيلة باسم الليانيين **Liyaniin** كانت تعيش بالقرب من خليج العقبة ؛ ويرى البعض أنهم هم الليحيون أو بنو لحيان غير أننا نرى أنهم الليانيين (سكان العقبة) لأن الاسم القديم للعقبة هو إيلا **Ilah** أو ايلاناه **Ilanah** ، وقد ورد ذلك الاسم فى كتب اليهود

والآغريق وفى ذلك الوقت لم يكن بنو لحيان قد ظهروا إلى الوجود بعد — وبنو لحيان اسم لقبيلة عربية أخرى من نسل اسماعيل ، كانت تسكن بالقرب من نجد عند ظهور الاسـلام وقامت بينها وبين المسلمين حروب [١] .

عبد الشافى غنيم عبد القادر

تمت الترجمة

---

(١) بالإضافة إلى الأجناس السامية التى ورد ذكرها كانت توجد قبائل وبطون أخرى كثيرة فى بلاد العرب القديمة غير أننا لا نعرف سوى القليل أو أننا لا نكاد نعرف شيئا عنها . وقد عدد هذه القبائل الشاعر الجاهلى النابغة فى احدى قصائده ويمكن الرجوع إلى كتاب حمزه الأصفهانى فى ذلك .

محتويات الكتاب

صفحة

الكتاب الثالث ١٧٧ — ١٧٨

شعوب أهل القرآن (٢)

العرب فى بلادهم

الفصل الثانى عشر ١٧٩ — ١٨٦

تمهيد

الفصل الثالث عشر

الفصل الرابع عشر ١٨٧ — ١٩٦

صفحة

صدر من كتب العلوم الإنسانية فى مجموعة الألف كتاب

(اجتماع ، اقتصاد ، عربية ، علم نفس ، تاريخ وتراجم ، جغرافيا رحلات ، دين ، سياسة ، فلسفة ، قانون ، معارف عامة)

١ — تفسير القرآن
٢ — حضارة الإسلام   تأليف جوستاف جروينبادم
٣ — الفكر الخوالد   تأليف مولاى محمد على
٤ — اتجاهات الفلسفة المعاصرة   تأليف اميل برهييه
٥ — البوليس والكشف عن الجريمة اليوم تأليف ريجنالد موريش
٦ — سكتلنديارد   تأليف سير هارولد سكوت
٧ — الحياة العامة اليونانية   تأليف ا . ا . زمرن
٨ — فلسفة الخير   تأليف لويس دكنسن
٩ — رجال ذللوا الصحراء   تأليف رتشى كولدر
١٠ — حركات الشباب   للصاغ الدكتور محمد فتحى
١١ — بلاد ما بين النهرين   تأليف ل . ديلابورت
١٢ — بسمرك   تأليف اميل لدفيج

١٣ — آثار حضارة الفراعنة للأستاذ محرم كمال
١٤ — الحياة الناجحة تأليف اوستاس تشمسر
١٥ — كيف تقرأ الجريدة تأليف ادجار ديل
١٦ — الحياة اليومية فى مصر القديمة تأليف الن شورتر
١٧ — الديانات فى أفريقيا السوداء تأليف ه . ديشان
١٨ — الطفل من الخامسة إلى العاشرة تأليف أرنولد جزل
١٩ — علم نفسك الاقتصاد تأليف س . ايفلين توماس
٢٠ — تاريخ الملاحة تأليف ا . تومازى
٢١ — تاريخ العالم من ١٩١٤ — ١٩٥٠ تأليف دافيد تومسون
٢٢ — التاريخ الجغرافى للقرآن تأليف السيد مظفر الدين
٢٣ — نحو مجتمع أفضل تأليف برتراند رسل
٢٤ — الأحلام والجنس تأليف فرويد
٢٥ — تاريخ طابع البريد تأليف يوجان فايبه
٢٦ — تاريخ الجيوش تأليف جورج كاستلان

ألوان وأرقام مجموعة الألف كتاب

لكل كتاب رقمان . الأول ، الرقم العام ويدل على رقم الكتاب في السلسلة وهو مكتوب على الصحائف الأولى وعلى كعب الكتاب ، بين اسم الكتاب واسم المؤلف. والثانى الرقم الخاص ويدل على رقم الكتاب من حيث الموضوع وهو مكتوب على الغلاف عند أسفل الكعب .

والمجموعة كلها مقسمة إلى أربعة موضوعات رئيسية لكل منها لون خاص .

١ — الأدب (أخضر) ويشمل . الأدب العام ، تاريخ الأدب ، النقد ، الشعر ، القصص

٢ — العلوم (أزرق) وتشمل . الزراعة ، الصناعة ، الطب ، الكمياء ، الفلك ، الحيوان ، الرياضيات .

٣ — العلوم الإنسانية (أحمر) وتشمل. الاجتماع ، الاقتصاد التربية ، علم النفس التاريخ والتراجم ، الجغرافيا ، الرحلات ، الدين ، السياسة ، الفلسفة ، القانون ، المعارف العامة .

٤ — الفنون (بنى) وتشمل . الإذاعة ، التصوير ، الرسم ، المرح ، الموسيقى ، الرياضة البدنية.

مطبعة لجنة البيان العربي

استدراك

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
و	٢	سنجار	شعار
١	١	يكتنف	يكشف
٢	١١	شفلد	هرسفلد
٣	١٠	Cohnsun	Gohnson
٥	٨	عمر بن الخطات	عمر بن الخطاب
٦	٤	غرزتها	عززتها
١٠	٥	نرعوا	برعوا
١٠	١٤	كتت	كنث
١٧	٨	الحداني .. (مانا)	الهمداني .. (منه)
١٨	٧	للجزيرية	للجزيرة
١٩	٢	حيدية	حميرية
٢١	٣	الحداني	الهمداني
٢٧	١٠	جزر	جُزُره
٢٧	١٥	Sauthern sang	Southern jauf
٢٨	١٥	Metopalis	Metropolis
٢٨	١٧	اتاد	ارتاد
٣٠	٥	Nahb	Nakb
٣٢	١٩	١٦٧٦	١٨٧٦
٣٣	١٢	Bapiay	Badiay
٣٤	٥	jaif	Taif
٤٠	١٦	الأله	العلا
٤٦	٧	ديذكر	ويذكر
٤٦	١٥	للبقايا	البقايا
٥٢	١٧	أو	أوائل

الصواب	الخطأ	سطر	صفحة
أبداً	أيداً	١٤	٥٤
مق	من	١٥	٥٤
سنة	سفة	١٦	٥٤
معروفة	معرفة	١٥	٦٥
Hazor	Hzaer	٣	٦٦
السعيده	البعيدة	١١	٧٢
الرومان	الرمان	٥	٧٤
Bostra	Bortra	١٣	٧٤
Hamdani	Huiton	١٨	٨١
ja'da	Gaea	٥	٨٤
Baaû	Bain	١٢	٨٤
Tarafa	Jarfr	١٠	٨٥
Mundhir	Mundhin	١٢	٨٥
Oman	Auan	١٦	٨٥
قصبة	قصة	١٨	٩١
طرطوس	طوطرس	١٠	١٠٤
نسمه	نسبة	٩	١٠٦
كردستان	كروستان	٩	١١٦
يعتقدون	يعتقدون	٢	١١٩
الكنعانيين	السكعانيين	١٤	١١٩
عرضها	عوضها	٥	١٢٤
اليعقوبى	اليقوبى	٤	١٢٦
سلالة	سلاسة	٦	١٥٩